دراسات فى

* تاريخ روما السياسى والحضارى

أ. دكتور

عاصم احمد حسين

مقـدمــة

يعتبر تاريخ روما الحضارى مرحلة من مراحل الإتصال الحضارى بتاريخ وطننا العربى القديم ، حيث كان الرومان من رواد بناء الحضارة الانسانية ، ويمدنا تاريخهم بصور عديدة لها مؤثراتها على باقى الحضارات الأخرى المجاورة .

ولاشك أن روما قد لعبت دورا هاما فى تاريخ البحر المتوسط إذ كان ظهورها قد تأخر بعض الوقت عن غيرها من الأقطار التى كان لها دور هام فى الحضارة الانسانية ، وذلك نظرا لظروفها الخاصة والتى سوف نوضحها فى حينها .

ونظرا لأن البحر المتوسط يمتد بين ثلاث قارات فقد كان مسرحا لأحداث هامة تناولت كثيرا من دول المنطقة . وان شبه الجزيرة الايطالية ، وجزيرة صقلية قد كونتا جسرا يمتد عبر هذا البحر ويشطره إلى قسمين : الحوض الشرقى والحوض الغربى . ولما كان الحوض الشرقى بحكم اتصاله بحضارات الشرق قد مهد لتلك الحضارات التى اتخذت طريقها إلى جنوب أوربا وإلى بلاد الاغريق وروما . وفى حين أن الحوض الغربى ظل بعيدا فترة طويلة عن الاحتكاك بحضارات الشرق ولكن عندما بسطت روما سيطرتها على الحوض الغربى ثم على الحوض الشرقى وأزالت الحاجز بين الحوضين مما حدا بالرومان بأن يدعو البحر المتوسط " بحرنا – Mare nostrum " .

ورغما عن الجهود المتواصلة التى يقوم بها الباحثون منذ أمد طويل ، إلا أن الغموض ما زال يغلف الكثير من مشاكل التاريخ الرومانى بسبب طبيعة مصادره على نحو ما سوف نرى .

ولما كان الهدف من هذه المحاضرات هو إعطاء صورة واضحة المعالم للإطار العام لتاريخ الرومان وحضاراتهم ، لذا فإننى لم أحاول التعرض للافاضة فى التفصيلات أو التعرض لمشاكل التاريخ الرومانى الثانوية ..

والله نسأل سبحانه التوفيق والسداد ،،،

الفصل الأول

أثر البيئة الجغرافية

فى تشكيل التاريخ الرومانى

من المعروف أن الطبيعة الجغرافية لها أثرها غير المباشر فى التشكيل السياسى لأى حضارة وأنه كثيرا ما كان للبيئة الجغرافية لقطر من الأقطار من أثر بالغ بل حاسم فى توجيه تاريخه ، فإن للموقع والتضاريس والمناخ والموارد الطبيعية أثر واضح فى حياة ذلك القطر داخليا ومدى علاقاته الخارجية . مثل ذلك بلاد الاغريق فى عصورها القديمة والتى يقال عنها بأنه كان من الممكن يتجه تاريخها الباكر إلى وجهة غير التى مضى فيها فعلا لو أن بيئتها الجغرافية لم تكن على هذا النحو التى كانت عليه ، ولو أن التاريخ – فى الوقت ذاته – لايخضع لفروض جدلية .

وإذا كان التاريخ الاغريقى هو تاريخ أصحاب تلك الحضارة الزاهرة التى قامت قديما فى شبه جزيرة البلقان وانتشرت فى حوض البحر المتوسط وما وراءه . أى أن هذا التاريخ ينسب إلى الاغريق كافة أو إلى بلادهم جملة ، وبيان ذلك أنه لم تستطع مدينة اغريقية واحدة أن تسيطر على باقى العالم الاغريقى أو تفرض عليه الوحدة . أما بالنسبة للتاريخ الرومانى والذى هو تاريخ أصحاب تلك الحضارة الزاهرة الأخرى التى قامت قديما فى شبه الجزيرة الايطالية وانتشرت بدورها فى أنحاء العالم القديم ، ينسب هذا التاريخ إلى مدينة روما وحدها دون سائر المدن الايطالية القديمة .

ومرد ذلك إلى أن مواطنى روما قد نجحوا فى جعل مدينتهم الصغيرة دولة قوية استطاعت أن تبسط سلطانها تدريجيا على كل شبه الجزيرة الايطالية بل على كل أقاليم البحر المتوسط .

ولنبدأ الآن فى إلقاء نظرة سريعة على أهم معالم البيئة الجغرافية لشبه الجزيرة الايطالية وبيان أثرها على تشكيل التاريخ الرومانى .

الموقع :

وبالنظر إلى شبه الجزيرة الإيطالية من الوجهة الجغرافية لوجدناها تمثل امتدادا لوسط أوربا جنوبا فى البحر المتوسط لمسافة ٧٠٠ ميل تقريبا وهى تحتل موقعا ممتازا فى شمال البحر المتوسط ، إذ أنها تقع بين أشباه جزر أربع فى شمال ذلك البحر وهى آسيا الصغرى ، والبلقان ، وإيطاليا ، وايبيريا . وقد جعل منها هذا الموقع مقرا طبيعيا لأى امبراطورية تقوم فى حوض هذا البحر . وسنرى أنه عندما نشأت روما تمكنت من السيطرة على شبه الجزيرة الايطالية وفرضت عليها الوحدة ، سنرى أن هذا الموقع قد جعل فى مقدورها أن تتحرك غربا وشرقا حتى تكون امبراطورية مترامية الأطراف آخر الأمر ، وتؤثر وتتأثر بالحضارة السائدة أنذاك .

التضاريس :

تتكون إيطاليا [1] من اقليمين رئيسيين متميزين وهما :

أ - الاقليم الشمالى :

وهو عبارة عن سهل فسيح [2] تطوقه جبال الألب على هيئة هلال غير منتظم يمتد من البحر الادرياتى قرب تريستا حتى البحر المتوسط قرب مدينة نيس على الريفيرا الفرنسية ، حيث تنفرج جبال الألب عن ممر يسهل عن طريقه بلوغ شمال إيطاليا . . .

---

(١) إيطاليا (Italia) تعبير أطلقه الاغريق فى القرن الخامس قبل الميلاد على الجزء الجنوبى الغربى لشبه الجزيرة . وبالتدريج أخذ مدلول هذا التعبير يتسع إلى أن أصبح يعنى كل شبه الجزيرة جنوب جبال الألب قبل نهاية القرن الأول قبل الميلاد وربما كان هذا التعبير مشتق من الكلمة الايطالية القديمة (Vitellio) ومعناها " أرض العجول وأرض الثيران " .

(٢) يقدر اتساع هذا السهل من الشرق إلى الغرب بحوالى ٥٠٠ كيلو متر ومن الشمال إلى الجنوب بحوالى ١٠٠ كيلو متر .

وإذا كان ارتفاع الممرات الموجودة فى هذه الجبال يتراوح ما بين ١٨٠٠ ، ٢٧٠٠ متر تقريبا ، فإن روافد نهرى الراين والرون تيسر الوصول إلى هذه الممرات ، وقد كان من الطبيعى أن يترتب على وجود هذه الممرات أن جبال الألب لم تكن حاجزا مانعا بالمعنى المفهوم ، وإنما ساعدت على تنظيم حركات الهجرة إلى إيطاليا .

ويشغل وادى نهر البو (Padus) أكثر أنحاء هذا السهل . وينبع نهر البو من جبال الألب فى غرب وبعد أن تغذيه روافد كثيرة يصب فى البحر الادرياتى فى الشرق . وقد تهيأ لهذا السهل الفسيح عاملان رئيسيان لازدهار الزراعة فيه ، وهما خصوبة التربة ووفرة المياه . وكان هذا السهل يعتبر حتى عصر الامبراطورية جزءا خارجيا عن إيطاليا كان يسمى غالبا : (فيما وراء الألب) .

ب – الاقليم الجنوبى :

يتكون من شبه جزيرة تقع بين البحر التيرانى فى الغرب ، والبحر الادرياتى فى الشرق . وتحف الشواطئ بهذا الاقليم على طول امتداده ، وتشقه سلسلة جبال الابنين ، وكأنها عموده الفقرى .

وجبال الابنين تبدأ عند الطرف الجنوبى الغربى للاقليم الشمالى ، وبعد أن تأخذ شكل قوس مفرطحة تفصل الاقليم الشمالى عن أغلب شبه الجزيرة تتجه إلى الاقليم الجنوبى فتشقه من شماله حتى جنوبه وتشغل نصف اتساعه تقريبا . وتعتبر هذه الجبال الأساس فى تكوين الشكل العام لايطاليا . وتبلغ جبال الابنين أقصى ارتفاعها فى جانبها الشرقى حيث تقترب من الشاطئ اقترابا شديدا دون أن تترك سوى شريط ساحلى ضيق إلا عند ابوليا (Apulia) فى الجنوب حيث يوجد سهل فسيح ، وهذا الشريط الشرقى الساحلى الضيق تقطعه عدة محاور مائية تعبره .

أما الجانب الغربى لجبال الأبنين فإنه أقل ارتفاعا وأكثر بعدا عن الشاطئ مما عمل على نشأة سهول خصبة هى اتروريا ولايتوم وكمبانيا ، وأدى ذلك إلى وجود أنهار كبيرة نسبيا وهى من الشمال إلى الجنوب : الارنوس (Arnns) والتيبر (Triber) وليريس (Liris) وفولتورنيوس (Volturnius) .

هذا ويجب التنويه إلى وجود عدة براكين بعضها خامدة وبعضها الآخر مازالت تمارس نشاطها منذ العصور القديمة . وقد كان لهذه البراكين أثر وأى أثر على خصوبة الأرض على الشاطئ الغربى ، مما ترك بصمات واضحة على التاريخ الرومانى .

ونتيجة لذلك فإننا نجد أن إيطاليا تدير ظهرها للشرق ، وتتجه بها الظروف الطبيعية اتجاها جغرافيا واضحا ناحية الغرب ، ذلك أن ساحل إيطاليا الغربى الفسيح يتمتع بموانى طبيعية حرم منها الساحل الشرقى ، بالاضافة إلى خصوبة الساحل الغربى قد أدت إلى السماح بقيام تجمعات سكانية كثيرة بالغرب . ويجب الاشارة إلى أنه فى أقصى الجنوب يكاد كعب الحذاء الايطالى أن يلمس جزيرة صقلية ولا يفصله عنها إلا مضيق مسينا ويشير نحو الطريق إلى شمال أفريقيا ، حيث لايفصل الجزيرة عنه إلا حوالى ١٢٨ كيلو مترا من بحر غير عميق ، ولنا أن نعتبر أن هذا الجزء ما هو إلا سهم يشير إلى الخوار المستقبل (فى التاريخ القديم) بين الشمال والجنوب .

ويتضح لنا مما سبق أن إيطاليا كانت أرضا مفتوحة ذات سواحل طويلة تيسر المجئ إليها بحرا ، وحتى الاتصال البرى بينها وبين وسط أوربا كان ميسورا عكس مما قد يوحى به وجود مثل ذلك الحاجز الجبلى العظيم المتمثل فى جبال الألب – كما سبق أن أوضحنا – وقد كان فى خصوبة تربة إيطاليا واتساع سهولها وكثرة ودياتها مما يجذب بقية الشعوب إليها أملا ورغبة . وهكذا كانت إيطاليا منطقة جذب فى العالم القديم يسيره على من يقصدها وكانت النتيجة الطبيعية أن أرضها أصبحت تعج بأخلاط الشعوب التى قدمت إليها برا من الشما وبحرا من الشرق والغرب والجنوب .

المناخ :

مناخ إيطاليا من الطراز الشائع فى حوض البحر المتوسط فهو جاف صيفا ممطر شتاءا دون إفراط ، سواء فى درجة الحرارة أو فى درحة البرودة وإن كان الاقليم الشمالى وحتى وادى نهر البويميل للاقتراب مناخيا من منطقة وسط أوربا .

الحالة الصحية :

نتيجة لانتشار المستنقعات فى أودية الأنهار وعند مصابها حيث تتراكم الرواسب وجدت بيئات مواتية لتوالد ناموس الملاريا ، فحاول الرومان أن يقللوا من خطر هذه الحمى بابتكار وسائل الصرف المنتظمة والزراعة المستمرة للأرض ، لأن اهمال الأرض الواطئة ولو لفترة قصيرة يجعل الحمى تتفشى بصورة وبائية .

ولذلك أصبح الجميع يعتقدون أنه إذا هجرت مرة فإنها لن تصلح مرة أخرى للزراعة ، وتبين للرومان أو الايطاليين بالخبرة والتجربة أن خير طرق للوقاية من هذه الحمى هو سكنى الأراضى المرتفعة التى تقع فوق مستوى الضباب فى الصباح والمساء ، وارتداء الملابس الصوفية الدافئة فى جميع الفصول ، وإبقاء النار ليل نهار مشتعلة داخل البيوت .

ولعل هذا يفسر الاهتمام بالنار لدرجة التقديس والعبادة داخل المنازل ، كذلك تبين لهم أن الاقامة داخل أسوار المدن حماية لهم من هذا المرض . وهذا يفسر اهتمام الرومان بتحصين المدن التى ينشئونها .

الكثافة السكانية :

كانت كثافة السكان فى إيطاليا أكبر بكثير منها فى سائر منطقة جنوب أوربا . وقد كانت إيطاليا أكثف أراضى حوض البحر المتوسط سكانا بعد وادى النيل فى مصر . وبالمقارنة نجد أن مساحتها التى لم تكن تزيد على نصف مساحة شبه الجزيرة الاسبانية كانت تضم من السكان ما يقرب من ضعف سكان أسبانيا . وقد كان لهذه الوفرة النسبية فى الكثافة البشرية وزنها فى تلك العصور القديمة ، حيث أعطت إيطاليا تفوقا سياسيا على كل جيرانها وضحت قوة لايستهان بها .

المواصلات الداخلية :

ومن حيث المواصلات الداخلية فلم تكن يسيرة ، نظرا لأن سلسلة جبال الأبنين كانت تعوق الاتصال بين الساحلين ، الشرقى والغربى ، ولم تقم الأنهار بدور فى تيسير

الاتصال الداخلى نظرا لسرعة جريانها وشدة تدافعها . ومن أهم هذه الأنهار وأصلحها للملاحة هو نهر التيبر الذى قامت مدينة روما على ضفته اليسرى ، لم يكن هذا النهر صالحا للملاحة فى كل أجزاء مجراه ، وقد يكون هذا واقعا من البيئة مما جعل الرومان يتحدونها بجهود مضنية لتنظيم المجارى المائية تنظيما اصطناعيا ، ومد شبكة الطرق الرومانية الشهيرة فتستجيب البيئة لهذا التحدى .

موارد الثروة

١ – الثروة الزراعية :

تعتبر إيطاليا بلاد تنمية فى محاصيلها الزراعية . ذلك أن الأراضى الواطئة كانت تنتج حاصلات وفيرة من مختلف أنواع الحبوب – مثل القمح والشعير والاذرة ، وكذلك من البقول مثل : الفاصوليا وغيرها . وقد اشتهرت تربة كبانيا بانتاج ثلاث حاصلات على التعاقب فى العام الواحد . وقد عرف عن إيطاليا شهرتها بالكروم والزيتون ، وعلى مر الزمن ، وبخاصة منذ القرن الثانى قبل الميلاد ، أصبح استثمار الأراضى فى هذا النوع من الفلاحة أجدى من استثمارها فى زراعة الحبوب الغذائية مما أدى نتائج اجتماعية وسياسية خطيرة . وبعد توسع روما فى شرق البحر المتوسط أدخلت أنواع أخرى من الفاكهة مثل التفاح والكمثرى . هذا ولم تعرف إيطاليا زراعة الحوامض والأرز إلا بعد سقوط الامبراطورية الرومانية بزمن ليس قصير .

وفى العصور القديمة كانت إيطاليا تفوق أغلب أقاليم البحر المتوسط من حيث الغنى بالغابات ، وقد تهافت العالم المعروف انذاك على استخدام الخشب الايطالى فى بناء السفن .

ب – الثروة الحيوانية :

كانت تربية الحيوان على الزراعة فى إيطاليا من حيث الأهمية إذ اشتهرت إيطاليا فى العصور القديمة بتربية الحيوان ، ذلك أنه قد توفرت بها مراع ممتازة للأغنام والماعز

والماشية والخيول فى المناطق الساحليةالمنخفضة شتاء وفى المنحدرات الجبلية صيفا . كما لن اخراج لشجار البلوط والزان والقسطل – فى الغابات – كانت توفر أعلافا لقطعان الخنازير .

جـ – الثروة المعدنية :

لم تتمتع إيطاليا بثروة معدنية كبيرة . وقد وجدت مناجم النحاس فى اترووريا وليجوريا وجزيرة سروينيا ، وكميات وفيرة من خام الحديد فى جزيرة البا وكذلك بعض الذهب . كما أنه كان يوجد فى اترووريا القصدير ، وفى سودينيا بعض الفضة .

وكان يمكن الحصول على انملح من المستنقعات المحيطة الواقعة فى نهر التيبر وعلى لمتداد الشاطئ الغربى فى لواسط إيطاليا وجزيرة صقلية .

لما لحجار البناء من مختلف الأنواع ، بما فى ذلك لنواع الرخام الممتازة فإنها كانت متوفرة على الدوام . وقد استخدم انرخام بكثرة فى صناعة التماثيل وفى بناء المعابد وحفز الفنانين الرومان على الخلق والابداع .

ويلاحظ لن اقليم لايتيوم وسهل اتروريا وغيرهما من لقاليم إيطاليا غنية بالصلصال الصالح لصناعة لنواع ممتازة من الاجر والأنية الفخارية التى طبق صيتها العالم القديم .

ويتضح لنا مما سبق لن وحدة إيطاليا الجغرافية كانت وحدة ظاهرية لكثر منها حقيقية ، وقد لسهمت الطبيعة من ناحية أخرى فى تعويق وحدة إيطاليا ، نلك أن الانقسامات الجغرافية لشبه الجزيرة الايطالية قد شجعت شعوبا متعددة الجنس مختلفة الأصل والحضارة على الهجرة إليها .

إلا ان موقع روما وسط شبه الجزيرة الايطالية جعلها فى مأمن من قراصنة البحر وأكسبها ميزة كبرى على مدن الشمال والجنوب . ومع نلك فإنه لم يتيسر لروما أن توحد شبه الجزيرة إلا بعد أن خاضت غمار حروب عديدة .

وقد لتاح موقع إيطاليا ووفرة المقاتلين بها أن تصفى خصومها واحدا بعد الآخر فى الأوقات المناسبة لها وأن تبنى الامبراطورية الرومانية المترامية الأطراف .

التطورات التاريخية

مرورا على الظروف الجغرافية التى حددت بشكل عام تاريخ إيطاليا فإنه من المعروف أن إيطاليا قد تعرضت لغزوات قامت بها القبائل من أوربا الوسطى ، وغزوات جاءت من البحر . وقد اجتذبت هذه الغزوات ثروات إيطاليا الطبيعية ومناخها المعتدل ، ولاشك أن الرعاة والفلاحين من أوربا الوسطى أغرتهم مراعى إيطاليا وحقولها الوسطى الخصبة ، بينما سعى القادمون من البحر ، سعيا إلى السيطرة على الموانى الجنوبية التى تؤدى بهم إلى سهل كامبانيا (Campania) والوديان الخصبية حول مجارى الأنهار والغابات التى نمت على التلال المجاورة فتجود بالخشب الممتاز اللازم لصناعة السفن .

ويلاحظ كذلك أن الظروف الجغرافية ساعدت إيطاليا على أن تكون نوعا من الوحدة فى شبه الجزيرة بخلاف بلاد الاغريق ، وكذلك نجد أن الحضارات نشأت فى إيطاليا فى الجزء الغربى منها حيث نابولى وجنوب روما .

أما القسم الشرقى فى إيطاليا فقد رأينا أنه يكاد أن يكون خاليا من الموانى والمدن الهامة ، وإذا كانت بلاد الاغريق تزدحم بالمدن الهامة فى قسمها الشرقى بعكس إيطاليا فإن معنى هذا أن الاغريق اهتموا بشرقى البحر الأبيض وكانوا على علاقات قوية بأقطار هذا الجزء من البحر مثل منطقة البحر الأسود وآسيا الصغرى وسوريا ومصر .

أما الرومان فنظرا إلى أهمية القسم الغربى فإن اهتمامهم كان أول الأمر موجها إلى تلك المنطقة (غربى البحر المتوسط) ونشأت علاقات قد تكون عدائية مع قرطاجة ، ونظرا لطول سواحل إيطاليا فإنها خضعت لتأثيرات حضارية قادمة عبر البحر أتت هجرات متوالية من شعوب البحر الأبيض وبخاصة الاغريق وأهل قرطاجة ، ورأينا كذلك أن جبال الألب رغم ارتفاعها لم تكن بمنطقة عازلة تماما تمنع وصول هجرات من وسط أوربا ، وكذلك بفضل مجارى الأنهار التى تنبع من هذه الجبال . وتبعا لذلك أصبحت إيطاليا ملتقى شعوب وحضارات مختلفة ، فكان

هناك خليط من أجناس مختلفة ولغات مختلفة وعناصر ثقافية مختلفة ، بل وتضم سياسة تتفاوت تقدما وتأخرا ، فبينما أتى الاغريق عندما أنشأوا العديد من مستعمراتهم فى جنوب إيطاليا وصقلية (Magna Craeca) بنظام المدينة نجد النظام القبلى يسود بقية أنحاء إيطاليا ، أو لاتجد نظاما سياسيا على الاطلاق ، فكانت عملية الوحدة التى بدأتها روما وتزعمتها عملية شاقة تتطلب التغلب على تلك العقبات التى لابد وأنها تعوق مثل هذه الحركة .

ظهور روما على مسرح شبه الجزيرة الايطالية :

روما كأى دولة أخرى نشأت نشأة متواضعة وأخذت تنمو شيئا فشيئا حتى أصبحت دولة كبيرة ، والصعوبة التى تواجه المؤرخ هو أن تاريخ روما لم يكن معروفا ، وبدأ المؤرخون يكتبون عنه بعد أن أصبحت روما زعيمة الاتحاد الايطالى فى منتصف القرن الثالث (ق . م .) تقريبا . كذلك يخطئ البعض إذا ظن أن روما بدأت تاريخها دولة كبرى ولم تمر بفترات من التطور ، فقد كانت عبارة عن قوى صغيرة تجمعت فى شكل حلف قامت على أساسه روما ، ثم سعت المدينة إلى ضم الحلف المكون من اللاتينية ، ثم شيئا فشيئا تطرد الاتروسكيين من سهل اتروريا فى الشمال ، وتطرد الاغريق فى الجنوب وتسيطر على القبائل المقيمة على جبال الاپنين فيتسنى لها بذلك أن تكون ما عرف باسم الاتحاد الايطالى الذى عقدت لها زعامته . ثم تزعمت الوحدة الايطالية بطرد القرطاجنيين من صقلية وتدعم سيطرتها على البحر المتوسط عندما تتمكن من القضاء نهائيا على قرطاجة أكبر منافس لها فى غربى البحر المتوسط ، وأخيرا تتمكن فى مدى قرنين بفضل هذه الخطوات من أن توجد نوعا من الوحدة السياسية والاجتماعية واللغوية فى إيطاليا .

كل هذا بينما كانت بلاد الاغريق تتدهور وفى طريقها إلى الانهيار ، وأصبح لايطاليا بزعامة روما منذ نهاية القرن الثانى الكلمة النافذة فى مختلف شئون الشرق وفى منطقة البحر الأبيض بأكملها ، وكان على بقايا الدول الاغريقية فى مقدونيا وبلاد

اليونان وسوريا ومصر أن تحنى رأسها أمام هذه القوة الجديدة التى برزت من ثنايا البحر المتوسط .

وهذه الدولة الجديدة حيرت الاغريق وفلاسفتهم وهم يدركون أن روما حققت حلما دار فى أذهانهم طويلا عن إمكان تكوين وحدة تنظيم بلاد الاغريق جميعا ، وبالرغم من العبقرية الاغريقية الخارقة فى كافة مجالات الحضارة فإنها عجزت عن تحقيق هذا الحلم ، فكيف تيسر لهذه المدينة والتى لاتعتبر شيئا مذكورا إلى جانب أثينا أو اسبرطة ، فقال بعض مفكرى الاغريق أن سر نجاح روما يعود إلى الصفات الخلقية الممتازة للشعب الرومانى وإلى نفاذ الدستور الرومانى ، فنجاح روما ذلك بحق يرجع أسبابه إلى عامل أعمق من هذا كما أدرك بوليبوس ، وهذا المؤرخ وصف أيام روما وانتصاراتها فى الشرق والغرب فى القرن الثانى قبل الميلاد .

ولايتبين لنا الصدق فى تقديم روما إلا إذا درسنا البيئة التاريخية التى شكلت الحياة التاريخية فى إيطاليا منذ أقدم العصور ، وهذا ليس من السهل لأننا لا نعرف إلا القليل عن الفترة الأولى من تاريخ إيطاليا .

ديودورس الصقلى (Diodorus) :

مؤرخ اغريقى (٨٠ إلى ٢٩ ق . م .) كتب كتابا كبيرا عن تاريخ العالم يعرف باسم ببليوتيكا Bibliotheca وتناول فى كتابه تاريخ روما حتى حملة قيصر على بريطانيا عام (٥٤ ق . م .) وكثير ما كان يربط بين حوادث التاريخ الاغريقى وحوادث التاريخ الرومانى ، ورتب الحوادث ترتيبا سنويا يرتكز إلى الألعاب الأوليمبية وسنوات تولى الاراخنة فى أثينا والقناصل فى روما ، وكثيرا ما كان يكتفى بذكر أسماء القناصل دون أن يشير إلى تفاصيل تتصل بالتاريخ الرومانى .

وظل التاريخ الرومانى يكتب بالاغريقية على يد مؤرخين اغريق إلى أن بدأ الرومان أنفسهم يهتمون بتاريخهم ولغتهم . وكان كاتو أول من كتب باللاتينية فنشر كتابه (الأصول) فى القرن الثانى (ق . م .) (١٦٠ ق . م .) وهو خطيب رومانى عرف بصرامة مبادئه وتحمسه لروما وحرصه على أن يكتب الشباب الرومانى باللاتينية حتى

يخلصه من استعمال الاغريقية ، وكان يتخوف على روما من خطر قرطاجة وكان يختم خطبه دائما بهذه العبارة :

" ومن ناحية أخرى يجب أن تدمر قرطاجة " وتناول فى كتابه " الأصول " ظهور روما وتاريخها المبكر وتاريخ الدول الايطالية وحرب روما من سنة ٢٦٤ إلى سنة ١٥٠ (ق . م .) بشكل غير مترابط ، فكثيرا ما كان يقطع تسلسلها مناقشات فى موضوعات متباينة ، وللأسف لم يصلنا هذا الكتاب وإنما الذى بقى لنا من كتبه عن الزراعة ، وكان يهدف من وراء هذا الكتاب توضيح أهمية الثروة الزراعية ، وطريقة ادارة المزارع الرومانية الواسعة فى عصر الجمهورية .

يوليوس قيصر : من سنة ١٠٠ إلى سنة ٤٤ ق . م :

المعروف عنه أنه كان قائدا عسكريا له تفكيره السياسى الخاص ، كما كانت له نظرية معينة عن شكل الحكم ، وكان عليه أن يشرح للشعب الرومانى أهدافه كما كان يوضح لهذا الشعب خط سير فتوحاته فى بلاد الغال وغيرها . ولكن كأى رجل سياسى وقائد عسكرى كثيرا ما كان يفخر بنفسه ويبرز عمله ، لذلك يجب أن ننظر بعين الحذر إلى ماكتبه قيصر وخاصة الرسائل التى كان يرسلها إلى أنصاره فى روما . وأهم الكتب التى تركها لنا كتابين : أحدهما عن صهره ، والآخر عن اجرمانيا (١٥٥ - ٢٠٣ م) .

كاسيوس ديو Dio Cassius (من عام ١٥٥ إلى عام ٢٠٣ م)

لم يكن أصله من روما ، ولكنه كان من أسرة الكثير من أفرادها أعضاء فى مجلس الشيوخ . وكان موطن هذه الأسرة (Pithynia) (على نهر الدانوب) ولد حوالى عام ١٥٥ م ووصل إلى وظيفة القنصلية فكان قنصلا سنة ٢٢٩ م ، وكتب تاريخا لروما منذ إنشائها حتى عصره فى ثمانين كتابا وقد ضاع منها خمسة وثلاثون كتابا .

المصادر القانونية :

هناك مصادر قانونية نستمد منها معلوماتنا عن التاريخ والتشريع عند الرومان ، ولاشك فى أن قانون الألواح الاثنى عشر كان يعتبر بحق مصدرا جليلا عرفنا منه أسس القانون والتسريع ، وخاصة إذا ربطنا ذلك بالحوادث التاريخية والظروف التى أدت إلى تدوين القوانين بشكل يسر على الرومان ، أغنيائهم وفقرائهم ، وسواء كانوا من طبقة الشعب أو من الارستقراط ، أن يعرف كل منهم حقه ومكانته فى الدولة . وكما تهمنا أيضا القرارات التى كان يصدرها مجلس الشيوخ الرومانى والمجالس الشعبية فى روما . فهذه القرارات وخاصة قرارات المجالس الشعبية كانت تكتب على ألواح من البرونز وتوضع فى أحد المعابد ليتيسر للشعب أن يطلع عليها ، ثم ان هناك بعض السجلات الخاصة والرسمية المتعلقة بالاحصاء والقوائم السنوية للقناصل .

وأحيانا كان يشير المؤرخون إلى السنة التى كان يتولى فيها الاراخنة فى أثينا ، ولكن الرومان ما لبثوا أن وضعوا لأنفسهم تاريخ آخر مثل تاريخ تأسيس روما أو تولية القناصل وبصفة خاصة تولية أول قنصل فى عهد الجمهورية (٥٠٠ ق . م .) أو تدمير الغال لروما ، فمثلا يذكر لنا أن روما أنشئت هى وقرطاجة فى عام واحد وأن هذا حدث قبل أول أولمبيات بثمانية وثلاثين عاما فيكون تأسيس روما (٨١٤ ق . م .) .

إيطاليا فى عصور ما قبل التاريخ :

عرفت إيطاليا شأنها فى ذلك شأن معظم أنحاء العالم القديم عصور ما قبل التاريخ فعرفت العصر الحجرى القديم ، ثم العصر الحجرى الحديث ، ثم عصر المعادن فى النصف الثانى من الألف الثالث (ق . م) (من سنة ٢٥٠٠ إلى سنة ٢٠٠٠) . ولاشك أن ظهور المعادن قد لعب دورا هاما فى التقدم الحضارى والبشرى ، فقد عرف النحاس أولا فى جزيرة قبرص ، وانتقل إلى جنوب إيطاليا عبر جزيرة كريت ومنطقة بحر ايجه وصقلية وسردينيا وكورسيكا ، وكذلك انتقل استعمال هذا المعدن إلى شمال إيطاليا عن طريق وادى نهر الدانوب الأوسط . وليس هناك دليل على هجرات واسعة النطاق فى

هذا العصر ، فإيطاليا عرفت قبل ذلك عددا من الهجرات وخاصة فى العصر الحجرى الحديث ، فقد جاءت جماعة من شمال فرنسا (الحالية) واستمرت الحياة فى تقدم مطرد اعتبارا من عصر المعادن ، ودليل ذلك تحول المقابر من مجرد فتحات فى الأرض إلى مقابر حجرية ضخمة شيدت فوق سطح الأرض . كذلك مثل ذلك النوع الذى نشاهده فى جنوب إيطاليا وصقليه وسردينيا ، أو ذلك النوع من المقابر الذى صمم لتشمل المقبرة عدة حجرات ، حيث استعمل فى بناء السقف أو الحوائط قطعة واحدة من الحجر ، وهذا دلالة على أنها أصبحت مقابر جماعية ربما استعملت لعدة أجيال . وأهم مظهر لهذا العصر هو ظهور الزراعة كعمل يعتمد عليه فى كسب العيش ، فعرفوا زراعة القمح وبعض الحبوب التى منها يصنع الخبز ، وهذا يعنى أيضا أن إيطاليا فى هذا العصر عرفت نوعا من الاستقرار والارتباط بمكان معين .

بعد عصر النحاس جاء عصر البرونز فى أوائل الألف الثانية قبل الميلاد (من سنة ٢٠٠٠ إلى سنة ١٨٠٠ ق . م) . امتاز هذا العصر بمجئ هجرات عن طريق شمال إيطاليا ، فتمكنت الشعوب القادمة عن طريق ممرات جبال الألب من أن تستقر فى منطقة البحيرات عند سفوح جبال الألب وأتوا معهم بحضارة جديدة عرفت باسم حضارة البلافيت ، وتمتاز هذه الحضارة باستقرار تلك الشعوب حول البحيرات واتخاذهم بيوتا فى المناطق المنخفضة حيث الماء ضحل ، فحفروا خنادق مستطيلة أقاموا فيها أعمدة ، حتى إذا استقامت هذه الأعمدة غطوها بطبقة من الطين فكانت بيوتهم تقام عليها ، كما كانت قراهم تقطعها شوارع متوازنة .

وهذه المجموعة من المساكن تتصل بالشاطئ ويجب أن ننوه إلى أن كلمة PALAFITTE مشتقة من الكلمة الايطالية التى تعنى خط من الأعمدة أو الأوتاد ، وكان سكان هذه القرى يشتغلون بصيد الحيوانات والأسماك كما عرفوا الزراعة وكانوا يعبرون البحيرات والأنهار فى قوارب من الخشب وكان القمح هو محصولهم الأساسى .

وعرف الانسان فى ذلك الوقت عادة حرق الموتى ووضع الرماد المتخلف فى أوانى توضع فى المقبرة إلى جانب الأدوات التى كان يستعملها فى حياته ، وكانت المقابر تقام فى مناطق مجاورة لقراهم ، وبعد فترة دامت حوالى ثلاثة قرون

أى حوالى سنة ١٥٠٠ ق . م جاءت دفعة جديدة من المهاجرين من من وسط أوربا إلى وادى نهر البو ، وأتوا معهم بحضارة جديدة عرفت باسم حضارة الترامارى Terramare تشبه إلى حد ما الحضارة السابقة من حيث بناء المنازل وإقامة القرى التى أحاطوها بالأسوار وخنادق مملوءة بالماء .

والواقع ان هذه الحضارة كانت أكثر تقدما من حضارة البلافيت ، وكان هؤلاء المهاجرون الجدد مزارعين يمتلكون قطعانا كبيرة من الماشية ، وتعلموا نسج الثياب ، ومهروا فى صناعات الخشب والبرونز ، وعرفوا كذلك عادة حرق الموتى . لهذا فقد سادت منطقة شمال إيطاليا حضارتا البلافيت والترامارى .

أما وسط إيطاليا وجنوبها فقد استمرت حضارة عصر النحاس والبرونز ولكن تأثرت بمؤثرات خارجية من بينها حضارة الترامارى ، ولكن أهم من ذلك ما حدث من احتكاك حضارى بين الساحل الشرقى لبحر الادرياتيك وبين جزيرة صقليه التى تمتعت بتقدم حضارى أكثر من شبه الجزيرة الايطالية نظرا لاتصال صقليه بمنطقة بحر ايجه وخاصة فى الفترة ما بين (١٤٠٠ إلى ١٢٠٠ ق . م) . وكذلك اتصلت شبه الجزيرة الايطالية بسردينيا وكورسيكا ، حيث بلغت حضارة عصر ما قبل التاريخ القمة فى هذه الجزر نظرا لاتصالها بأسبانيا أهم مصدر للبرونز فى ذلك الوقت .

ثم عرفت تلك البلاد عصر الحديد الذى استمر حوالى ثلاثة قرون ابتداء من سنة ١٠٠٠ ق . م تقريبا . ويتميز هذا العصر بظهور حضارات اقليمية فى أنحاء متطرفة من وادى نهر البو وشبه الجزيرة الايطالية . وقد جاءت عناصر هندو – اوربية من أعلى وادى الدانوب واستقرت حول مدينة Villa Nova بجوار مدينة (Clogne) فى إيطاليا ، وجاءت هجرة أخرى هندو – اوربية استقرت فى اتروريا ، واندفعت هجرة ثالثة عبر نهر التيبر وتغلغلت فى إقليم لاتيوم ، وهذه الهجرات أدخلت الحديد وكيفية استخدامه وتصنيعه . وعقب ذلك أتت هجرة أخرى من الشعوب الهندو – أوربية لتستقر فى منطقة نهر البو والمنطقة المحيطة بالبندقية حاليا ، وابتلعت الهجرات القديمة التى جاءت فى عصر البرونز . أما فى الشرق والجنوب فقد انتشرت حضارة عصر الحديد نتيجة لاتصال تلك المناطق ببحر ايجه ومناطق البلقان الغربية وكنتيجة لقدوم الاليرين عبر

بحر الادرياتيك .

هجرة الاترورين والاغريق :

فى القرون التالية لعصر الحديد أو حضارة الـ Villanova جاءت شعوب أخرى من الشرق لتستقر على سواحل شبه الجزيرة ، ونقصد بهم الاتروسيكيون على الشاطئ الشمالى الغربى حتى شمال مصب نهر التيبر . ونستطيع أن نقول بشئ من التجاوز أنهم غلبوا على معظم وسط إيطاليا وشمالها .

أما الاغريق فقد استقروا على السواحل الجنوبية من البحر الادرياتيك حتى خليج نابلى ، وبدأت هجرات الاتروسيكيين منذ أواخر القرن التاسع واستمرت فى القرن الثامن ، أما الاغريق فقد كانت هجراتهم فى منتصف القرن التاسع واستمرت فى القرن الثامن حتى منتصف القرن السادس . ونتيجة لهذه الهجرات اتصلت إيطاليا حضاريا على نطاق واسع بمناطق الحضارة فى شرق البحر المتوسط فتدفقت المنتجات الشرقية على إيطاليا ، وتحولت نتيجة لذلك إلى حياة أكثر تحضرا بل ودخلت فى المرحلة التاريخية ، وقد سبق القول أننا ندين بالكثير من معلوماتنا عن إيطاليا للاغريق ونتوقع أن نعرف أكثر عندما تحل رموز اللغة الاتروسكية ، فإذا وصلنا للقرن السادس قبل الميلاد نستطيع أن نحدد توزيع السكان على النحو التالى :

(١) العناصر السابقة على الايطاليين Pre - Italic

(٢) العناصر الايطالية Italic

(٣) العناصر غير الايطالية Non Italic

أولا : العناصر السابقة على الايطاليين

Pre - Italic وهى :

أ – الليجريون Ligurians :

استقروا فى الركن الشمالى الغربى من إيطاليا ، واحتلوا جزءا من نهر البو والسهل

الواقع على هذا النهر ، أما على الساحل فانتشروا حتى مصب نهر الارنو Arno وقد بقوا بمعزل عن التاريخ الرومانى إلى أن بسطت روما سلطاتها على بلاد الغال فأخضعتهم لها .

ب – قبائل الفينتى Veneti :

استقرت فى الركن الشمالى الشرقى من إيطاليا وهى من أصل الليوى ، وقد خضعت للاتروريين فى القرن السادس قبل الميلاد .

جـ – قبائل الجابجيس Japyges :

وهى قبائل الليوية وأقامت فى أبوليا Apulia فى جنوب إيطاليا وشبه جزيرة كالبيريا (Calabri) حتى خليج تارنتم . وقد بقيت هذه الشعوب كذلك فى عزلة حتى الحرب البونية الثانية .

د – السيكانى – الصقلر Sicanni , Siculi :

ربما كان شعب الصقلرا Siculi قد أقام فى منطقة روما كما يقول بعض المؤرخين كانوا أول شعب نزل فى هذه المنطقة . لكن ما لبثوا أن طردوا منها عند مجئ القبائل الايطالية ، فلجأوا إلى جزيرة صقليه التى أعطوها اسمهم وأقامت معهم إلى صقليه قبائل السيكانى Sicanni .

ثانيا : الشعوب الايطالية

أ – اللاتين :

كانوا أسبق الشعوب الايطالية فى النزوح إلى إيطاليا واستقروا فى المناطق المنخفضة ولاسيما فى سهول لاتيوم ، وحال الاتروريون دون انتشارهم شمالا ، وحال الاغريق دون انتشارهم جنوبا .

ب – عناصر اومبرو – سابلين Umbro - Sabellians :

وهذه تنقسم بدورها إلى عدة عناصر من أهمها الاومبرو Umbrii والسابين والاكوى (Aequi) والفالسكوى (Valsci) والسامنيين (Sammites) والسابلييـن (Sabilians) ويرجح أنهم انتشروا فى شبه الجزيرة واستقر معظمهم على جبال الابنيين لأنهم وجدوا السهول آهلة بالسكان الذين كانوا أكثر تقدما منهم فى الحضارة والمنطقة الشمالية من جبال الابنين أمام الامبرور . أما السابليون فيرجح أنهم أقاموا فى وقت ما فى المنطقة الواقعة إلى شرق سهل لاتيوم ، وهذه القبائل ستكون من اللاتين الشعب الذى عرف بعد باسم الشعب الايطالى تمييزا له عن الاترووريين والاغريق والعناصر السابقة غير الايطالية مثل الليجريين والالبيين .

العناصر غير الايطالية :

ونقصد بهم : الاترووريين والاغريق والغال :

أ – الاتروريون :

سبق أن عرفنا بشئ من الايجاز أن هذا الشعب الاتروري قدم من الشرق وأقاموا فى سهل اتروريا ، وقد اختلف المؤرخون فى أصلهم فمثلا المؤرخون الاغريق مثل بلوتارخوس وابيان الاسكندرى قالوا بأنهم من آسيا الصغرى وأغارت على مصر مع عناصر أخرى عرفت باسم شعوب البحر المتوسط وذلك فى عهد رمسيس الثالث .

ومن المرجح أن شعوب تيرشا Tursha هم الاتروريون ، ويستند أصحاب هذا الرأى إلى ذلك التشابه فى العادات بين الالليريين وشعوب آسيا الصغرى بوجه عام ، وبين عادات الاترووريين ومظاهر حياتهم المختلفة .

وعلى أى حال فقد كان مجيئهم إلى ايطاليا عاملا هاما فى تقدم الحضارة ونشأة مدينة روما نفسها ، وربما كان عدد الاترومكيين قليلا عند مجيئهم ولكن نظرا لتفوقهم فى

السلاح واستخدامهم الحديد وقدرتهم على التنظيم ، كل ذلك مكنهم من احتلال مواقع استراتيجية على الساحل فى منطقة اتروريا .

ويكفى أن نذكر كدليل على تقدمهم فى الحضارة أنهم أنشأوا حوالى ثمانية عشرة مدينة وكونت اثنتا عشر مدينة من المدن حلفا عرف باسم المدن الاثنى عشر . وكان الغرض من هذا الحلف القيام بحفلات دينية مشتركة ، فضلا عن أهميته من الناحية المدنية والسياسية ، لأن تحالف عدة مدن كان خطوة نحو تكوين الدولة بشكلها الحاضر ، إلى جانب هذا التقدم من الناحية السياسية عرف الاتروريين كذلك البراعة فى فن الهندسة والعمارة وتنظيم الرى والتحكم فى فيضانات الأنهار . وبعد أن استقر لهم الأمر حوالى نهاية القرن السابع قبل الميلاد عبروا نهر التيبر وسيطروا على جزء كبير من اقليم لاتيوم واحتلوا الموقع الذى ستقوم عليه روما كما بعد وغيره من المواقع الهامة .

وفى أوائل القرن السادس قبل الميلاد زحفوا جنوبا إلى أراضى كمبيانيا الخصيبة ، حيث جعلوا من مدينة كابو Cabua مركزهم الأساسى . ولكنهم فشلوا فى محاولاتهم للاستيلاء على مدينة كوماى (Cumae) الاغريقية عام ٥٢٤ (ق . م) . وكان انتشار الاغريق فى هذه المعركة انتشارا ضعيفا لم يستطيعوا معه التقدم إلى الشمال .

قبل ذلك أغار الاتروريون على كورسيكا بعد أن تحالفوا مع القرطاجنيين يساعدونهم من طرد الاغريق من أقوى مستعمراتهم فى هذه الجزيرة سنة ٥٣٦ (ق . م) .

وفى أواخر القرن السادس قبل الميلاد عبر الاتروريون جبال الأبنين واتجهوا إلى سهل نهر البو ، واحتلوا المنطقة الواقعة بين ساحل بحر الادرياتيك وجبال الألب حيث يقيم عند ساحل بحر الادرياتيك الشعب الفينتى .

وهكذا أصبح الاتروريون فى القرن السادس قبل الميلاد أقوى مجموعة سياسية فى إيطاليا ، ولولا مقاومة الاغريق فى كمبيانيا لاستطاعوا توحيد إيطاليا فى فترة باكرة تحت زعامتهم .

ب – الاغريق :

استعمر الاغريق كما سبق القول السواحل الجنوبية لشبه جزيرة إيطاليا ، حيث أسسوا عددا كبيرا من المدن واستطاعوا أن يخضعوا بعض القبائل الايطالية وخاصة قبائل الجابجيس وهم فرع من الالليريين .

وكانت أهم المستعمرات التى أنشأوها فى أوائل القرن الثامن قبل الميلاد مستعمر كوماى Cumao وريجيوم Regium عن مضيق مسينا . ولعبت كوماى دورا هاما فى الحضارة الايطالية ، فقد استعمر الاتروريين من هذه المدينة الحروف الهجائية الاغريقية ، ومن ثم بدأت الكتابة ودخلت إيطاليا فى دور التاريخ . إلى جانب هاتين المستعمرتين أنشأ الاغريق مستعمرتا تارنتم وكذلك سيراكوز فى صقليه وغير ذلك من المستعمرات الاغريقية فى جنوب إيطاليا أو صقليه ، وعرفت منطقة جنوب إيطاليا عن الرومان باسم (Magna Graeca) أى بلاد الاغريق الكبرى . ولا يقنع الاغريق بإيطاليا ، بل انتشروا فى صقليه وسردينيا وكورسيكا وجنوب فرنسا حيث أسسوا مستعمرة مساليا وهى " مرسيليا " الآن ، ونشأة هذا التقدم من جانب الاغريق قابلته اجراءات مضادة من جانب الاتروريين والقرطاجيين .

ولاشك أيضا أن وجود المدن الاغريقية فى إيطاليا كان عاملا مهما فى تطورها الحضارى سواء عن طريق مباشر أو غير مباشر ، وخاصة بعد أن عرف الاتروريون الحروف الهجائية الاغريقية من مدينة كوماى .

فهذه المدينة تعتبر بمثابة المبشر بالحضارة الاغريقية فى تلك البلاد ، وقد وجدت الأساطير الاغريقية والأدب الاغريقى قبولا حسنا لدى سكان إيطاليا فى هذا الوقت . ولاعجب أبرز شئ فى تأثير الأدب الاغريقى على الأدب الايطالى وعلى أفكار الايطاليين والرومان بصفة خاصة هو حرص الرومان على ربط تاريخهم بالأساطير الاغريقية والتاريخ الاغريقى .

جـ - الغـال :

وفد الغـال إلى إيطاليا فى أوائل القرن الثامن قبل الميلاد على هيئة قبائل من منطقة غالة وهى فرنسا الحالية واستوطنوا حوض نهر البو وأعطوا هذه المنطقة من إيطاليا اسمهم فعرفت باسم Gallia Cisalpina واضطر السكان المقيمون فى حوض نهر البو إلى النزوح جنوبا ، واضطر هؤلاء السكان بدورهم من الضغط على سكان شبه جزيرة إيطاليا .

نشأة روما

اقليم لاتيـــوم :

يد هذا الإقليم شمالا نهر التيـبر ، وغربـا البحر التيرانى ، وشرقا جبـال الابنين . وهو عبارة عن سهل منخفض فى أغلب أجزائه ، وكانت تكسوه المياه فى العصور القديمـة . ولذلك كان يعتبر خليجا . ولاتزال هناك بعض المستنقعات فى الأجزاء المنخفضة ، كما عرف عن هذا الاقليم كثرة الزلازل البركانية لذلك كان السمان يفضلون الاقامة فى الأجزاء المرتفعة هربا من حمى الملاريا .

وقد عرف هذا الاقليم نفس عصور مـا قبل التـاريخ التى عرفتها إيطاليا ، ومن الثابت أن الانسان عاش فى اقليم لاتيوم اعتبارا من العصر الحجرى الحديث ، كما سادت الاقليم حضارة الترامارى .

لكنه كان يتأثر كثيرا بحضارة الـ Villanova وحوالى عام ١٥٠٠ ق . م جاءت إلى سهل لاتيوم شعوب إيطالية امتزجت بالقبائل الليجرية التى كانت موجودة به منذ العصر الحجرى الحديث .

أما فى أوائل العصور التاريخية فقد بدأ هذا الاقليم يحتك بالعالم الخارجى ، خاصة مع الاغريق والاترورين ويرجع الفضل إلى هؤلاء فى التقدم الذى حدث فى لاتيوم من الناحية الحضارية . وما لبثت القرى أن تحولت إلى مدن تحصنها الأسوار وتقوم بها القلاع وبعض المعابد على الطراز الاتروري ، وزاد السكان فى هذا الاقليم فى القرن السادس قبل الميلاد نظرا لأعمال الرى وإقامة الخزانات التى اشتهر بها الاترورين .

أما من الناحية السياسية فليس هناك من دليل على أن كل اللاتين اندمجوا فى دولة واحدة ، بل بالعكس انقسموا إلى عدد كبير من الوحدات احتلت منطقة معينة ومحددة هى (Pagus) وهذه الوحدات أقامت فى المدينة المحصنة (Oppidum) .

وما لبثت المدن القوية أن أخذت تبتلع الصغرى الضعيفة رغما عن المشاعر المشتركة ، ثم ما لبث الاقليم أن دخل فى مرحلة تنظيمية جديدة هى مرحلة تكوين الأحلاف لتستطيع صد غارات المعتدين والقيام بالواجبات الدينية ، فتحالفت المدن فى أحلاف محلية تمخضت عن حلفين كبيرين أحدهما مكون من القرى الواقعة حول مدينة (Alba Longa) الواقعة على الساحل الغربى لبحيرة (Alba) الواقعة جنوب روما ولكن زعامة هذه المدينة لم تكن تتجاوز الناحية الدينية .

والحلف الثانى مكون من القرى التى تجمعت فى المنطقة التى ستقوم فيها روما بعد ذلك ، وحيث كانت توجد مجموعة من التلال الصغيرة سمى الحلف أولا باسم الحلف البلاتينى ، ثم تطور هذا الحلف وأصبح يعرف باسم حلف التلال السبع .

روما :

تقع المنطقة التى ستقوم عليها مدينة روما على نهر التيبر على بعد حوالى ٥٠ ميلا من البحر ، حيث شق نهر التيبر طريقه بين بعض التلال المنخفضة وكونت التلال السبعة المذكورة جزءا من روما فى أواخر عصر الجمهورية ، وفى عصر الامبراطورية امتدت المدينة عبر نهر التيبر فى الناحية الغربية من شاطئه فشملت كل الأراضى المنخفضة على طول النهر ، كما شملت كذلك تل (Fania - culum) .

أما روما فقد نشأت نشأة متواضعة ولم تصل إلى مرحلة المدينة الكبيرة إلا بعد وقت طويل . ومن الأفضل أن نرى قيام تلك المدينة من واقع الأساطير .

وأشهر هذه الأساطير هى التى تروى أن اينياس Aeneas أحد الأبطال الطرواديين فى حربهم الشهيرة ضد الاغريق ، قد فر بعد سقوط المدينة وتدميرها على يد الاغريق ، ووصل بعد تجواله فى البحار إلى شمال أفريقيا ونزل فى المكان الذى قامت فيه مدينة قرطاجة ، ثم واصل رحلته إلى صقليه ، ثم إلى إيطاليا حيث استقر بلاتيوم وأسس هناك

إحدى المدن ، وجاء أحد أبنائه من بعده فأسس بلدة البالونجا ، ثم جاء أحفاده بعد مضى عدة أجيال ويدعى رومولوس Romulus فأسس مدينة روما التى حملت اسمه .

وبعد أن نترك الأسطورة . . . وإذا أردنا أن نجعل دليلنا الحقائق التاريخية المستمدة من الكشوف الأثرية ؛ فيجب أن نذكر النقاط الآتية :

أولا : فى العصر الحجرى الحديث كان الليجريون يقيمون فى قرية افنتينوس (Aventinus) .

ثانيا : بعثت مدن الحلف الألبى (Alba Longa) بمستعمرين من أبنائها لإقامة نقطة مراقبة فاحتلوا جزءا من تل (Avantinus) وذلك فى القرن العاشر قبل الميلاد ، وكان الغرض من احتلال هذا القسم من التل هو صد هجمات الاتروريين . وما لبث الحلف الألبى أن أقام عددا من القرى على قمم بقية التلال .

ثالثا : جاءت عناصر من السابين وغيرهم من العناصر الإيطالية وأسسوا قريتين على قمتى (Viminlia) ، (Quirinalis) ومن مجموع هذه الأحلاف ظهرحلف التلال السبعة (Sopti - montium) الذى كان نواة لمدينة روما .

وقد سبق القول أن الاتروريين كانوا مغرمين بإنشاء المدن وتكوين الأحلاف ، وبعد أن استقام الأمر لروما عملت على تدهور الحلف الألبى سيما وأن أعضاءه كانوا قد انضموا إلى تلك المدينة الجديدة . وفى القرن الرابع قبل الميلاد أنشأت روما مستعمرة على الساحل التى أصبحت فيما بعد بنائها من أحد ضواحيها ، وقد أحيطت روما بسور مقدس أو خط حدود يسمى (Poemerium) .

وقد تطورت الحياة فى روما لتصبح أقرب إلى الاستقرار وبعد أهلها عن الحياة المتوحشة ، فتكونت الأسر التى مانت تضم إلى جانب الوالدين والأبناء والأحفاد وعددا من العبيد Servi وكانوا أسرى حرب أو من الذين اسرفوا فى الدين بعد أن كانوا أحرارا لأنهم لم يسددوا ما عليهم من الديون . وتسرى على هؤلاء سلطة الأب (Patria Potestas) وكذلك كان ينضم إلى الأسرة بعض الأتباع ، وهم قوم من الأحرار ربطوا مصيرهم بمصير الأسرة ، وتسرى عليهم أيضا سلطة الأب . فالأب إذا يجمع بين السيطرة والتحكم فى أبناء الأسرة وفى العبيد وفى الأتباع .

روما فى العصر الملكى :

قال تاكتوس Tactus فى مستهل كتابه (Annales) الحوليات (كان يحكم روما فى البداية الملوك) وقد عرفت روما عددا من الملوك قد يكون بعضهم شخصيات تاريخية . إلا أننا لانملك سجلا وافيا يمكن الاعتماد عليه فى معرفة تفاصيل عن حياة هؤلاء الملوك وكيف حكموا وما ساد بعدهم من النظم ، رغم أننا نستطيع أن نكون فكرة عن الكثير مما كان سائدا فى العصر الملكى من دراستنا للأوضاع المختلفة فى العصر الجمهورى ، ولاشك فى أن الكثير من النظم الاجتماعية والسياسية وغيرها التى كانت فى العصر الجمهورى إنما ترجع بعض أصولها إلى العصر الملكى .

ومما لاشك فيه أن روما تدين بنشأتها الأولى إلى الملوك الاترورريين ، ونستطيع أن نميز بين ملوك روما الأوائل أربعة خرافيين هم :

(١) روملوس [1] Romelus

(٢) نوما Numa

(٣) تولوس هوستيليوس Tullius Hostilius

(٤) انقيوس مارقيوس Ancus Marcius

حكموا من عام ٧٥٣ إلى عام ٦١٧ ق . م وأهمهم هو الملك Numa فقد قال عنه شيشرون أنه وجه اهتمام الرومان المولعين بالحرب والقتال إلى شئون الدين فاستتب السلام والأمن مدة أربعين عاما . وإلى جانب هؤلاء الملوك الأربعة هناك ثلاثة تاريخيون هم :

(١) تاركوينيوس بريسكوس Tarquinius Priscus

(٢) سرفيوس توليوس Servius Tullius

(٣) تاركوينيوس سوبيربوس Tarquinius Superbus

---

(١) وهو الأمير الذى قيل أنه الذى أسس المدينة ، وردوا بأنه ابن أميرة من بلدة البالونجا أنجبته من الاله مارس Mars ووصلوا بنسبه إلى اينياس Aenaas البطل الطروادى .

المهم ملاحظة أن إنشاء المدن في إيطاليا وخاصة مدينة روما كان أمراً غاية في الأهمية ، وكان قد صحب انشاؤها إقامة الحفلات الدينية ، هذه الحفلات التي تعود أيضا إلى عصر الاترورييين فإحاطة المدينة Urbs بخط الحدود المقدس (Poemerium) كان أمرا لابد منه ، فهو كان يخطط أولا حول موقع المدينة وتعتبر كل الأماكن الواقعة في الداخل مكانا مقدسا تقوم فيه الحفلات الدينية وشعائر الدين (Auspicia) ويصبح المكان بأكمله بمثابة (Tempulum) . وهذا الخط فضلا عن ذلك له أهمية من النواحي الادارية والسياسية والقضائية والدينية ، وهو يفرق بين المدينة (Urba) وبين الأرض العامة (Ager Publicus) ويحدد هذا الخط المنطقة التي لاتتجاوزها اختصاصات الموظفين في المدينة ، وإذا خرج الموظفون لمباشرة وظائفهم خارج هذا الخط فكان لابد من منحهم سلطات استثنائية ، وهذا الخط لك يكن خطا ثابتا جامدا إنما كان يمتد وتزداد الرقعة التي يحيطها كلما ازداد اتساع المدينة ، فمثلا يحدثنا ليفي أن الملك سرفيوس توليوس (Servius Tullius) أضاف عدة تلال إلى روما عندما زاد عدد سكانها .وكان من الطبيعي أن يشملها هذا الخط .

النظم السياسية

الملك (Rex) :

لم تكن الملكية الرومانية وراثية صرفة بل كانت انتخابية على النحو الذي عرفته المدن الاغريقية ، حيث يتزعم الملك عددا من الأسر النبيلة ، وكان زعماء هذه الأسر يختارون الملك ثم يقرر الشعب هذا الاختيار .

ثم يمنح الملك سلطة خاصة اصطلح على تسميتها امبريوم (Imerium) وكان لابد من منحه هذه السلطة ليكون ملكا شرعيا . ويقصد بهذه الكلمة أن الملك هو صاحب السلطة الكاملة في الحكم عسكريا ومدنيا ودينيا وقضائيا ، وكانت لاتمنح لغير الملك في العصر الملكي .

والأصل في هذه السلطة أن مجموعة المواطنين كانوا يمنحونها للملك ثم تعتمدها الآلهة التي لابد من معرفة مشيئتها وموافقتها وفقا لاجراءات دينية معينة Auspicia .

وكان رمز الملكية حزمة صغيرة من العصى بينها فأس أو بلطة عرفت باسم (Fasces) يحملها أتباع الملك يقصدون من حملها تذكير الناس بالطاعة الواجبة نحو ملوكهم .

هذا وتعبر الامبرويوم عن السلطات الآتية :

أولا : كان الملك هو صاحب السلطة العليا فى الشئون الدينية ، لأنه مسئول عن قيام علاقات طيبة بين سكان المدينة من البشر وسكانها من الآلهة ، وكان يقوم بمساعدته مجلس مكون من الكهنة (Pontifices) وهيئة أخرى من العرافين (Augures) وهؤلاء يستطيعون إلى حد ما الحد من سلطة الملك الدينية ، فكان لايبت فى الأمور الهامة إلا بالرجوع إليهم .

ثانيا : السلطة القضائية العليا لاقرار السلام فى المدينة وللفصل فى الخلافات وله حق الحكم بالإعدام ، ولكنه فى هذه الحالة كان يلزم باستشارة مجلس الشيوخ Senatus .

ثالثا : السلطة العسكرية الكاملة ، وهذه ليباشرها فى ميدان القتال .

مجلس الشيوخ (Senatus) :

لعب هذا المجلس دورا على جانب كبير من الأهمية فى تاريخ روما والعصر الجمهورى بصفة خاصة . وهو مجلس المسنين ولكنه فى الواقع يمثل رؤساء العشائر ، وبذلك كان مجلسا ارستقراطيا ، وكان الملك يستشيره كثيرا وإن كان غير ملزم باتباع ما يوصى به .

جمعية الاحياء (Comitia Curiata) :

كان الشعب الرومانى مقسما إلى ثلاثين Curiae تقابل الأقسام التى انقسمت إليها روما ، وربما كانت عضوية هذه الوحدات وراثية ، كما كان لكل Curia عبادة خاصة ثم اندمجت إلى (Curia) فى وحدات أكبر فانقسمت روما إلى ثلاث قبائل هى :

(١) كويريس Lucres (من أصل اتورى) .
(٢) تتيس Tities (من أصل سابينى) .
(٣) رامنيس Ramnes (من أصل لاتينى) .

وصلت هذه الأسماء مستعملة فى فرق الفرسان لأن الجيش كان يجند فى أول الأمر على أساس قبلى ، وعند اجتماع كل أعضاء الكورة Curia فإنهم يؤلفون مجلسا شعبيا يعرف باسم مجلس الأحياء Comitia Curiate ، ويجتمع المجلس بدعوة من الملك لعرض المسائل التى تهم الشعب الرومانى بأكمله مثل مسائل التبنى والوصاية ومنح حقوق المواطنة (Civitas) . ولكن لم يكن للمجلس سلطة تشريعية ، ولكن كان لابد من موافقة المجلس رسميا فى حالة إعلان الحرب ، أو تنصيب ملك جديد ، أو عند منح الملك سلطة الامبريوم .

دستور سرفيوس توليوس Servius Tullus :

ينسب إلى هذا الملك أنه أصلح من دستور روما ، كما وضع الأساس الذى ستقوم عليه الجمهورية الرومانية وحفظ التوازن بين الطبقات ، وكان ذلك التوازن أمرا بالغ الأهمية لأنه إذا طغت طبقة على أخرى واختل بينها التوازن انهارت الدولة ، ولايمكن أن تبقى طبقة الأشراف الممتازة محتكرة لكل شئ فى روما ، فكان من الطبيعى أن يبرز إلى جانبها العنصر الشعبى .

كان المجتمع الرومانى Popolus Romanus الأول مكونا من الرومان ، وهذا الشعب ينقسم بدوره إلى عنصرين أساسيين هما : الأشراف (Patricii) والعامة (Popolus) .

وهذا التقسيم أصبح واضحا بعد نهاية العصر الملكى وبينما كانت قوة الأشراف ترجع إلى طابعهم الارستقراطى وعظم ثراؤهم وتفوقهم فى النواحى العسكرية وتأييد الأتباع (Clients) لهم واحتكارهم عضوية مجلس الشيوخ . وقد كانوا عنصرا ممتازا دون شك ، وقد ادعوا لأنفسهم حقوقا مكتسبة استمدوها من أصلهم القديم ، أما العامة فكانوا مواطنين أحرارا أقل ثروة من الطبقة الأولى ، وكان منهم ملاك الأراضى والصناع والتجار والعمال ، ولكن ليس لهم نصيب فى عضوية مجلس الشيوخ وليس لهم دور مباشر فى إدارة شئون روما ويقتصر حقهم الدستورى على التصويت فى جمعية الاحياء Comitia Curata ، وبمضى الزمن ازدادوا ثروة وعددا ، فى الوقت الذى كان يقل فيه

عدد أفراد طبقة الأشراف (Patricii) . وواضح أن مركز روما من الناحية التجارية كان مركزا ممتازا فاجتذب الكثير من اللاتين والرومان من طبقة العامة ، وجنوا أرباحا كثيرة من الاتصال باتروريا ، ففطن الاتروسيكيون إلى أهمية هذه الطبقة التى لاتشترك اشتراكا فعليا فى الدفع عن الدولة ، بينما كان فى وسعهم بما توفر لهم من ثروة أن يسلحوا أنفسهم وأن يشتركوا فى تنظيمات الجيش الرومانى المختلفة .

وكان هذا الجيش يشكل من الأشراف مهما كانت ثروتهم كبيرة كانت أم صغيرة ، والأشراف إلى جانب ذلك يتحملون الخسائر فى الأرواح وفى الأموال . فأحدث الملك سرفيوس توليوس Servius Tullius – إذا صح نسبة الدستور إليه – تغييرا هاما فى الجيش الرومانى ، بل وتقسيم جميع السكان إلى طبقات (Classes) حسب ثروتهم ، وقسم كل طبقة إلى عدد من المئينات (Centuries) وعلى مئين Centuries كانت تتألف من مائة شخص . وكان الفقراء المعدمون يعفون من الخدمة ، كما أن عددا من كبار الأغنياء ترك خارج هذه الوحدات فتألفت منهم (Genturias) من الفرسان أضيفت إليهم ست (Centuries) من الأشراف فأصبح مجموعهم (١٨) .

وكانت الحكومة تمد هؤلاء الفرسان بالخيل والعلف نظير ضريبة كان يدفعها الأشراف ممن كانوا لايستطيعون الاشتراك فى الخدمة العسكرية ، وكان الفرسان يعرفون باسم Equites eque Pablico وذلك لأن الدولة كانت تمدهم بالخيل .

وفيما يلى بيان بالمئينات التى انقسم إليها الشعب الرومانى :

أولا : الطبقة الأولى :

كان يمتلك أعضاؤها نصابا ماليا قدره مائة ألف Asses وعددهم ٨٠ وحدة مئوية ويتحتم على أفراد هذه الفرقة أن يسلحوا أنفسهم بخوذة ولوح من النحاس يقى الصدر ، ولوحين من الجلد يقيان الأرجل ، ودرع مستدير وسيف وحربه Hasta ومنهم كانت تتكون الصفوف الأربعة الأولى من فرق المشاه .

ثانيا : الطبقة الثانية :

يمتلك أفرادها ٧٥ ألف Asses وعددهم ٢٠ Centuries ، وهؤلاء يزودون أنفسهم بدرع طويل من الجلد بدلا من الدرع المستدير ولوحة للصدر .

ثالثا : الطبقة الثالثة :

يمتلك أفرادها ٥٠ ألف Asses وعددهم ٢٠ Centuries وكانوا مثل أفراد الطبقة السابقة من حيث الملبس ، وليس لهم شئ يقى الرجلين .

رابعا : الطبقة الرابعة :

يمتلك أفرادها ٢٥ ألف Asses وعددهم ٢٠ Centuries ، ويحملون نوعا قديما من الحراب ويقفون إما فى المؤخرة ، أو يستخدمون فى المناوشات فى مقدمة الجيش .

خامسا : الطبقة الخامسة :

أفرادها يمتلكون ثروة تقل عن ١١ ألف Asses وعددهم Centuriae ، وليس لهم لبس معين أو سلاح معين ، بل كانوا يشتركون فى الحرب بلباسهم العادى ويستعملون المقلاع والطوب .

سادسا : الطبقة السادسة :

تتكون ممن تقل ثروتهم عن ١١ ألف Asses وكانوا يكونون Centuria واحدة وغير مكلفين بالاشتراك فى الحرب .

ويســــــون :

الطبقة الأولى	١٠٠٠٠٠ آس - ٨٠ وحدة = ٤٠ + ٤٠
الطبقة الثانية	٧٥٠٠٠ آس - ٢٠ وحدة = ١٠ + ١٠
الطبقة الثالثة	٥٠٠٠٠ آس - ٢٠ وحدة = ١٠ + ١٠
الطبقة الرابعة	٢٥٠٠٠ آس - ٢٠ وحدة = ١٠ + ١٠
الطبقة الخامسة	١١٠٠٠ آس - ٢٠ وحدة = ١٠ + ١٠

يضاف إليهم وحدتان من الفنيين Eabri (مدفعية بدائية) تلحقان بالطبقة الأولى ، وثلاث وحدات موسيقية بالطبقة الخامسة ، ووحدتين المعدمين (Prolerarii) ويمتلكون أقل من نصاب الطبقة الخامسة فيكون عدد الوحدات ١٩٤ وحدة مئوية .

ونتيجة لهذا التقسيم الجديد أن كان يحدث كل سنة عملية تعداد أو احصاء Gensus وكانت تتم باحتفال دينى وتقدم أثناءها القرابين . ويبدو أن الثروة التى كانت أساس هذا التقسيم كان المقصود بها ثروة الأرض ، أما أنواع الثروة الأخرى من منقولة أو غيرها

فلم تكن قد عرفت بعد . وكان الشعب الرومانى يجتمع فى الوحدات المئوية فى ميدان اله الحرب مارس Campus Martins خارج أسوار روما ، ويطلق على هذا الاجتماع كلمة (Exercilus) . ومن حق الملك بما له من سلطة الامبريوم (Imperium) دعوة الشعب للاجتماع فى الوحدات المئوية ، فتشكل من هذه الوحدات مجلس جديد عرف باسم (Comitia Centuriata) ولسنا نعرف بالضبط متى اكتسبت هذه الجمعية سلطة سياسية حقيقية ، وإن كنا نعرف أنه حينما طرد آخر ملك من روما سنة ٥٠٩ ق . م كانت هذه الجمعية تعتبر من أهم جمعيات روما السياسية ، ولكن يبدو أن هذه الجمعية بدأت تكتسب نفوذا وأهمية منذ بداية تكوينها مادامت الثروة هى أساس قيامها ، وكان التصويت فى جمعية الأحياء (Comitia Ciniata) من حق جميع الأعضاء والأصوات متعادلة ، أما فى هذا المجلس فكانت لكل وحدة مئوية صوت واحد ، بمعنى أنه إذا اتفقت الطبقات الثلاثة الأولى على رأى معين فإن بقية الطبقات تلتزم به ولاداعى لأخذ أصواتها .

وهناك أهمية أخرى للمجلس هو إعطاء الفرصة للعامة ليقفوا على قدم المساواة على أساس الثروة مع الأشراف ، وهذا ساعد على أن الجميع اشتركوا فى الدفاع عن روما وسياسة روما دون أى تمييز ، كما أن المجلس انتزع لنفسه حق الموافقة على إعلان الحرب . وبمضى الوقت انهار نظام العشيرة القديمة ، وبدأ العامة يشاركون مشاركة محددة فى إدارة شئون الدولة ما دام قد ألقى على كاهلهم عبء الخدمة فى الجيش ، ثم قامت إلى جانب هذه المجالس مجلس يسمى Comitia Tributa نسبة إلى Tribus ، وهذا المجلس اشترك مع جمعية الأحياء فى مناقشة المسائل العامة للدولة .

الفصل الثانى

الجمهورية الرومانية

حوالى عام ٥٠٩ ق . م قامت فى روما أحداث خطيرة انتهت بزوال الملكيـة وقيـام الجمهورية ، وينبغى أن نفهم أن هذا التغيير لم يحدث فجأة بل تم على مراحل ، ربما بدأت سلسلة الاصلاحات على النحو الذى رأيناه فى الدستور الذى نسب إلى سـرفيوس تليوس ، وانتهى آخر الأمر إلى قيام النظام الجمهورى ذلك لأن دستور روما فى عصر الجمهوريـة لم يكن بالجديد تماما على الرومان .

وقد اتخذ عام ٥٠٩ ق . م تاريخا لقيام النظام الجمهـورى فى رومـا ، وهـو نظـام دام قرابة خمسة قرون امتدت حتى عام ٣٠ ق . م حين سقط ذلك النظام ليقـوم مـن بعده حكم المواطن الأول (Princeps) على يد أوغسطس ، وهو نظام دخلت به روما مرحلة جديدة من تاريخها هى مرحلة الحكم الامبراطورى .

ويقسم المؤرخون هذه الفترة الطويلة عادة إلى مرحلتين تنتهى أولاهما بعد منتصـف القرن الثالث قبل الميلاد ببضع سنين ، وتنتهى المرحلة الثانية بعام (٣٠ ق . م) . ومـرد هذا التقسيم الاصطلاحى إلى أن روما كانت قد انهت فى حوالى منتصف القرن الثالث قبـل الميلاد طور تكوينها كدولة ذات زعامة فى إيطاليا بعد أن أتمت توحيد شبه الجزيرة تحـت زعامتها وتهيأت لتلعب دورا خطيرا خارج إيطاليا ، ومن ناحية ثانية أتمت طـور تكوينهـا كدولة اتخـذت نظمهـا الجمهوريـة شكلا ثابتـا مستقرا إلـى حـد كبير بعـد أن انتهت فترة الصـراع الطبقى فيهـا بين الأشراف والعامـة ، وكفلـت المسـاواة السياسـية بيـن جميـع المواطنين الرومان . وعلـى هذا فإنـه فـى دراستنا للجمهوريـة الرومانيـة الأولـى تطالعنـا قصتان توضحان تطور روما : أما القصة الأولى فهى قصة توسع روما فـى شـبه جزيـرة إيطاليا ، وأما القصة الثانية فهى قصة تطور نظم الحكـم الرومانيـة والصـراع الـذى جـرى بين طبقتى الأشراف والعامة حتى قيام المساواة السياسية بينهما .

ولعل من الأوفق – تيسيرا لتناول الموضوع – أن نتبع كلا من القصتين على حدة حتى نهايتها . ولكن ينبغى أن ننبه بادئ ذى بدء إلى أنهما كانتا قصتين متزامنتين متفاعلتين ، أعنى أنهما كانتا تجريان فى ذات الوقت ، وأن كلا منهما كانت تؤثر فى الأخرى وتتأثر بها تأثيرا قويا مباشرا . ولسوف نرى كيف أن انتصارات روما أو هزائمها وهى تمضى فى فتح إيطاليا كانت تدفع إلى تطوير دستورى أو إصلاح لمواجهة احتياج عملى محدد ، وكيف كانت الاصلاحات والتطورات الدستورية من ناحية أخرى تؤثر على موقف روما فى ميادين القتال وطبيعة العلاقات مع الشعوب الايطالية .

أولا : روما وشبه الجزيرة الايطالية

روما وإقليم لاتيوم :

ولعل هذا الخطر المشترك الذى أحست به روما وأحس به اللاتين وهو الذى جعل رغبات الأطراف تلتقى عند توقيع حلف دفاعى ، إذ أنه فى عام ٤٩٣ ق . م عقدت روما مع اللاتين معاهدة عرفت بمعاهدة (Foedus acquum) كلسيوس نسبة إلى سبوريوس Spurius Cassius أحد قنصلى ذلك العام ، وهو الذى تم توقيع المعاهدة بفضل جهوده واعترفت روما فى المعاهدة بالمساواة بينها وبين اللاتين فى الحقوق المدنية ، ومنح الرومان حق الاتجار والتعامل (Ius Commercium) فى أى مدينة لاتينية ، وحق الزواج (Ius Conubium) من أى سيدة لاتينية بحيث يكون لأبنائها منها حق الميراث وفقا لهذا الزواج . كذلك منح اللاتين هذين الحقين فى مدينة روما .

ونصت المعاهدة على اشتراك روما والمدن اللاتينية فى حلف عسكرى .

وخاضت روما والمدن اللاتينية طيلة القرن الخامس قبل الميلاد حروبا متصلة ضد القبائل التى كانت لاتفتأ تهاجمها من الجبال الشمالية . وقد خرجت روما من هذه الحروب منتصرة بوجه عام ، ففى عام ٤٩٩ ق . م . تلحق روما بالسبابينيين هزيمة ساحقة وتضم جزءا كبيرا من أراضيهم إليها . ثم تصد هجمات الفولكى والايكوى وهم أخطر القبائل التى نازلتها روما وحلفاؤها اللاتين .على أن أعظم ما حققه الحلف فى هذا الصدد هو

انتصار روما على مدينة فياى الاترسكية . وكانت فياى تبغى حرية الملاحة فى نهر التيبر والوصول إلى البحر. وكانت المشكلة التى أدت إلى اصطدام المدينتين إحداهما بالأخرى هى تقرير هذا السؤال : أيهما يتحكم فى مصب نهر التيبر وضفتيه ؟ ولو أن روما هزمت فى هذا النضال لقاست المصير الذى انحدرت إليه فياى بعد انهزامها . لكن روما اسقطت المدينة فى عام ٣٩٦ ق . م بعد أعوام طويلة فى حصارها ودمرتها عن آخرها ، وضمت ممتلكاتها إليها .

الغال وروما :

إن تقدم روما وتوسعها فى اقليم لاتيوم قد توقف فترة من الوقت نتيجة لخطر داهم هدد روما بعد حوالى ستة أعوام من انتصارها على مدينة فياى . ذلك هو خطر الغال الذين كانوا قد بدأوا منذ القرن الخامس قبل الميلاد يحتلون الاقليم بعد الآخر فى شمالى إيطاليا ، خاصة المنطقة التى عرفت باسم بلاد الغال فى هذه الناحية من الألب (Callia Cisalpina) وحوالى عام ٤٠٠ ق . م . غزا الغال اقليم اتروريا وأعملوا فيه السلب والنهب ، وحاولا أن يستولوا على المدن إلا أن أسوارها الحجرية المنيعة صدتهم عنها .

ومع ذلك استمر الغال فى شن هجماتهم جنوبا حتى وصلت بهم إحدى هذه الهجمات إلى ضفة نهر التيبر ، بل وإلى مدينة روما نفسها بعد أن هزموا جيوش الرومان والحلفاء اللاتين على ضفاف نهر آليا (١) ، ودخل الغال روما . وكانت أخبار وحشيتهم البالغة قد بلغت أهلها فهجروها لعدم ثقتهم بأسوارها ، ولجأوا إلى الكابيتول . وأعمال الغال فى المدينة التخريب ، وحاصروا الكابيتول لكنه لم يسقط فى أيديهم ، والأغلب أن الغال لم يكونوا يبغون الاستقرار فى لاتيوم ، وإنما كانت إغارتهم تستهدف الغنائم والأسلاب ، لهذا نجدهم ينسحبون من روما بعد أن فرضوا عليها غرامة حربية كبيرة . ولعل السبب فى إنسحابهم أيضا هو إغارة بعض القبائل على الأراضى الغالية فى الشمال .

وكان لهذه الكارثة أثرها على روما ، فقد بينت الغزوات الغالية أن جيشا يتألف من

---

(١) أحد روافد نهر التيبر .

الأشراف وحدهم لايستطيع أن يتدبر أمر الاحتياطات العسكرية الدفاعية والهجومية ، وأن المدينة ينبغى أن تحاط بأسوار منيعة من الحجر . كذلك كان للغزوات الغالية أثرها فى التطور السياسى والاقتصادى فى داخل روما ذاتها ، وهذا ما سنعرض له عند تتبعنا لتطور نظم الحكم فى العهد الجمهورى الأول . وعلى أى حال فقد عاد الرومان إلى مدينتهم بعد انسحاب الغال ، وأقاموا حولها أسوارا جديدة من الحجر ثم عاد الغال الكرة فهاجموا اقليم لاتيوم مرة أخرى فى عام ٣٦٠ ق . م . ولكن روما صمدت لهم وأجبرتهم على الانسحاب .

الحرب مع اللاتين وحل العصبة اللاتينية :

وهكذا بعد أن أصبحت روما الآن قادرة على أن تصد أى هجمة يقوم بها الغال ، وأخذت توسع أملاكها بالتدريج فى منطقة أترورية ، واستطاعت أن تعقد مصالحات مع جيرانها الخطرين من قبائل الفولسكى والايكوى الذين كانوا دائمى الاغارة من مواقعهم على الشمال ، ثم استطاعت أن تضم قسما من أراضى الفولسكى . لكن بدت الصعوبات من جانب المدن اللاتينية التى شعرت بضغط روما وتوجست من ازدياد قوتها ، وأخذت بعضها تشق عصا الطاعة .

والواقع أن عدة ظروف قد أثارت اللاتين على روما بعد انحسار الغزوة الغالية ، ذلك أن روما كانت ترمى إلى استغلال موارد العصبة اللاتينية دون أن تجنى مدن العصبة أى نفع من وراء ذلك ، أو على الأقل كانت روما تريد أن تفوز بنصيب الأسد من كل نجاح تحرزه بمساعدة العصبة ، حدث هذا مثلا عندما ضمت روما أراضى الفولسكى ، واحتفظت لنفسها بمكان الأفضلية فيها . ومن ناحية أخرى أخذت روما تتجه إلى السيطرة التامة على علاقات العصبة مع جيرانها ، فتحالفت مع السامنين (Samnites) الذين كانوا ينزلون إلى الشرق من اقليم لاتيوم بحجة أن التحالف موجه ضد الغال . وفى عام ٣٤٨ ق . م . تفاوضت روما باسم العصبة مع قرطاجة أقوى دولة بحرية وقتئذ ووقعت معها فى هذا العام نفسه معاهدة ، تعهدت فيها قرطاجة بأن تتعرض للمدن اللاتينية طالما بقيت على ولائها لروما . بل تعهدت قرطاجة أكثر من ذلك بأن تعيد إلى سيطرة روما أى

مدينة لاتينية تخرج عن طاعتها وذلك إذا سقطت فى يد قرطاجة . وهكذا فإن هذه المعاهدة التى حفظها لنا المؤرخ بوليبوس (Polybius) قد كفلت لروما السيطرة على حلفائها اللاتين .

وإلى جانب هذا ، أخذت روما توجه اهتمامها للسيطرة على قليم كمبانيا الذى كان يتمتع بعدة ميزات عسكرية هامة بالنسبة لها ، كما كان معروفا بخصبه وثرائه .

كل هذه الظروف قد أدت إلى تذمر مدن العصبة اللاتينية التى أخذت تطالب بالحقوق السياسية العامة (Iura Publica) لروما إلى جانب الحقوق المدنية أو الخاصة (Iura Privata) التى كانوا حصلوا عليها بمقتضى معاهدة كاسيوس كما سبق أن ذكرنا . وكانت هذه الحقوق السياسية هى حق انتخاب الموظفين الرومان ، وحق الترشيح للوظائف الرومانية . ورفضت روما مطالب حلفائها الذين بلغ تذمرهم غايته بحيث أصبح فى عام ٣٤٠ ق . م . ثورة عارمة .

وكان لابد من قيام الحرب . وانتصرت روما سجلت العصبة اللاتينية فى عام ٣٣٨ ق . م . وألزمت مدن العصبة ، كل مدينة على انفراد بقبول شروطها وحرمت المدن مما كانت تتمتع به من حقوق خاصة (حق التعامل وحق الزواج) فيما بينها ولم تفقدها فى مدينة روما . أعنى أن المواطن من المدينة اللاتينية أصبح يتمتع بهذه الحقوق فى مدينته وفى مدينة روما فقط ، بينما كان الرومانى يتمتع بها فى كل المدن اللاتينية . واشترطت روما ألا تقوم هذه المدن بتكوين حلف لاتينى فيما بينها ، وقد أجبرت روما خمسا من هذه المدن على أن تتحالف مع روما على أساس تقديمها المعونة العسكرية إليها . والواقع إن روما قد سيطرت على كل الامكانيات العسكرية فى اقليم لاتيوم ، وأصبح كل اللاتين يخدمون القوات المساعدة (Auxilia) فى الجيش الرومانى وذلك بوصفهم حلفاء ، وإن كانوا يفعلون هذا بوصفهم رعايا فى حقيقة الأمر . أما الذين كانوا يحصلون على حقوق المواطنة فكانوا يخدمون فى الفرق الأساسية (Legiones) المكونة للجيش الرومانى .

أما اقليم كمبانيا فقد استطاعت روما أثناء تلك الحرب أن تقنع أهله بنقض التحالف الذى كانوا قد عقدوه مع اللاتين والدخول فى حلف معها ، بحيث يصبح الاقليم جزءا من الدولة الرومانية ، ومنحتهم الحقوق الرومانية المدنية . وبالرغم من أن سكان كمبانيا لم

يمنحوا الحقوق السياسية ، فإنهم كانوا من الناحية العسكرية مواطنين كـاملين يخدمـون فى الفرق الأساسية (Legiones) كما أنهم احتفظوا بنظمهم المحلية فى بعض الأحوال .

وهكذا عندما تنتهى الحروب اللاتينية ، تصبح روما سيدة اقليم لاتيوم بـلا منـازع وتوسعت أملاكها حتى بلغت خليج نابلى جنوبا .

الحروب السامنية :

وفى الوقت الذى كانت روما فيه جادة فى تطهير سهل لاتيوم مـن قبـائل الايكـوى والفولسكى ، كانت القبائل السابيلية النازلة فى جبـال الابنيـن الوسـطى تنتشـر فـى النصـف الجنوبى من إيطاليا انتشارا سريعا . وكان ضغـط هـذه القبـائل علـى الجنـوب نتيجـة تزايد السكان فى منطقة الابنين تزايدا أدى إلى حروب كبيرة دفعت كثـيرا مـن هـذه القبـائل نحـو الجنوب خاصة نحو اقليم كمبانيا . وكانت أهم هذه القبائل السامنييـن (Samnites) الذين احتلت جماعة منهم كابوا (CApua) عام ٤١٣ ق . م . وكومـاى (Cumae) المدينـة الاغريقية عام ٤٢٠ ق . م . وبدأوا يحكمون فى اقليم كمبانيا الخصيب منـذ ذلـك الوقـت ، حيث فقدوا صلتهم بوطنهم القديم فـى الشـمال وعاشـوا حيـاة متحضـرة فـى المـدن بعـد أن تشربوا حضارة الاغريق والاتروريين ، كمـا أنهـم وقفـوا وقفـة الدفـاع أمـام هجمـات بنـى جلدتهم من السامنيين فى الشمال (الذين كـانت وفودهـم لاتفتـأ تغير علـى منطقـة كمبانيـا الخصبة) . وقد اتجه سكان كمبانيا إلى طلب المعرفة من روما التى أصبحـت بعـد انتهـاء حروبها مع اللاتين أعظم قـوة عسـكرية فـى إيطاليـا . ولبـت رومـا طلبهـم ، ووقعـت بيـن الطرفين معاهدة فى عام (٣٥٤ ق . م .) وتظاهرت روما – كما سبق أن ذكرنـا – بـأن هذا التحالف موجه ضد الغال . ومن ناحية أخرى تأكدت روما مـن وقـوف قرطاجـة علـى الحياد ، وذلك بأن جددت فى عام (٣٤٨ ق . م .) الاتفاق التجـارى العسـكرى الـذى قـد وقعته معها من قبل .

وقد مضت حروب رومـا مع السامنيين فى مـراحـل ثـلاث ، بـدأت أولاهـا فـى عام ٣٢٥ ق . م . وتعرضت روما فى خـلال أشـواط الحـرب الثلاثة لمصـاعب كثـيرة ، وكان عليهـا فى وقت مـا أن تـواجـه تحـالفـا قويـا كبيرا ضم كثيرا من شعوب الوسط ،

ضم السامنيين والاترورييـن بل وضم الغال فى الشمال ، حدث هذا فى عام ٢٩٨ ق . م لكن روما أنزلت بقـوات هـذا الحلف الهزيمـة فـى معـركة سنتينـوم (Sentinum) فى عام (٢٩٥ ق . م .) ولسنا نريد الدخول فى تفصيلات هـذه الحرب خـلال مراحلها الثلاث .

إنما نخلص إلى أن روما استطاعت بعد سنتينوم أن تتدبر أمرها مع كل من أعضاء الحلف على حده . وفـى عـام ٢٨٠ ق . م . كـان فـى مقدور رومـا أن تجبر كـل القبـائل السامنية وكل المدن الاتروية على الدخول فى حلف معها والتنازل لها عـن قـدر كبـير مـن أملاكها . وقد أعلن أن هذه الأراضى تعتبر ملكا للشعب الرومـانى (Ager Publicus) ، كما أنه فى غضون الحرب السامنية كان الغال قـد صـدوا إلى مـا وراء البـو (Po) بعد سلسلة من المعارك الدامية مع الرومان .

روما وجنوب إيطاليا :

بعد أن تخلصت رومـا من الخطر الذى أثـاره ضـدها السامنيـون ، بدأت تشتبك فى النضال القائم بين الشـعوب الايطاليـة والمدن الاغريقيـة فى الجنوب ، وكـانت مدينـة تارنتوم (Tarentum) زعيمة هذه المدن وقد اضطرت بين وقت وآخر إلـى الاستنجاد بالاغريق فى بلادهم الأصلية ، وأعنـى اغريـق البلقـان ، فجـاء إلى إيطاليـا ملـك اسبرطة ارخيدامـوس (Archidamus) لكنه قتل فـى معركـة مـع اللوقـانى عـام ٢٣٨ ق . م . ثم جاء الاسكندر مـلك ابيروس وتمـكن من هزيمـة اللوقـانى وحلفـائهم ، وعقـد معـاهدة مـع رومـا نفسـها . ولكـن عنـدمـا تحقـق أهـل تانتـوم مـن أن الاسـكندر يبغـى تكويـن امبراطوريـة خاصـة بـه فى جنـوبى إيطـاليـا ؛ تخلـوا عنـه - وكـان أن هـزم ، وقتـل عـام ٣٣٠ ق . م . وعندمـا جـدد اللوقـانـى عداءهـم فى عـام ٣٠٣ ق . م . اسـتنجدت تارنتم بملك اسبرطى هو قليونوموس (Cleonymus) ، وكان أسعد حظـا مـن سـابقيه ، فقد تمكن بعد عـدة عمليـات حـربية ضـد اللوقانى مـن أن يرغمهم علـى طلب الصلـح . وقد كان الرومـان حلفـاء اللـوقانى ولابـد بالتـالى مـن أنهم قد قبلوا شروط هـذا الصلـح . ثم استعان أهل تارنتوم بعد ذلك ببضع سنين بأجاثوكليز (Agathoecles) طاغية

سراقوسه (Syracuse) بجزيرة صقلية ضد إحدى القبائل القوية فى جنوب إيطاليا .
وقد أعان اجاثوكليز الاغريق ، وأقام فى إيطاليا فترة جعل فى خلالها يتبع نفس طريقة روما ومنهجها السياسى ، وذلك بأن عقد محالفات مع القبائل الايطالية فى ابوليا . وكان التحالف موجها ضد روما ، لكن بعد موته فى عام ٢٨٨ ق . م . تفرق ملكه ، وترك الاغريق فى موقف ضعيف ، ولهذا فإنه عندما هاجم اللوقانى بعد ذلك مدينة اغريقية هى ثوريى (Thurii) استنجد أهلها بروما لاعتقادهم أنها أقدر على مساعدتهم من مدينة تارنتوم التى كانت تدعى زعامة المدن الاغريقية فى إيطاليا جميعا ، واستطاعت روما تخليص ثوريى من اللوقانى عام ٢٨٤ ق . م . وأبقت بالمدينة حامية رومانية . ثم تبعت ثوريى مدينتان اغريقيتان اخريان هما لوكرى (Lucri) وريجيوم (Rhegium) وأصبحتا حليفتين لروما ، وقبلتا بالتالى حاميات رومانية تقيم بها .

وقد أثار تدخل الرومان مدينة تارنتوم التى اعتبرته تحديا بوصفها زعيمة المدن الاغريقية ، وكان ان تحرشت تارنتوم بأسطول رومانى كان يحاول الوصول إلى البحر الادرياتى وأغرقت بعض سفنه ، واعتبرت مجئ هذا الأسطول خرقا لمعاهدة كانت روما قد عقدتها مع تارنتوم فى عام ٣٠٤ ق . م . لتأمين جانبها أثناء حربها مع السامنيين ، وكانت المعاهدة تقضى بأن لايسمح للأسطول الرومانى بالظهور فى البحر الادرياتى . وعندما طلبت روما تعويضها عن تحطيم سفنها رفضت تارنتوم وأهانت سفراء روما ، فتوجه الجيش الرومانى إلى تارنتوم التى طلبت المعونة من الاغريق كدأبها دائما فيجيئنها بيروس (Pyrrhus) ملك ابيروس . وكان قائدا كفئا طموحا درب جيشه على الطريقة المقدونية ، وأحضر معه إلى إيطاليا عددا من الفيلة لم يكن للرومان بها عهد من قبل ، وانتصر بيروس فى الجولة الأولى بفضل هذه القوات وهذه الفيلة فى واقعة هرقلية (Heraclea) عام ٢٨٠ ق . م . بيد أنه كان نصرا هزيلا فطلب توقيع المعاهدة مع الرومان ، وأرسل سفراءه فعلا إلى روما لكن مجلس السناتو وقف وقفة صارمة بفضل السياسى الرومانى الصارخ ابيوس كلوديوس (Appius Claudius) ورفض توقيع الصلح . ومن ناحية أخرى فإن قرطاجة بأت تخشى طموح بيروس الذى ربما كان يرمى إلى تكوين امبراطورية له تضم جنوبى إيطاليا وصقليه وأجزاء من شمال أفريقيا ، وتجئ

إلى روما سفارة قرطاجة تعرض عليها المساعدة . وهكذا فشلت محاولات الملك فى توقيع الصلح عن طريق رشوة أحد أعضاء مجلس السناتو ، فقد كان الأعضاء لايزالون على صلابتهم وقوتهم الأخلاقية ، وشعورهم العميق بالواجب وبالدولة .

وفى العام التالى (٢٧٩ ق . م .) أحرز بيروس نصرا هزيلا آخر عند اسكولوم (Asculum) ابوليا وخسر جزءا كبيرا من جيشه وجرح هو نفسه فلم يجد بدا من مغادرة إيطاليا . وانتهزت روما الفرصة فتقدمت إلى تارنتوم التى استدعت بيروس مرة أخرى فيأتى إليها هذه المرة بجيش ضعيف تمكن الرومان من هزيمته . وتحاول تارنتوم عقد الصلح مع روما ، وكان فى مجلس الشيوخ عناصر تؤيد فكرة الصلح . لكن السياسى المخضرم ابيوس كلوديوس ، وكان قد أصبح قعيدا مكفوف البصر ، يأمر بعض الرومان أن يحملوه إلى مجلس الشيوخ . وهناك يلقى خطبة مشهورة ضد الصلح يقول فيها عبارته المأثورة : " إن روما لاتفاوض العدو طالما ظلت أقدامه تطأ أرض إيطاليا " وينحاز مجلس الشيوخ إلى رأيه ويرفض طلب تارنتوم . ولعل روما أرادت ألا تتسامح مع تارنتوم لأنها كانت معقلا للاغريق فى إيطاليا ، ولأن روما قدرت أن تارنتوم لن تكف عن الاستنجاد بالاغريق . وانتهى الأمر بالاستيلاء على هذه المدينة الاغريقية وضمها تماما إلى روما . كذلك استولى الرومان على بقية جنوبى إيطاليا ، وحطموا حلفا سامنيا كان قائما هناك . ومنح السامنيون حقوقا رومانية .

الاتحاد الايطالى

أصبحت روما بعد ضمها للمدن الاغريقية فى الجنوب سيدة إيطاليا بلا مراء ، وكانت حدود سيطرتها فى الشمال يمثلها تقريبا خط يمتد من مصب نهر الارنو (Arno) غربا قاطعا شبه الجزيرة حتى مصب نهر اسيس (Assis) شرقا . وفيما وراء هذا الخط شمالا ، كانت تنزل قبائل الليجوريين والكلتيين (Celts) ، أما الأراضى الواقعة جنوبا فقد اتحدت الآن ، باعتبارها دولة إيطالية واحدة تحت زعامة روما . أعنى أنه قام بينها اتحاد أو تحالف ضمها جميعا ، وكانت روما على رأس هذا الاتحاد .

بيد أن حكم روما وسيطرتها على إيطاليا لم يكن حكما مطلقا يخضع له رعايا .

كان الأمر من الناحية الشكلية على الأقل - أمر حلف " فيدرالى " تحت حماية روما وتوجيهها ، وكان الإيطاليون يعتبرون حلفاء الشعب الرومانى وأصدقاؤه . وكانت كل مدينة ترتبط مع روما بمعاهدة ، واستمرت كل مدينة تتبع قوانينها ونظمها الخاصة . ولم يكن للاتحاد مجلس " فيدرالى " يصرف شئونه ، بل كان يقوم على هذا الأمر مجلس الشيوخ (السناتو) فى روما . كما كانت كل امكانيات الاتحاد العسكرية موضوعة تحت تصرف روما .

وقد تألف الاتحاد الايطالى من المواطنين الرومان والحلفاء من غير الرومان . وكان لكل من هؤلاء وأولئك أوضاع قانونية متباينة فى داخل روما أولا ثم فى نطاق الاتحاد .

فأما المواطنون الرومان (Cives Romani) فكانوا ينقسمون إلى قسمين :

أولا : مواطنون رومان Cives Optimoiure :

وكانوا يقيمون فى مدينة روما وفى البلاد التى ضمتها روما بعد حل العصبة اللاتينية عام ٣٣٨ ق . م . وعرفت هذه البلاد باسم (Oppida Civium Romanorum) وكان بعضها يتمتع باستقلال ذاتى كامل وقد أطلق عليه اسم (Municipia) (أى البلديات) ، والآخر باستقلال ذاتى غير كامل وقد أطلق عليه اسم (.Praafectorae) ، كما كانوا يقيمون فى المستعمرات الرومانية . وانتظم هؤلاء المواطنون فى قبائل على أساس إقامتهم فى الأحياء التى تنقسم إليها روما والأراضى المنضمة إليها وذلك لأغراض ادارية .

ثانيا : مواطنون ناقصو الأهلية Cives Sine Suffragic :

وكانوا محرومين من الحقوق السياسية (حق الانتخاب - حق الترشيح للوظائف العامة) إنما قصرت حقوقهم على الحقوق المدنية . وكانوا يسكنون مدنا تقع فى جنوبى اتروريا وفى اقليم لاتيوم وفى شمال اقليم كمبانيا . وكان يقع عليهم عبء الخدمة العسكرية فى الفرق الأساسية (Legiones) بالرغم من أنهم لم يتمتعوا بحقوق المواطنة الكاملة . وكانت مدنهم تتمتع بحكم ذاتى متكامل .

أما الحلفاء فهم سكان إيطاليا من غير الرومان ، وقد انقسموا قسمين :

أولا : الحلفاء اللاتين Socii Latini :

وهم أكثر سكان إيطاليا صلة بالرومان ، وكانوا يقيمون فى المدن اللاتينية القديمة أمثال تيبور (Tibur) وبرانسيتى (Praeneste) وفى المستعمرات اللاتينية التى أنشأها اللاتين قبل انحلال العصبة فى عام ٣٣٨ ق . م . ثم فى المستعمرات التى أسست بعد عام ٣٣٨ ق . م. أيضا . وقد كانت الغالبية العظمى من سكان هذه المستعمرات من الطبقات الفقيرة . ولكل مستعمرة حقوق كاملة فى إقامة حكومة محلية لها قوانينها ونظمها الخاصة بها ، ولها حق سك العملة والاشراف على عملية الاحصاء (Gensus)ويتمتع سكانها ، الذين قامت دساتيرهم على أساس الدستور الرومانى ، بحق الزواج وحق الاتجار مع روما نفسها ومع المدن اللاتينية الأخرى . ولم يستثن من التمتع بحق الزواج إلا اثنتا عشرة مدينة كان لها حق الاتجار فقط . والملاحظ أن هذه المستعمرات كانت عسكرية فى طابعها إذ كانت تقام لأغراض استراتيجية . وأطلق على المواطنين فى المدن اللاتينية اسم (Latinum Nomen) ومعناه "حاملوا الاسم اللاتينى" . ولم يكن للحلفاء اللاتين بالطبع حق الانتخاب ، كما كانوا لايشتركون فى الفرق الرومانية الأساسية (Legiones) ، إنما كونوا وحدات خاصة بهم من الفرسان والمشاه .

ثانيا : الحلفاء الايطاليون (Socii Italic) :

وهم باقى سكان إيطاليا من اتروسكيين واغريق وسابيلين ... الخ ، وكانت كل من هذه الجماعات مرتبطة مع روما بمعاهدة (Foedus) وقد أطلق عليها لهذا مصطلح لاتينى معناه البلاد المرتبطة مع روما بمعاهدات (Civitates Foederatae) وقد تميزت هذه المعاهدات عموما بظاهرتين ؛ الأولى :التزام هذه الجماعات بتقديم المساعدات العسكرية لروما ، والثانية : ادارة روما لشئونهم وسياستهم الخارجية ، ولكن هذه الجماعات لم تكن تدفع لروما أى ضرائب . أما من الناحية العسكرية فقد كانوا يؤلفون وحدات من المشاه والفرسان يشرفون هم عليها ، إلا أن قيادتها العليا كانت للرومان ، وكان اشتراك هذه الوحدات فى القتال مع الرومان على أساس تعهد روما بتموينها وإشراكها معها على قدم المساواة فى غنائم الحرب .

وقد أعفت المدن الاغريقية فى جنوبى إيطاليا من الخدمة العسكرية البرية ، لكنها ألزمت بتقديم سفن وبحارة للأسطول الرومانى ، ولذلك عرفوا باسم (Socii Navales) بمعنى الحلفاء البحريين .

على هذا النحو تألف الاتحاد الايطالى الذى ينتهى بقيامه قصة توسع روما فى إيطاليا حتى غدت سيدتها . ومن الملاحظ أن الرومان فى توسعهم وفى تكوينهم الاتحاد الايطالى قد أظهروا مرونة سياسية ، فلم يتدخلوا أكثر مما ينبغى فى تنظيم الحكم والتقاليد فى الاقاليم التى ضموها ، ولم يقضوا على نظام دولة المدينة (City - State) الذى وجدوه فى بعض أجزاء إيطاليا كاقليم لاتيوم وكمبانيا ، وبالاخص فى الجزء الاغريقى فى الجنوب ، بل تركوا المدينة الحرة كوحدة سياسية قائمة ، كما أبقوا نظام القبائل . وتوخوا الاعتدال فى كل ما عقدوه من محالفات مع أعضاء الاتحاد ، وتركوا لهم لغاتهم ودياناتهم ونظمهم ودساتيرهم كما هى لم يتدخلوا فيها .

لكنه كان مقدرا للحلفاء الايطاليين الذين لم يمنحوا المواطنة الرومانية كاملة ، أقول كان مقدرا لهم أن يشكلوا مشكلة خطيرة للرومان بلغت ذروتها فى القرن الأول قبل الميلاد وشغلت الرومان أنفسهم زمنا ليس بالقصير .

ثانيا : التطور الدستورى فى روما
(من عام ٥٠٩ وحتى عام ٢٨٧ ق . م)

ونأتى الآن إلى تتبع الجانب الآخر من تاريخ الجمهورية الرومانية الأولى وهو تطور نظمها الدستورية . وقد كانت حتمية حدوث هذا التطور من طبيعة الأشياء ، فروما – كما رأينا – كانت تتحول من مدينة صغيرة على نهر التيبر إلى زعيمة لشعوب اللاتين ، إلى زعيمة لايطاليا كلها . وهى فى هذا كله كانت تخوض حروبا ليست باليسيرة . فكان لابد من أن تتشكل نظم الحكم وتتبدل لتلائم احتياجات هذا المجتمع الذى كان آخذا فى النمو بصورة مستمرة ، فالوظائف تتعدد ، واختصاصاتها تتحدد ، وعدد الأشخاص الذين يشغلون كل وظيفة يزيد . وإلى جانب عامل التوسع الخارجى ، كان

هناك عامل الصراع الطبقى الذى احتدم فى روما بين الأشراف والعامة منذ بداية الحكم الجمهورى ، فقد انتزع العامة من الأشراف فى خلال مراحل هذا الصراع ما كانوا قد حرموا منه من تقلد الوظائف وعضوية بعض المجالس ، وانعكس أثر ذلك فى استحداث وظائف جديدة ، واتساع دائرة الوظائف القديمة من حيث عدد شاغلى كل منها .

وقد تمت الثورة التى أطاحت بالملك تاركوينيوس سوبيربوس وبالملكية كلها عام ٥٠٩ ق . م . بفعل الأشراف ولصالح الأشراف أيضا ، شأنها فى ذلك شأن مثيلاتها من ثورات المدن القديمة حين انقلب نظام الحكم الملكى فيها إلى نظام جمهورى ذى نزعة ارستقراطية واضحة . وكان من الطبيعى أن يقوم الدستور الجمهورى المبكر فى روما على نسق ارستقراطى ، بالرغم من أن أسر الأشراف (Gentes Patriciae) لم تكن تؤلف إلا أقل من عشر عدد السكان الأحرار فى روما ، فإن أكثر الثروة والسلطة كانت بأيديهم . غير أن الأشراف لم ينكروا على العامة أن يدرجوا فى جمعية الأحياء ، حيث كانت قرارات الحكومة تتلى للتصديق عليها ، وكانت أحكام الإعدام والنفى تعرض لإقرارها . لكن قرارات جمعية الأحياء فى غير المسائل القضائية كانت خاضعة لموافقة السناتو ، أو لما كان يسمى " سلطة الآباء " (Patrum Auctoritas) أما أداة الحكم التنفيذية ممثلة فى الوظائف فكانت مقصورة على أسر الأشراف أيضا . لكن تطور أنظمة الحكم قد حول هذه الجمهورية الارستقراطية لتتخذ شكلا ديموقراطيا ، حيث أصبح تقلد جميع الوظائف وعضوية كل المجالس حقا لكل مواطن رومانى حر .

الفصل الثالث

نظام الحكم فى العصر الجمهورى

مما لاشك فيه أن نظام الحكم فى عهد الجمهورية لم يكن كله من ابتكار العصر ، بل كان نظاما متطورا عن النظام الملكى هذا ، وكان ذلك النظام يسير فى خطين متوازيين هما :

أول : وظائف الحكام :

عرفت النظم الجمهورية الأولى عدة نظم تمثلت فيها أداة الحكم التنفيذية . لكن هذه الوظائف لم تظهر فجأة فور الانقلاب من ملكية إلى جمهورية ، وإنما ظهرت بالتدريج . وقبل أن نتعرض لتلك الوظائف بالتفصيل نجد لزاما علينا أن نقدم فى البداية الملاحظات التالية عن نظام الوظائف الرومانى عندما اكتمل قبل منتصف القرن الرابع قبل الميلاد :

١ - أن الرومان وضعوا سلما للترقى فى المناصب (شروط تولى الوظائف) عرف باسم سلك الوظائف العامة (Cursus Honorum) وكان يقضى بألا يكون من حق شخص أن يرشح نفسه لوظيفة معينة إلا إذا كان قد شغل قبلها وظيفة معينة أخرى . مثالا لذلك أنه لايجوز لشخص أن يتولى وظيفة القنصل إلا إذا كان قد شغل وظيفة برايتور (Praetor) . وكان سلك الوظائف العامة هذا يضم فى أول الأمر ثلاث وظائف فقط مرتبة تصاعديا على النحو التالى : الكوايستور (Quaestor) فالبرايتور فالقنصل . وبمرور الوقت دخلت فى سلك الوظائف وظيفتان أخريتان هما الايديل ونقيب العامة ، وأصبح السلك مرتبا تصاعديا على النحو التالى : (الكويستور - نقيب العامة - الايديل - البريتور - القنصل) ، أما وظيفة الدكتاتور ووظيفة الكنصور (Censor) فلم تكونا فى سلك تلك الوظائف . وكانت الأولى وهى وظيفة الدكتاتور وليدة الظروف ، وكانت الثانية تشغل على فترات للقيام بمهمة معينة هى الاحصاء كما سنرى . هذا ولعل الرومان قد أخذوا نظام سلك الوظائف العامة أساسا من الاتروريين .

٢ – أن كل هذه الوظائف كانت بالانتخاب باستثناء الدكتاتور الذى كان يتم تعيينه بناء على اقتراح أحد القنصلين وبعد موافقة مجلس الشيوخ الرومانى .

٣ – أن كل هذه الوظائف كانت خاضعة لمبدأ المزاملة (Collegium) ، وكان هذا المبدأ يراعى ألا يشغل الوظيفة شخص واحد ، وإنما يشغلها شخصان أو أكثر لهما (أو لهم) قدر متساو من السلطة . ولايستثنى من هذا إلا (الدكتاتور) الذى كان ينفرد بمنصبه ويشغله لمدة أقصاها ستة أشهر . ولعل الرومان أخذوا مبدأ اشتراك أكثر من حاكم فى المنصب الواحد من بعض الشعوب الايطالية . لكن فكرة إعطاء قدر متساو من السلطة للزميلين (أو الزملاء) فى الوظيفة الواحدة فهو ابتكار رومانى ، ولعلهم أرادوا به أن يكون كل من الزميلين رقيبا على الآخر تجنبا للانفراد بالسلطة ، والانتكاس مرة أخرى إلى حكم الفرد .

٤ – أن كل الوظائف الداخلة فى سلك الوظائف العامة (الكوايستور – نقيب العامة – الايديل – البريتور – والقنصل) كانت مدتها عاما واحدا فقط ، أما الدكتاتور فمدتها ستة أشهر كما ذكرنا . وأما الكنصورية فمدتها ثمانية عشر شهرا .

٥ – أن الرومان لجأوا فى بعض الأحيان إلى نظام مد المدة للموظف إذا دعت الحاجة إلى ذلك . من ذلك ما لوحظ من الخطورة التى تنشأ من ترك القنصلين لوظيفتهما بعد انتهاء عام حكمهما ، فى الوقت الذى يكون أحدهما (أو كلاهما) فيه يقود الجيش فى معركة ، ولهذا تقرر أن يكون من حق السناتو مد فترة حكم القنصل حتى نهاية المعركة ، ولكن بشرط ألا يستمر حاملا لقب قنصل ، وإنما يحمل لقبا بعينه معناه " القائم مقام القنصل " (Proconsull) .

٦ – أنه لم يكن يجرى انتخاب كل الموظفين فى جمعية انتخابية واحدة ، بل كان يجرى انتخاب الذين يرشحون أنفسهم لوظائف القنصل والبرايتور والكنصور (Censor) فى الجمعية المئينية ، وانتخاب الذين يرشحون أنفسهم لوظيفة نقيب العامة والايديل الشعبى (Aediles Plabis) فى الجمعية القبلية (بدعوة من نقيب العامة) . وينتخب فى الجمعية القبلية أيضا المرشحون لوظيفة الكوايستور (Queaestor) والايديل الكورولى (Aediles Curules) ولكن بدعوة من القنصل أو موظف يتمتع بسلطة الامبريوم . مجمل

القول أنه لم يكن انتخابا مباشرا .

٧ – أنه لم يتمتع بسلطة الامبريوم بكل ما لها من صلاحيات واسعة المدى فى المجالات الدينية والمدنية والقضائية والعسكرية إلا القنصل البرايتور . لكن سلطة (الامبريوم القنصلى) كانت تفوق كثيرا سلطة الامبريوم البريتورى (الممنوحة للبرايتور) ، كذلك تمتع الدكتاتور بسلطة الامبريوم التى كانت تفوق سلطة القنصلين عندئذ . أما بقية الوظائف فكان شاغلوها يتمتعون بسلطة أدنى من الامبريوم عرفها الرومان باسم (Potestas) .

ونخلص من هذه الملاحظات العامة عن نظام الوظائف الرومانى إلى الحديث عن كل وظيفة منها وفقا لترتيب ظهورها تاريخيا وليس بحسب أهميتها وسلطاتها ، فى محاولة لإيضاح لختصاصات كل منها :

أولا : القنصلان :

منحت سلطة الامبريوم أو سلطة الملك لحاكمين عرفا باسم (Consules) ولكل منهما الحق فى الاعتراض على زميله (Inter Cessium) وهذا الحق كان مقصورا على ما يحدث فى مدينة روما . أما فى الحرب فكان كل منهما يقود فرقة (Legion) وكانت سلطته غير محدودة ، وبعد عام من توليتهما هذه الوظيفة يجب أن يستقيلا ، وتعرض الترشيحات لقناصل العام التالى على جكعية الأحياء (Comitia Centuriata) وهذه تختار اثنين من بين المتنافسين . ووفقا للعادة القديمة كانت جمعية الأحياء هى التى تمنح الامبريوم للقنصلين ، ولابد أن يصدر مجلس الشيوخ قراره . ويجب أن نلاحظ الآتى :

(١) وجود حاكمين لهما حق التمتع بالسلطة وكل منهما رقيب على الآخر .

(٢) مدة الحكم عام واحد بمفهوم الزمن .

إلا أنه قد تكاتفت عدة عوامل على الحد من سلطة القناصل هى :

أ – إعطاء جزء من سلطتهما إلى مساعدين لهما .

ب – وضع القوانين .

جـ – انتخاب ترابنيه (Tribuni) (نقباء للعامة) لحماية الشعب من استبداد الأشراف .

وكثيرا ما كانت تتحرج الأحوال فى روما ، إما بسبب غزوات من الخارج ، أو نتيجة لاشتداد التطاحن الحزبى فى الداخل ، فكان الرومان يعمدون إلى اختيار حاكم جديد يسمى (دكتاتور) لمدة ستة شهور بدلا من القناصل ، ويختار الدكتاتور مساعدا له هو قائد الفرسان ، أو ترابنه عسكريون ذوى سلطة عسكرية (Tribuni Militum) . ونتج عن طرد الملوك أن قوى ساعد العشائر الارستقراطية القديمة ، وأصبح لها إشراف أكبر على السلطة التنفيذية . وكان مجلس الشيوخ – الذى يمثل طليعة الارستقراطية دائما أبدا – يناقش القناصل ، ويقيم من نفسه رقيبا على أعمالهم . ورغم أنه لم يكن القنصلان ملزمين بدعوة المجلس إلى الاجتماع ، إلا أن أحد القناصل لم يجرؤ على تجاهله ، وشيئا فشيئا أصبح هذا المجلس – الذى كان فى الأصل مجرد هيئة استشارية – مجلسا يباشر رقابة فعلية على جميع شئون الدولة .

أما جمعية المئينات (Comitia Centuriata) نظرا لما نح لها من حق اختيار القناصل والموافقة على القوانين فقد قويت هذه الجمعية على حساب جمعية الأحياء (Comitia Centuriata) ، وإن كانت الأخيرة لاتزال محافظة على كيانها لأنها هى التى كانت تمنح سلطة الامبيريوم للقنصلين ، ويلاحظ أن الزعامة فى هذه الجمعية قد عقدت لكبار ملاك الأراضى .

ونخرج من كل هذا إلى القول بأن طرد الملوك من روما ترتب عليه ازدياد النفوذ السياسى فى عشائر الاشراف ، وكان من الطبيعى أيضا أن يتمتع بالنفوذ فى روما عدد محدد من الأسر الارستقراطية ، لأن الرومان كانوا يعتقدون أن تلك الأسر كانت الممثل الطبيعى للأخلاق الرومانية المحافظة على أخلاق العامة والعادات والتقاليد الرومانية الأصيلة ، فضلا عن أنها كانت تمتلك الجانب الأكبر من أراضى الدولة فيتيح ذلك حتما ازدياد ثروتها ونفوذها . فكان هناك الكبرياء الذى شعروا به قبل جيرانهم الذين كان كل ذنبهم أن أجدادهم لم يكونوا من سكان المدينة الأصليين . وإن كانت الارستقراطية الرومانية لاتعمل على إدماج أفراد ممتازين من دون طبقتها فإن هذا معناه أن هذه الأسر تفتقد فى آخر الأسر قوة المحافظة على كيانها ، ويسرى إليها الانحلال دون

جدال .

كذلك فإن الثروة الطائلة فى يد نفر قليل من الرومان قد أثارت الأحقاد ، لأن الفقراء كانوا يشعرون بأن هذه الثروة من حقهم ، وأن الأشراف سلبوهم إياها . وكذلك كان العامة يثقون كل الثقة بأنهم لن ينالوا حقا من حقوقهم قبا الأشراف فى أى محكمة من محـاكمهم . وكان فى العصر الملكى يضمنون هذه الحقوق إلى حد ما لأنهم إذا شعروا باضطهاد الأشراف كانوا يلجأون إلى حماية الملوك . وكذلك فى العصر الجمهورى عندما يحتكم واحد من العامة إلى مجلس أو محكمة من الأشراف كان من الصعب أن ينال حقه ، وكـان المدين من العامة عرضة لأن يفقد حريته إذا عجز عن سداد دينه ، فيصبح عبدا لدائنه من الأشراف ، كما كانت حياته رخيصة ومن حق الأشراف أن يحكموا عليه بالإعدام إذا ما تراءى لهم ذلك .

ولذلك فإنه منذ طرد الملوك من روما بدأ فيها نزاع بين طبقتى الأشراف والعامة استمر نحو قرنين من الزمان ، ولم ينته إلا بمنح العامة حق المساواة مع الأشراف ومنحهم ضمانات حقيقية ضد اساءة استعمال الحكام لسلطاتهم .

ثانيا : الكوايستورس Quaestores :

منذ أوائل عصر الجمهورية كان القنصلان ينتخبان كل عام اثنين من الموظفين يعرفان باسم الـ (Quaestores) لجمع دخل الدولة وإدارة حساباتها (الشئون المالية) ولم يكن لهما ما كان للقنصلين من السلطة الادارية ، ولكن عندما يطالب العامة أن يكون من حقهم انتخابهما بدأت تزيد أهميتهما ، ومنذ عام ٤٤٧ ق . م . أصبح انتخابهما من حق جمعية القبائل (Comitia Tributa) وزيد العدد إلى أربعة ، اثنان منهما للاشراف على نفقات الجيش ، والاثنان الآخران يشرفان على الشئون المدنية وللأربعة جميعا حق الاشراف على مالية الدولة ، وطالب العامة بأن يختار من بينهم هؤلاء الموظفين ، وبذلك أصبح عندما تحقق لهم طلبهم أصبح لهم صوت مسموع فى شئون الدولة المالية ، فضلا عن أن هذه المنحة خولت لهم حق دخول مجلس الشيوخ ، لأن العادة جرت بملء الأماكن الشاغرة فى مجلس من شاغليها بالوظيفة . وقد زاد عدد الكوايستورس إلى ستة ثم إلى

ثمانية تبعا لاتساع نطاق الامبراطورية .

ثالثا : الدكتاتور :

وفى بداية القرن الخامس قبل الميلاد وإبان إشتباكات روما فى حروبها مع قبائل الفولسكى والايكوى نشأت وظيفة استثنائية يشغلها شخص واحد يحمل اسم الدكتاتور يتمتع بسلطة الامبريوم العليا التى تفوق سلطة القنصل بحيث لاتخضع لحق الاعتراض (Intrercessio) لا فى داخلها ولا فى خارجها . ولم تكن الوظيفة بالانتخاب وإنما كان القنصل أو القنصلان معا يرشحان شخصا يريا فيه قدرة على الخروج بروما من أزمتها ويأخذان رأى مجلس الشيوخ ثم يعين . وكان يلازمه فى سيره أربعة وعشرون ملازما يحملون إشارة سلطته المطلقة (وهى العصى والبلطة) ومدة حكم الدكتاتور ستة أشهر فقط وعليه أن يستقيل بعدها ، كما كان يتعين عليه أن يستقيل فور انتهائه من مهمته أو فى حالة مدة حكم القنصل الذى اقترح تعيينه . وقد حصل الدكتاتور فى السنوات الأولى اسم قائد المشاه ، وكان من حقه تعيين مساعد له يتولى أمر الفرسان حمل اسم " قائد الفرسان " (Magister Equitum) . ولم يكن تولى الدكتاتور لسلطة فى وقت الأزمة معناه استقالة بقية أو بعض الموظفين ، وإنما كان هؤلاء يبقون فى مناصبهم .

رابعا : نقيب العامة :

ظهرت هذه الوظيفة فى عام ٤٩٤ ق . م . (ولم تكن وظيفته تستمد سلطتها من قانون ، بل إن أساس سلطتها هو القسم الذى أقسمه أفراد طبقة العامة بأن يحموا نقباءهم وأن يعتبروا ذاتهم مصونة مقدسة وهو أمر لم يعارضه الأشراف) . وكان يشغل هذه الوظيفة فى أول الأمر شخصان وصل عددهم إلى أربعة فى عام ٤٧١ ق . م . ثم إلى عشرة فى عام ٤٤٩ ق . م . وظل عددهم هكذا حتى النهاية . وقد كانوا ينتخبون فى جمعية الأحياء ، ثم أصبح انتخابهم يتم فى الجمعية القبلية . وكان لنقباء العامة حق الاعتراض على قرارات السناتو والحكام والإنتخاب ، كما كان لكل نقيب حق الاعتراض

الذى كان يستطيع استخدامه حتى ضد زملائه .

خامسا : الايديل :

وقد اقترن ظهور هذه الوظيفة بقيام نقابة العامة فى عام ٤٩٤ ق . م . فكان الايديل مساعدا لنقيب العامة يشرف على المحفوظات فى معبد كيريس (Ceres) على تل الافنتين . وكان يتولاها شخصان وفى عام ٣٦٧ ق . م . أصبحت وظيفة عامة يتولاها العامة والأشراف أيضا ، وأصبح الذين يتولونها أربعة ، عرف اثنان منهم بالايديلين الشعبيين (Aediles Plebis) (وينتخبان من العامة) ، وعرف الآخران باسم (Aediles Curules) وكانا ينتخبان من الأشراف ، ثم أصبح العامة يتولون منصبى الايدليس قورويس مع الاشراف بالتناوب عاما بعد عام . ويجرى انتخاب المرشحين لهذه الوظيفة فى الجمعية القبلية سواء كانوا من الأشراف أم من العامة . ولم تكن الايدلية وظيفة ضرورية للترقى فى سلك المناصب العامة . وعندما أصبحت وظيفة عامة فى عام ٣٦٧ ق . م . كانت مرتبتها تأتى بعد مرتبة البريور . لكن ممارسة مهام هذه الوظيفة كان يكسب صاحبها نفوذا بين مواطنى المدينة . أما اختصاصاتها فكانت الإشراف على المنشآت العامة فى روما ، وعلى شئون الأمن والمواصلات والحفلات والمهرجانات ومراقبة الموازين والمكاييل والأسعار وسائر شئون الأسواق ، ولعلها من هذه الناحية تقترب من وظيفة المحتسب فى النظم الاسلامية .

سادسا : الكنسور Censores :

كان من بين اختصاصات القنصلين القيام مرة كل خمس سنوات بتعداد السكان ومراجعة قوائم المواطنين وتطهير الناس مما ارتكبوه من آثام . وكان القناصل يراجعون قوائم أعضاء المئينات (Comitia Centureata) فى فترات التعداد .

ولذلك كان فى استطاعة القناصل أن يؤثروا تأثيرا واضحا فى تكوين الهيئة الحاكمة فى روما . ولذلك تقرر فى عام ٤٤٤ ق . م . إعطاء هذه الاختصاصات لاثنين من الموظفين عرفا باسم الكنسورس (Censores) وكانوا أيضا من الأشراف ولكن مدة

عملهم كانت خمس سنوات . وفى سنة ٣٣٤ ق . م . تقرر أن يستقيل الكنسورس بمجرد انتهاء عملية الاحصاء ، وإذا توفى أحدهما وجب على زميله الاستقالة فورا ، نظرا لخطورة انفراد شخص واحد بمثل هذه الوظيفة الخطيرة ، وكانت جمعية المئينات هى التى تنتخب هذين الموظفين .

سابعا : البرايتورس Practores :

فى عام ٣٦٦ ق . م . وبسبب انهماك القناصل فى شئون روما الخارجية انتخب حكام جدد باسم برايتورس (Praetores) أو الحكام القضائيين ، وكان يشغل المنصب أول الأمر فى تلك السنة حاكم قضائى واحد لمساعدة القنصلين فى الإشراف على شئون الدولة القضائية . إلا أنه فى عام ٢٤٦ ق . م . وعندما اتسع نطاق علاقات روما الخارجية وأصبح يتردد عليها الكثيرون من الأجانب تقرر انتخاب حاكم جديد عرف باسم (Praetor Peregrinus) تميزا له عن الحاكم الأول الذى كان يعرف باسم (Praetor Urbanus) . وكان بريتور الأجانب يختص بالنظر فى قضايا بين الأجانب ومواطنى روما ، وزاد عدد الحكام القضائيين تبعا لاتساع الامبراطورية حتى أصبحوا ثمانية فى عهد صلا (Salla) (٨١ ق . م .) ومنحوا سلطة الامبريوم ، وكان لكل منهما الحق فى أن يمنع صاحبه أو زملاءه من استخدام سلطته بمقتضى حق الاعتراض (Intercessium) أو حق الاعتراض لأسباب دينية ، وكانت جمعيات المئينات تنتخب هؤلاء الحكام ومدة وظيفتهم عام واحد .

ثانيا : مجالس التشريع :

١ - مجلس الشيوخ :

كان الأساس النظرى الذى ارتكزت عليه سلطة هذا المجلس فى الحكم الجمهورى هو أن هيئة استشارية تماما مثلما كان أمره فى عصر الملكية ، وقد كان هذا المجلس يجتمع بناء على دعوة أحد الموظفين ، ولايناقش إلا ما دعاه هذا الموظف لمناقشته . ولكن

مجلس الشيوخ من الناحية العملية تحول إلى هيئة رقابية ذات تأثير قوى وواضح على الموظفين . إذ أنه كان هيئة فى حالة انعقاد دائم ، وتتألف من أشخاص مارسوا من قبل سلطة الامبيريوم . ولسنا نعرف على وجه اليقين كيفية تكوينه أو عدد أعضائه إذ كان فى هذه المرحلة ثلاثمائة أو يزيد ، إنما كان من حق الموظفين السابقين الذين حملوا سلطة الامبيريوم أن يكونوا أعضاء فيه . وقد بدأ هذا المجلس فى الفترة الجمهورية الأولى معقلا للاوليجركية ، فالعامة لم يدخلوا هذا المجلس إلا بعد نحو قرن ونصف قرن من بداية الحكم الجمهورى . وعضوية المجلس كانت لمدى الحياة إلا إذا ارتكب العضو ما يشين ، وعندئذ كان الكنسور (الرقيب) يحذف اسمه من قائمة الأعضاء . وقد كان القنصل كثير الاعتماد على مشورة أعضاء هذا المجلس الذى كانت تستصدر منه القوانين .

٢ - جمعية الأحياء (الجمعية الشعبية) :

كانت هذه الجمعية أيضا قائمة فى العصر الملكى ، ولعلها تمتعت فى السنوات الأولى من الجمهورية بحق انتخاب القنصلين سنويا قبل أن يصبح هذا من حق جمعية المئينات . وقد فقدت هذه الجمعية أهميتها وأصبح اختصاصها قاصرا على منح سلطة الامبريوم شرعيا للقناصل أو البرايتورس المنتخبين بمقتضى القانون المعروف باسم (Lex Curiata de Imperio) . وكان هذا تقليدا مرعيا دائما ، كما كانت الجمعية تجتمع برئاسة الكاهن الأعظم لتشيد أو لتقر مراسيم ذات صبغة دينية فى معظمها .

٣ - جمعية المئينات :

نشأت هذه الجمعية فى الأغلب بعد عام ٤٥٠ ق . م . على أساس الاصلاحات التى تنسب إلى الملك سرفيوس توليوس ، والتى أعادت تقييم المواطنين الرومان على أساس " تيموقراطى " كما سبق أن مر بنا . والنظام التيموقراطى هو النظام الذى يعتمد تمتع الفرد فيه بحقوقه السياسية على مقدار دخله السنوى وفقا لعملية الاحصاء . وقد انقسم المواطنون الأحرار بحسب ثرواتهم ووفقا لاصطلاح سفيوس توليوس إلى خمس طبقات Classes كانت هى نواة لجمعية المئينات التى سلبت من جمعية الأحياء كل سلطتها .

ونحن نشهد هذه الجمعية فى القرن الرابع ق . م . تشكل محكمة جنائية ، ومحكمة للاستئناف ، وتنتخب الكنسورس (Censores) (الرقباء) ، وتعلن الحرب ، وتعقد المعاهدات . وكانت الجمعية لاتنعقد إلا بناء على دعوة أحد الحكام المتمتعين بسلطة الامبيريوم ، ويكون انعقادها خارج " سياج مدينة روما " (Extra Pomerium) فى ساحة الاله مارس ، وهذا بحكم كونها تنظيما عسكريا فى الأصل .

وفى عملية التصويت فى هذه الجمعية كانت كفة الأشراف أصحاب المصالح فى الدولة هى الراجحة عند إجراء عملية التصويت ، ذلك أنه كان لكل وحدة مئينية صوت واحد . وكان لأصحاب الثروات الكبيرة من الطبقة الأولى ثمانون وحدة مئينية ، أى ثمانون صوتا . وكان لطبقة الفرسان ثمانى عشر وحدة ، فكانت هاتان الطبقتان تملكان معا ثمانية وتسعين صوتا من جملة الأصوات البالغ عددها ١٩٣ (وهو عدد المئينات فى الجمعية) وكانت آراؤهم بالتالى هى الراجحة عند إجراء عملية التصويت ، خاصة وأن النظام كان يقضى بأن تتوقف عملية التصويت بمجرد الحصول على الأغلبية المطلوبة من الأصوات ، وهذا يعنى أن الطبقات الدنيا كالرابعة والخامسة كانت محرومة من حق التصويت من الناحية العملية . وبالرغم من أن التنظيم الذى قام به الملك سرفيوس توليوس قد قصد به أساسا الاصلاح العسكرى ، فلقد كان لهذا التنظيم آثاره الدستورية . فإن أهمية جمعية المئينات ترجع إلى أن العامة قد أعطوا الفرصة ليقفوا على قدم المساواة على أساس الثروة مع الأشراف ، غير أن الجمعية لم تأخذ فى التحول إلى أداة ديموقراطية إلا فى فترة متأخرة . ففى فترة متأخرة ما بين عام ٢٤١ وعام ٢١٨ ق . م . تغير نظام الجمعية بحيث وزعت المئينات على أساس القبائل التى كان عددها قد وصل فى عام ٢٤١ ق . م . إلى ٣٥٠ قبيلة . بحيث خصص لكل قبيلة عدد متساو من المئينات . واستبعد مبدأ إعطاء الأولوية المطلقة فى التصويت للطبقات الأولى . وأصبح حق الأولوية فى التصويت بالاقتراع .

٤ – جمعية القبائل :

قامت هذه الجمعية بعد التطور الذى حدث بمضى الوقت فى مجلس العامة (Concillum Plebis) ، وكان هذا المجلس الذى أقامه العامة على تل الافنتين لايمثل إلا هذه الطبقة ، وينعقد بناء على دعوة أحد نقباء العامة ليقوم بانتخاب هؤلاء النقباء ، ويصدر قرارات تعرف باسم (Plebiscita) ولا تسرى على جميع المواطنين ، بل على أفراد طبقة العامة فقط . وقد انتقل العامة بمجلسهم هذا بعد ذلك من تل الافنتين (حيث كانوا يعتصمون دائما) إلى ساحة السوق (Forum) فى المدينة . وبدأ هذا المجلس وتحول بالتدريج إلى جمعية عمومية لاتضم العامة وحدهم ، بل تمثل جميع المواطنين وتؤلف منها القبائل وحدات انتخابية ، ومن ثم عرفت باسم " القبيلة " Tributa . وقد زادت أهمية هذه الجمعية بالتدريج حتى أصبحت أهم جمعية تشريعية ، خاصة بعد عام ٢٨٧ ق . م . حين صدر قانون هورتنسيوس (Lex Hortensia) وكان من ضمن ما قضى به أن تكون قرارات هذه الجمعية نافذة بدون موافقة مجلس السناتو . وسحبت من جمعية المئينات أكثر اختصاصاتها التشريعية ، لاسيما وأن القناصل أصبحوا يفضلون الالتجاء إليها بدلا من المئينية ذات الاجراءات المعقدة ، ومنها ضرورة أن تعقد – وفقا للعرف – فى خارج سياج روما كما سبق أن ذكرنا . كذلك كانت لجمعية القبائل اختصاصات انتخابية وتشريعية وقضائية ، فكانت تقوم بانتخاب نقباء العامة والايدلين الشعبيين (ابتداء من عام ٤٧١ ق . م .) – وفى هذه الحالة يدعوها للاجتماع أحد نقباء العامة ، ويرأس عملية الانتخاب – وكذلك بانتخاب الكوايستورس والايدليين التوروليين (Aediles Curules) – وفى هذه الحالة يدعوها للاجتماع القنصل . وكانت الجمعية القبلية إلى جانب حقها فى إصدار القوانين ، تصدق على المعاهدات وتنظر فى بعض الأحكام المستأنفة .

الفصل الرابع

الصراع الطبقى بين الأشراف والعامة

سبق أن أوضحنا أنه قد صاحب زوال نظام الحكم الملكى وإقامة النظام الجمهورى فى روما أمران : أحدهما هو اشتباك روما فى سلسلة من الحروب لم يكن فى وسع الأشراف الانفراد بتحمل أعبائها ، مما أفضى إلى ازدياد مطرد فى الأعباء التى ألقيت على كاهل العامة . والأمر الآخر هو احتكار الأشراف تولى الوظائف العامة ، وكذلك عضوية السناتو والجماعات الدينية ، وكان معنى ذلك احتكار أجهزة الحكم وتصريف العدالة بصرامة شديدة . وقد كانت النتيجة الطبيعية لهذه الأوضاع نشوب صراع مرير بين الأشراف والعامة دام ما يقرب من قرنين . فلا عجب أن يكون إنشاء وظائف عامة جديدة ، وإنشاء جمعيتى المئينات والقبائل ، ونمو سلطات هاتين الجمعيتين قد صاحبت واتصلت اتصالا وثيقا بالجهود المستمرة التى بذلها العامة للفوز بالمساواة مع الأشراف فى الحقوق والامتيازات التى كانت وقفا عليهم فى بداية عصر الجمهورية .

وقد صادفت مطالب العامة معارضة قوية من الأشراف ، وهم الذين كانت تدعم مركزهم التقاليد ، وسيطرتهم المطلقة على أجهزة الحكم ، ومكانتهم الفردية والجماعية ، وتأييد اتباعهم الكثيرين . بيد أنه من ناحية أخرى قد ساعد العامة على تحقيق مطالبهم عاملان هامان : أحدهما هو أنه أخذ يربط باصرار بين عدد العامة والذين كانت ثرواتهم تعادل ثروات الأشراف ويرفضون حرمانهم حقهم الطبيعى فى تولى الوظائف العامة ، ولاسيما أنه برز من بين هؤلاء الأثرياء زعماء أكفاء تولوا قيادة العامة وتنظيم صراعهم مع الأشراف . وأما العامل الآخر وكان أفضل أثرا من العامل الأول ، فهو أنه ازاء اتساع نطاق حروب روما وما ترتب على ذلك من تزايد الأعباء الملقاة على عاتق المواطنين الرومان جميعا ، بحيث أصبح العامة يشاركون الأشراف مشاركة كاملة فى تحمل هذه الأعباء ، لم يعد فى الإمكان الاستمرار فى حرمان العامة المساواة السياسية مع الأشراف ، دون تعريض صوالح الدولة العليا للمخاطر . وقد كان أعضاء السناتو الأشراف على قدر كاف من بعد النظر بحيث أنهم كانوا يستجيبون إلى مطالب العامة كلما

أحسوا بأن رفضها قد يؤدى إلى حرب أهلية ، أو إلى تنفيذ العامة تهديدهم بالهجرة من روما ، والامتناع عن الخدمة العسكرية .

وقد رأينا كيف أن اتخاذ الثروة أساسا لتوزيع أعباء الخدمة العسكرية على المواطنين قد أدى إلى إنشاء جمعية المئينات ، حيث نظم كذلك توزيع الأصوات على الأساس نفسه . بيد أنه بحكم طريقة توزيع الأصوات ونظام التصويت فى هذه الجمعية ، وقصر حق اقتراح التشريعات على الحكام ، وخضوع قرارات هذه الجمعية لموافقة السناتو قبل أن تكتسب قوة القانون ، لم يكن فى وسع العامة تحقيق مطالبهم عن طريق اشتراكهم فى عضوية هذه الجمعية .

وقد زاد من شعور العامة بالظلم عاملان : أولهما ، هو فوز الأشراف عادة بنصيب الأسد من الأراضى التى كانت تضم إلى الدولة ، وبرغم أن العامة شاركوهم فى تلك الحروب التى تمخض عنها ضم هذه الأراضى . وثانيهما ، هو وضع المدينين من أرباب الأراضى ، ولاسيما أنه قد أسهم إلى حد كبير فى استدانة هؤلاء الأشخاص عبء الضريبة على الممتلكات (Tributum) وهى التى كانت تجبى لسد نفقات الحروب . وكان أهم من ذلك التغيب عن الأرض لأداء الخدمة العسكرية . إذ يجب أن نتذكر أن القتال كان يقتصر عادة على أفضل فصول السنة ، فكان الجندى المزارع يضطر إلى ترك أرضه لمن هم أقل منه قدرة على مراعاتها وكانت العاقبة فى أكثر الأحيان وخيمة ، لأن بوار المحصول كان معناه أن تتهدد الجندى المزارع أشباح الفاقة فلا يجد مناصا من الاستدانة . وقد كان وضع المدينين سيئا لأن فوائد الديون كانت مرتفعة ، وعقوبة العاجزين عن سداد ديونهم كانت صارمة . ذلك أنه كان يحق للدائن الاستيلاء على شخص المدين واستعباده فى خدمته ، أو بيعه فى أسواق الرقيق .

وقد أفاض المؤرخون الرومان المتأخرون فى وصف الصراع بين العامة والأشراف ، ونمقوا هذا الصراع بتفاصيل استعاروها من الصراع الذى وقع بين " الشعبيين " (Populares) ، و " الأخيار " (Optumates) فى القرن الأخير من عصر الجمهورية ، وابتدعوا لهذه التفاصيل من التشريعات ما يؤيدها ويضفى عليها طابعا وهميا من الحقيقة . ولم تكن الجهود الطائلة التى بذلها الباحثون المحدثون ، وتمخضت

عنها وجهات نظر متعددة فى كل جانب تقريبا من جوانب هذا الصراع حل المشاكل التى تكتنفه بل زادتها تعقيدا ، فلا عجب أن جوانب كثيرة من هذا الموضوع مازالت مثار جدل كبير . وإزاء ذلك كله لايسعنا إلا أن نكتفى بعرض المعالم الرئيسية لهذا الصراع ونتائجه على هدى ما نرى أنه أكثر الآراء التى أبديت فى هذا الموضوع حتى اليوم دقة وتمحيصا، وبأن نشير إلى أن صراع العامة مع الأشراف كان صراعا منظما لم يستهدف تحقيق كل مطالب العامة دفعة واحدة ، وإلى أن تهديد العامة بالهجرة من روما ، والامتناع عن المشاركة فى القتال كان من أهم ما ساعد على تحقيق مطالبهم ، وإلى أن هذه المطالب تحققت على مراحل متتابعة ، وأن تحقيق هذه المطالب لم يؤد فى الواقع إلى تحقيق المساواة بين العامة والارستقراط .

وعندما ضاق العامة بالتصرفات الجائرة والعقوبات الصارمة التى كانت تصدر عن الأشراف ، جمعوا صفوفهم فى عام ٤٩٤ ق . م . وانتخبوا من بينهم نقيبين يسميان " تريبونى العامة " يكون لهما حق الاعتراض (Intercessio) على أى اجراء أو تصرف يصدر عن أى حاكم فى أثناء ممارسته سلطته ، وبسط حمايتهما على كل من ينشدها من العامة تجاه من اجراءات الحكام وتصرفاتهم . وقد استمد تريبونا العامة سلطتهما من اليمين التى أقسمها العامة باعتبار شخصيهما مقدسين ولا يجوز مسهما (Sacroscant) ، واعتبار كل من يغفل تدخل أى واحد من تريبونى العامة أو يعتدى عليه أنه قد حلت به لعنة الألهة ويباح سفك دمه . وبما أن الأشراف لم يتحدوا هذا الاجراء ، فإنه كان أول كسب فاز به العامة مما شجعهم فى عام ٤٧١ ق . م . على اتخاذ خطوتين أخرتين : كانت احداهما هى تكوين مجلس عرف " بمجلس العامة " (Concillium) ، وفى هذا المجلس كانت الوحدة الانتخابية هى القبيلة وليست الكورة ولا المئين . وكانت الخطوة الأخرى هى زيادة عدد ترابنة العامة إلى أربعة ، وكان مجلس العامة هو الذى يقوم بانتخابهم سنويا كما سبق أن ذكرنا . ويتم اسم المجلس الذى كونه العامة وعدد الترابنة وكذلك قصر حق اعتراض الترابنة (Intercessio) على نطاق لايشمل إلا مدينة روما واقليما لايمتد أكثر من ميل واحد خارج سياج روما المقدس (Pomerium) ، على أن عضوية مجلس العامة كانت مقصورة على عامة القبائل

الأربع التى اختصت بها مدينة روما . ولما كانت الجمعية التى شكلها العامة لاتضم المواطنين الرومان جميعا ولا تحظى بإشراف الأشراف رسميا ، فإنها لم تعتبر فى عداد الجمعيات الشعبية الرسمية (Comitia) ، ومن ثم كان ذلك الاسم المميز الذى عرف به .

وحوالى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد طرأ من التغير على الأوضاع التى كانت سائدة فى روما ما ينم عن وقوع صراع داخلى اضطر الأشراف لحسمه إلى الاستجابة لبعض مطالب العامة . وبرغم أن الظروف المحيطة بهذه الأزمة لاتزال غير معروفة لنا ، فإنه من المستبعد أن تكون قد حدثت عندئذ كل التغيرات التى يعزو الكتاب المتأخرون حدوثها إلى هذا الوقت ، ويبدو أن أهم ما حدث عندئذ كان يتصل بتريبيونية العامة ومجلسهم ومن القوانين مشرعا .

أما عن التريبيونية ، فإن عدد ترابنة العامة زيد إلى عشرة ، واعترف بهم رسميا بوصف كونهم ممثلى العامة ، وبذلك أصبحوا فى عداد الوظائف العامة الذين يتمتعون بنفوذ (Potestas) دون أن تكون لهم سلطة تنفيذية (Imperium) ولم يعد فى وسع أحد أن يتحدى تدخلهم دفاعا عن حياة العامة وممتلكاتهم وصوالحهم باستخدام حق الاعتراض على أعمال الحكام ، وعلى أعمال أى زميل من ترابنة العامة ، وعلى الانتخابات والقوانين وقرارات السناتو ، بل ما هو معروض على السناتو ليصبح قرارا ، وتنفيذ مشيئتهم بالقوة الجبرية إذا اقتضى الأمر .

ولكى يتيسر لترابنة العامة الاعتراض على ما لايروق لهم أثناء عرضه على السناتو أصبح من حقهم حضور جلسات هذا المجلس لمتابعة ما يدور فيها من مناقشات . وفى مطلع القرن الثالث قبل الميلاد أصبح يحق لترابنة العامة تقديم أى حاكم سابق للمحاكمة أمام جمعية القبائل ، مما جعلهم الحراس على المصلحة العليا للدولة من حيث سوء استخدام الحكام سلطتهم فى أثناء توليهم الحكم . ولم يأت عام ٢١٦ ق . م . حتى كان قد أصبح من حق ترابنة العامة دعوة السناتو إلى الاجتماع . وفى خلال القرن الثانى قبل الميلاد أصبح تولى تريبيونية العامة مؤهلا كافيا للحصول على عضوية السناتو . ومما يجدر بالملاحظة أن تريبونية العامة التى أنشئت أصلا للدفاع عن صوالح العامة لم تلبث

أن أصبحت سلاحا ذا حدين لايستخدمه العامة فحسب ، بل خصومهم أيضا باكتساب جانب أحد ترابنة العامة وإغرائه على وقف أى تشريع لايروق الخصوم بحجة اضراره بالصالح العام ، على نحو ما سنرى فيما بعد .

وأما عن مجلس العامة فإنه فيما يبدو وقد تحول حوالى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد إلى جمعية شعبية رسمية جديدة تسمى جمعية القبائل (Comitia Consulta) كانت تتألف من مواطنى القبائل الرومانية جميعا [١] . وكانت الوحدة الانتخابية فى هذه الجمعية هى القبيلة مثل ما كانت فى مجلس العامة ، ولما لم تكن القبائل إلا وحدات اقليمية يجب على المواطنين الرومان أن يسجلوا فيها تبعا لأماكن اقامتهم أو مواقع ممتلكاتهم فلا سبيل إلى الشك فى أن الأشراف كانوا أعضاء فى جمعية القبائل . وأما ما يرقى إليه الشك فهو مدى وجدوى مشاركتهم فى أعمال هذه الجمعية ، لأن عددهم كان ضئيلا جدا بالنسبة إلى عدد العامة ، ولأن صوت الغالبية فى كل قبيلة هو الذى كان يعتبر ممثلا لها ، على نحو ما كانت عليه الحال فى المئينات . ومع ذلك فإنه فى رأى بعض الباحثين أنه كانت توجد فى الواقع هيئتان الوحدة الأساسية للتصويت فيهما كانت القبيلة ، وأن احدى هاتين الهيئتين كانت تتألف من العامة فقط دون الأشراف ، ويرأس اجتماعاتها ترابنة العامة ، وتعرف بالاسم القديم أى مجلس العامة ، وأن الهيئة الأخرى كانت تتألف من العامة والأشراف على السواء ، ويرأس اجتماعاتها القناصل أو غيرهم من الحكام المتمتعين بالسلطة التنفيذية ، وتعرف باسم جمعية القبائل . بيد أنه لايمكن قبول هذا الرأى ، ذلك أنه من ناحية إزاء اعتبار القبيلة الوحدة الأساسية للتصويت فى جمعية القبائل ، واعتبار رأى غالبية كل قبيلة معبرا عن صوتها ، وإزاء تفوق عدد العامة على عدد الأشراف فى كل قبيلة تفوقا كاسحا إلى حد أن أكثر العلماء يشكون فى أن الأشراف كانوا يشاركون فى أعمال هذه الجمعية ، وإزاء حق الترابنة فى الاعتراض على أعمال الحكام جميعا وعلى التشريعات كافة ، لم يكن هناك مبرر لوجود هيئة خاصة تقصر عضويتها على العامة

---

(١) كان عدد القبائل الرومانية عشرين فى ذلك الوقت ، ثم أخذت تزيد حتى أصبح عددها خمسا وثلاثين قبيلة .

دون الأشراف بعد إنشاء جمعية شعبية رسمية للقبائل . ومن ناحية أخرى لايوجد من القرائن ما يبرر أن انعقاد القبائل برياسة ترابنة العامة وانعقادها برياسة حكام يتمتعون بالسلطة التنفيذية يعبران عن وجود هيئتين مختلفتين . وإذا كان هذا الرأى يجد سندا فى فقرتين وردتا فى المصادر القديمة ، فأغلب الظن أن هاتين الفقرتين تصوران تفسيرا قانونيا متأخرا أكثر مما تصوران حقيقة واقعية . وعلى كل حال ، لاجدال فى أن اصطلاح " مجلس العامة " ظل مستعملا مدة طويلة فى الاشارة إلى جمعية القبائل ، ولعل أن يكون مرد ذلك إلى حقيقتين : احداهما هى أن مجلس العامة كان الأصل الذى نمت منه جمعية القبائل ، برغم أن الأشراف كانوا أعضاء فيها ، أصبحت أكبر نصير لحقوق العامة ، ومصدر أكثر التشريعات التى حققت مكاسبهم .

وفى الأصل كان ترابنة العامة هم الذين يدعون جمعية القبائل إلى الانعقاد ، ويتولون رياسة اجتماعاتها لانتخاب ترابنة العامة وايديلس العامة ، وكذلك للتعرف على وجهات نظر العامة فى المسائل التى تعنيهم . وهكذا اكتسبت جمعية القبائل اختصاصات تشريعية ، وكانت تصدر قرارات تعرف باسم " قرارات العامة " [١] Plebiscita تميزا لهذه القرارات عن القوانين (Leges جمع Lex) التى كانت تصدرها جمعية يرأس اجتماعها حاكم يتمتع بالسلطة التنفيذية . وكانت قرارات العامة لاتكتسب قوة القانون إلا إذا أبرمها السناتو بعد ذلك ، مثلها فى ذلك مثل قرارات جمعية الأحياء (Comitia Curiata) ، وكذلك قرارات جمعية المئينات حتى عام ٣٣٩ ق . م . وبمقتضى قانون بوبليليوس (Lex Publitia) ، وهو الذى أصدرته جمعية المئينات فى العام المشار إليه عاليه ، تقرر تطبيق قرارات العامة على كافة المواطنين الرومان إذا أبرمها السناتو .

ويبدو أنه فى أعقاب ذلك حين أدرك القناصل أنه كان أيسر لهم إصدار التشريعات فى جمعية القبائل منه فى جمعية المئينات لأن الجمعية الأولى كان يمكن عقدها داخل روما ذاتها على حين أن الجمعية الثانية كانت لايمكن أن تنعقد إلا خارج سياج روما المقدس ،

---

(١) هذا اللفظ عبارة عن الكلمتين اللاتينيتين Plebi Scitum ومعناهما : ما أقره العامة .

وفضلا عن ذلك فإن نظام التصويت فى الأولى كان أقل تعقيدا منه فى الثانية ، أخذ القناصل منذ أواخر القرن الرابع قبل الميلاد يستخدمون جمعية القبائل لإصدار ما يتراءى لهم من تشريعات . وفى هذه الحالات كان لقناصل هم الذين يرأسون اجتماعات جمعية القبائل . وبالرغم من أن القناصل كانوا يتمتعون بالسلطة التنفيذية ، وبالرغم من أن قرارات جمعية القبائل كانت عندئذ تسمى قوانين ، فإن هذه القرارات كانت لاتصبح نافذة المفعول إلا إذا أبرمها السناتو ، أى أن شأنها كان شأن قرارات العامة . وقد ظلت الحال هكذا إلى أن ألغى هذا القيد بمقتضى قانون هورتنسيوس (Lex Hortensia) والذى صدر فى عام ٢٧٨ ق . م . وحرر القرارات والقوانين التى تصدرها جمعية القبائل من قيد موافقة السناتو عليها .

ومن أهم الاختصاصات التى اكتسبتها جمعية القبائل أنها كانت تقوم بدور محكمة عليا فى القضايا السياسية وتنتخب الكرايستورس وايدليس الإشراف فضلا عن انتخاب ايدليس العامة وترابنتهم .

كان احتكار الطبقة الحاكمة تفسير القوانين وتطبيقها من أهم المظالم الشائعة فى الدول القديمة التى كانت توجد فيها جنبا إلى جنب طبقتان احداهما تتمتع بامتيازات واسعةوالأخرى محرومة هذه الامتيازات ، لم تكن أصلا إلا عادات وتقاليد تصل اتصالا وثيقا بالديانة وترجع إلى تاريخ قديم جدا ، بحيث أن مضمون الكثير منها ومغزاه أصبح غير معروف ولا مفهوم لدى سائر الناس . ولما كان الاشراف فى بداية عصر الجمهورية لايحتكرون الوظائف العامة فحسب ، بل أيضا عضوية الجماعات الدينية ، وتبعا لذلك يحتكرون الاحاطة بالقوانين الرومانية وتفسيرها وتطبيقها ، فإنهم كانوا فى مركز ممتاز بالنسبة إلى العامة . وهم الذين كان يتعذر عليهم معرفة القوانين وتفهمها والتحقق من صحة تفسيرها وتطبيها . ولما كان المجال متسعا أمام حكام الأشراف لاستخدام سلطتهم القضائية على هواهم ، فإن الأغراض كانت تشوب أحكامهم ، وتصدر بما يتفق وصالح أفراد من طبقتهم .

وإزاء ذلك كان طبيعيا أن يتذمر العامة ، وأن يكون فى مقدمة مطالبهم أن تسن قوانين واضحة ، وأن تنشر تلك القوانين لكى يتمكن الجميع من الإطلاع عليها وفهمها ،

وإرغام الحكام على مراعاتها . وبعد لأى لم يسع الأشراف إلا الاستجابة إلى مطلب العامة، ووفقا لما يرويه الكتاب الرومان المتأخرون أنتخب فى عام ٤٥٤ ق . م . ثلاثة أشخاص وأوفدوا إلى أثينا لدراسة قوانين سولون ، وبعد غيبة دامت عامين عاد المبعوثون إلى روما ، وأوصوا بانتخاب لجنة مؤلفة من عشرة أشخاص (Decemviri) لتسن القوانين الرومانية ، وفى عام ٤٥١ ق . م . انتخبت هذه اللجنة لتولى الحكم بدلا من القنصلين ، وتقوم بسن القوانين ونشرها . ولما لم تنته اللجنة من عملها فى خلال عام واحد ، أنتخبت لجنة أخرى أتمت سن القوانين وقامت بنشرها .

ويعتقد الباحثون أن هذه الرواية لاتخلو من زخارف أبدعها الكتاب الرومان المتأخرون . ولعل قصة البعثة التى أوفدت إلى أثينا ليست إلا تفسيرا لتأثر القوانين التى سنت بالقوانين التى كانت مطبقة فى المدن الاغريقية بإيطاليا ، وكان الرومان على اتصال بها منذ وقت طويل . وأغلب الظن أيضا أن لجنة العشرة الأصلية استمرت فى عملها إلى أن أتمته ، وأن هذه اللجنة لم تتألف إلا من الأشراف لأنهم هم وحدهم الذين كانوا يلمون بالقوانين الرومانية . وبعد الفراغ من سن القوانين حفرت على اثنتى عشرة لوحة اقيمة فى الفورم ، ولهذا السبب عرفت باسم قوانين اللوحات الاثنتى عشرة .

ولم يتبق من هذه القوانين إلا مقتطفات متفرقة وإشارات متعددة إليها فى كتب المؤرخين المتأخرين . وبفضل ذلك كله يمكن تكوين فكرة عامة فى محتويات هذه القوانين وطابعها . ومجمل هذه الفكرة أن المشرعين انتقوا من الأعراف القديمة المتوارثة بعضها، وأحلوا مكان البعض الآخر أعرافا أحدث عهدا وأقل تعقيدا ، واستكملوا ما يسد حاجة مجتمعهم بإضافات استمدوها من القوانين المعمول بها فى المدن الاغريقية بإيطاليا ، ثم صاغوا ذلك كله صياغة دقيقة ورتبوه ترتيبا منطقيا ، وبذلك أعطوا روما مجموعة من القوانين المدنية والجنائية والنظم الاجتماعية والاجراءات القانونية . وإذا كانت قوانين اللوحات الاثنتى عشرة تتسم بطابع بدائى فى كثير من نواحيها ، فإنها تعتبر البذور التى نبت منها القانون المدنى الرومانى .

وقد كان من أهم ما نصت عليه هذه القوانين أنها أيدت حق المواطنين الرومان فى أن يكون لهم حق الاستئناف (Provocatio) إلى الجمعية الشعبية أى حكم يصدره أى

حاكم أو أية محكمة ، وأنها جعلت الرأى النهائى فى الاحكام بالإعدام أو بالنفى من حق أعلى جمعية (Comitiatus Maximus) . واستنادا على ما جاء فى إحدى مرافعات شيشرون يرى بعض الباحثين أن المقصود بأعلى جمعية هو جمعية المئينات ، ولكنه يثير الشك فى هذا التفسير أمران : وأحدهما ، هو عدم ورود أى ذكر لمئينات كانت قد أنشئت فى هذا الوقت . ولعل الأدنى إلى الصحة أن يكون المقصود بأعلى جمعية هو انعقاد جمعية الأحياء لابرياسة الكاهن الأكبر ، وإنما برياسة حاكم يتمتع بالسلطة التنفيذية . وعلى كل حال فإن ما اقتضته قوانين اللوحات الاثنتى عشرة فى هذا الصدد كان أولى الخطوات التى قيدت سلطة الحكام المطلقة فى إصدار الأحكام الشديدة ، وأمنت المواطنين الرومان على سلامة حياتهم وعلى حقوقهم الدستورية .

بيد أنه من ناحية أخرى استبقت قوانين اللوحات الاثنتى عشرة وضعا شاذا ظلت أشبحه تهدد حرية المواطن الرومانى على مدى قرنين تقريبا ، وذلك باعترافها بحق الدائن فى القبض على مدينه وسجنه وبيعه فى سوق النخاسة إذا لم يتيسر له الحصول على حقه بوسيلة أخرى .

ومن نقائص هذه القوانين أيضا أنها أعطت سندا قانونيا لرفض الأشراف الاعتراف بشرعية الزواج الذى يعقد بين طرفين أحدهما من العامة والآخر من الأشراف . وحين ضاق العامة بذلك الأمر بسبب ما انطوى عليه من الاعتراف قانونا بأن مركز العامة الاجتماعى أدنى من مركز الأشراف ، أدرك هؤلاء الأشراف أن ذلك لم يكن فى صالحهم أيضا ، نظرا إلى أن عددهم كان آخذا فى التناقص باطراد بسبب خسائرهم فى القتال ، فقد كانوا فى بداية عهد الجمهورية يتحملون العبء الأكبر فيه ، وبسبب قصر زواجهم على طبقتهم وحظر التزاوج من العامة ، مما جعل ذلك ولاسيما فى كنف هذه الطريقة بمثابة عملية انتحارية . فمن أجل الحفاظ على طبقتهم من الانقراض سريعا ، كان من الخير لهم زواج أبنائهم وبناتهم من بنات وأبناء أثرياء العامة . وإزاء توافق صوالح العامة والأشراف فى هذا الصدد ، يحدثنا ليفيوس بأنه فى عام ٤٥ ق . م . صدر قانون (Le Canuleia) يعترف بشرعية التزاوج بين العامة والأشراف . وإذا كان هناك شك حول هذا التاريخ ، وكذلك حول صدور ما يمكن اعتباره قانونا بأدق معنى الكلمة فى هذه

المسألة ، فإنه لاشك فى أمرين : وأحدهما ، هو أنه بطريقة أو بأخرى لم يمض وقت طويل على سن القوانين ونشرها حتى أصبح التزاوج بين العامة والأشراف مباحا . والأمر الآخر ، هو أن إباحة هذا التزاوج لم يؤد إلى إزالة الحواجز كلية بين الطبقتين ، فقد ظلت طبقة الأشراف طبقة مغلقة إلى حد كبير ولم تسمح بهذا التزاوج إلا على نطاق ضيق .

وبرغم ما اعتور قوانين اللوحات الاثنتى عشرة من مثل هذه النقائض الرجعية ، فإن نشرها أفاد العامة كثيرا ، لأن معرفة القوانين أصبحت مباحة للجميع بعد أن كانت مقصورة على الأشراف . ولا أدل على ترحيب العامة بنشر القوانين من أنهم كانوا يجعلون الصبية يحفظونها ويرددونها . ومع ذلك فإن العامة لم يفيدوا الفائدة المرجوة من سن القوانين ونشرها بسبب ما سنبينه فيما بعد .

ويتضح لنا فيما مر بنا أنه فى خلال القرن الخامس قبل الميلاد كان لايحق للعامة أن يتولوا سوى وظائف الايدليلية والكوايستورية وتريبونية العامة ، وكلها وظائف إذا كانت تكسب شاغليها نفوذا (Potastas) ، فإنها كانت لاتكسبهم التمتع بالسلطات التنفيذية العليا (Imperium) ، وبذلك ظل الأشراف يحتكرون الوظائف ذات السلطة التنفيذية العليا ، وتبعا لذلك ظلوا يحتكرون قيادة الجيوش ، وتصريف العدالة ، وتوجيه السياسة العامة للدولة . وبرغم استماتة الأشراف فى الحفاظ على امتيازاتهم فى هذا المجال طوال القرن الخامس قبل الميلاد ، فإن ظروف الحرب مع فياى اضطرتهم إلى أن يسمحوا للعامة بتولى وظيفة التريبونية ذات السلطة القنصلية . وإذا صح ما أوردته القوائم التقليدية ، فإنه يتبين من ذلك أن العامة كانوا يؤلفون غالبية شاغلى هذه الوظيفة فى الأعوام ٤٠٠ ، ٣٩٩ ، ٣٩٦ ق . م . حين كانت هيئة التربانة العسكريين ذوى السلطة القنصلية تتألف من ستة أشخاص ، ويبدو أنه بعد الانتصار على فياى عاد الأشراف فاستأثروا بشغل هذه الوظيفة ، لأننا لانجد العامة بين شاغليها بين عامى ٣١٥ ، ٣١٠ ق . م . إلا ثلاث مرات كان لهم فى اثنتين منها ممثل واحد ، وفى حالة واحدة فقط (فى عام ٣٧٩ ق . م .) ثلاثة ممثلين .

وعندما تقرر فى عام ٣٦٧ ق . م . العدول نهائيا عن نظام التربونية العسكرية ذات السلطة القنصلية والعودة إلى نظام القنصلية اعتبارا من العام التالى ، اعترف رسميا بحق العامة فى تولى وظيفة القنصلية ، وكان أحدهم قنصلى عام ٣٦٦ ق . م . من العامة ويدعى لوقيوس سكستيوس (Lucius Sextius) ، وقد كان هذا القنصل تريبون يدعى جايوس ليفينوس (Gaius Licinius) ، وتعزو الروايات القديمة إلى هذين التريبونين استصدار مجموعة من القوانين تعرف باسميهما ، أى القوانين الليقينية السكستية (Leges Liciniae Sextiae) . وبمقتضى أحد هذه القوانين تقرر أن يكون أحد القنصلين فى كل سنة من العامة . وقد احترم هذا القانون فيما بين عامى ٣٦٦ ، ٣٥٥ ق . م . ولكنه حدث فيما بين عامى ٣٥٤ ، ٣٤٢ ق . م . أن كان القنصلان من الأشراف سبع مرات ، غير أنه يبدو أن ذلك لم يتكرر ثانية بعد عام ٣٤٢ ق . م . وإذا كان من العسير قبول ما يذهب إليه بعض الباحثين من أنه فى عام ٣٤٢ ق . م . صدر قانون يحظر أن يكون القنصلان من الأشراف لكنه يسمح بأن يكونا من العامة . فإنه على أى حال لم ينل وظيفة القنصلية اثنان من العامة فى السنة نفسها قبل عام ١٧٢ ق . م .

وبعد اكتساب العامة حق تولى القنصلية ، لم يعد فى الإمكان ولا من المعقول الحيلولة بينهم وبين تولى باقى الوظائف العامة الأخرى ، فقد اكتسبوا حق تولى الدكتاتورية فى عام ٣٥٦ ق . م . عندما أسندت هذه الوظيفة إلى محارب ممتاز من العامة يدعى مارقيوس روتيليوس (Gaius Marcius Rutilus) . وفى عام ٣٥١ ق . م . اكتسبوا حق تولى القنسورية ، عندما انتخب هذا الرجل نفسه قنسورا .

وفى عام ٣٣٧ ق . م . اكتسبوا حق البرايتورية ، عندما انتخب برايتورا وحل آخر ممتاز من العامة يدعى كوينتوس بوبليليوس فيلو (Quintus Publilius Philos) ، وهو الذى كان قد تولى الدكتاتورية فى عام ٣٣٩ ق . م . واستصدر فى جمعية المئينات خلال توليه هذه الوظيفة عددا من القوانين الهامة المعروفة باسم (Leges Publiliae) .

وقبل ذلك كان العامة قد اكتسبوا فى عام ٣٦٦ ق . م . حق تولى الايديلية القوروليه ، على أن يتناوبوا مع الأشراف شغل هذه الوظيفة عاما فعاما – على نحو

ما مر بنا .

بيد أنه مما يجدر بالملاحظة هنا أمران : وأحدهما ، هو أن اكتساب العامة حق تولى الوظائف العامة جميعها لم يؤد إلى اندفاع نحو شغلها برجال من العامة ، فقد كان الناخبون يميلون إلى تفضيل المرشحين الذين لهم أو لأسرهم ماض ممتاز فى الحياة العامة ، وذلك بحكم العادة وبسبب الادراك العام بأن تولى الوظائف العامة يقتضى قدرا كبيرا من الخبرة والمعرفة مما كان لايتوافر للمواطن العادى . هذا إلى أنه لما لم تكن هناك مرتبات للوظائف العامة ، وكانت مظاهر شغلها والدعاية الانتخابية للفوز بها تتكلف كثيرا ، فإنه كان لايستطيع التطلع إليها إلا الأغنياء . وقد ساعد على قصر تولى الوظائف العامة على أشخاص ينتمون إلى عدد قليل من الأسر الكبرى أن هذه الأسر كانت بدورها تنتمى إلى عشائر كبرى وأنه كان لهذه الأسر والعشائر ، سواء من الأشراف أم من العامة ، أتباع كثيرون . غير أنه إذا كانت أبواب الوظائف العامة لم تفتح على مصاريعها أمام أى مرشح ، فإن إزالة الحواجز أدى إلى أن يتولاها عدد كبير من الأشخاص الأكفاء الذين كان يتعذر عليهم من قبل توليها . والأمر الآخر أن إزالة هذه الحواجز لم يؤد إلى أن يتولى الوظائف العامة أشخاص بارزون من عامة الرومان فحسب ، بل أيضا أشخاص ينتمون إلى الأسر الحاكمة فى المدن اللاتينية والايطالية التى ضمت إلى الدولة الرومانية كاملة . وتبعا لذلك أصبح شاغلوا الوظائف العامة الرومانية عند أواسط عهد الجمهورية يمثلون أبرز الكفايات فى الدولة الرومانية .

وحتى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ، عندما آل إلى القنسورس حق اختيار أعضاء السناتو ، كان يمارس هذا الحق الحكام الذين يشغلون أرفع وظائف الدولة الرومانية ، وكانوا فى الظروف العادية القناصل ، وفى المدة من عام ٤٤٤ إلى عام ٣٦٧ ق . م الترابنة العسكريين ذوى السلطة القنصلية ، وفى الظروف غير العادية الدكتاتوريين وهيئة العشرة . وحتى عام ٤٠٠ ق . م . أى طوال المدة التى ظل فيها الأشراف يحتكرون تولى هذه الوظائف لم يكن اختيار أحد من العامة عضوا فى السناتو إلا استثناء نادرا على أحسن تقدير . ولما كان أصبح عرفا مقررا منذ عهد بعيد ادراج القناصل السابقين فى قائمة أعضاء السناتو ، وكان الترابنة العسكريون ذو السلطة القنصلية

قد خلفوا القناصل لفترة امتدت نحو ثلاثة أرباع قرن وأصبحوا يدرجون فى عداد أعضا
السناتو ، وكان قد سمح للعامة بتولى وظيفة التريبونية ذات السلطة القنصلية منذ ع
٤٠٠ ق . م . فإن العامة أخذوا منذ ذلك الوقت يلجون أبو ب السناتو . ومنذ أن اكتسبو
فى عام ٣٦٧ ق . م . حق تولى القنصلية ، أخذ يزداد باطراد عدد العامة فى السناتو
ذلك أنه بين عامى ٣٦٦ ، ٣٦٥ ق . م . تولى القنصلية من العامة تسعون شخصا
أصبحوا بعد عام حكمهم أعضاء فى السناتو . وقد ساعد على زيادة عدد أعضاء السناتو
من العامة عاملان آخران : كان أحدهما هو اكتساب العامة حق تولى الوظائف العامة
الأخرى ، وكان العامل الآخر هو أنه فيما بين عامى ٣١٨ ، ٣١٢ ق . م . استصدر
تريبون العامة اوفينيوس (Ovinius) القانون المعروف باسمه (Lex Ovinia)
وهو الذى قضى بأن يختار القنسورس أعضاء السناتو من " أفضل المواطنين مهما تكن
مرتبتهم " (Optimum Quemque Exomni Ordine) . ويبدو من تطبيق هذا
القانون أنه قصد به اختيار أعضاء السناتو من كافة الحكام السابقين ذوى السلوك الحسن .
إذ أن عضوية السناتو لم تعد مقصورة على الأشراف ولا على القنسورس والقناصل
السابقين فحسب ، بل أخذت تمتد تدريجيا حتى شملت فى خلال الفترة التى نحن بصددها
الآن من سبق لهم تولى البرايتورية ، ثم اتسعت فى النصف الثانى من عهد الجمهورية
لتشمل كذلك البرايتورس الحاليين ، ومن سبق لهم تولى الايديلية أو تريبونية العامة
أو الكوايستورية . وعلى حين كان أعضاء السناتو من الأشراف يسمون الآباء
(Patres) ، كان أعضاء السناتو من العامة يسمون أحيانا المختارين (Adlecti) .
وعادة " السجلين " (Conscripti) ، وقد ظل هذا التميز واضحا فى الصيغة التقليدية
التى كان يخاطب بها أعضاء السناتو .

ونتيجة لهذا المزج فى السناتو بين الأشراف وأبرز رجال العامة ، وكذلك أبرز
اللاتين والايطاليين ، أخذ يتغير تكوين الارستقراطية الرومانية ، مما أدى على مر الزمن
إلى تكوين ارستقراطية جديدة تختلف اختلافا كبيرا عن ارستقراطية الأشراف القديمة
على نحو ما سنرى فى صدد الحديث عن النصف الثانى لعصر الجمهورية الرومانية .
وعلى كل حال فإنه كان من شأن فتح السناتو أبوابه لأبرز رجال العامة واللاتين

والايطاليين تغذيته بعناصر ممتازة ، ودعم مكانته ، وازدياد نفوذه . وهكذا لم يؤد الصراع بين الأشراف والعامة إلى إضعاف السناتو وإنما إلى تقويته .

ويتصل بموضوع دخول العامة للسناتو ما يعزى إلى رجل ممتاز من الأشراف يدعى ابيوس قلاديوس (Appius Claudius) ، وكان أحد القنسوريين اللذين توليا مهام القنسورية فى ٣١٢ - ٣١١ ق . م . ويبدو أنه كان أقوى شخصية وأكثر همة من زميله ، فقد خلد اسمه بعملين جليلين ، كان أحدهما إنشاء الطريق العام المعروف باسم " طريق ابيوس " Via Appia ، وكان الآخر إنشاء أول قناة صناعية للمياه Aqua Appia . ولما كان قد أصبح من حق القنسورس اختيار أعضاء السناتو ، فإن ابيوس انتهز هذه الفرصة ليدخل السناتو عددا كبيرا من العامة ، كان من بينهم بعض أبناء المعتقين ، أى الذين كانوا عبيدا وحرروا وأصبحوا مواطنين رومان . غير أنه يقال أن القنصلين أغفلا القائمة التى أعدها ابيوس ، ولم يدعو إلى اجتماع السناتو إلا الأعضاء الذين كانوا مدرجين فى القائمة السابقة .

ويعزى إلى ابيوس قلاوديوس إجراء ديموقراطى آخر يدور الجدل حول صحته ، لكنه فى الواقع يتفق واتجاه هذا الرجل المصلح . وبيان ذلك أن المواطنين الرومان كانوا موزعين تبعا لمناطق سكنهم على قبائل حضرية (Tribus Urbanae) وعلى قبائل ريفية (Tribus Rusticae) . وبرغم زيادة عدد سكان روما زيادة كبيرة لم يزد عدد القبائل الريفية تبعا لاتساع الاقليم الرومانى ، حتى بلغ سبعا وعشرين فى عام ٣١٨ ق . م وإزاء ذلك كان هناك تفاوت كبير بين عدد المواطنين فى كل قبيلة من كل القبائل الحضرية ، وعددهم فى كل قبيلة من القبائل الريفية . فمن أجل إيجاد قدر من التوازن بين عدد مواطنى القبائل المختلفة ينسب إلى ابيوس أنه سمح لسكان روما ممن لم يمتلكوا أرضا ، أى للتجار والعمال ، بأن يسجلوا أنفسهم فى أية قبيلة . غير أنه يقال أن قنسورى عام ٣٠٤ ق . م . عادا فقصرا تسجيل عامة روما على قبائلها الحضرية . وبرغم ما منى به ابيوس قلاوديوس من فشل ، فإنه استمر فترة طويلة من أبرز الشخصيات فى الحياة العامة الرومانية . ومما يستوقف النظر أنه بعد أن تولى القنصلية مرتين فى عامى ٣٠٧ ، ٢٩٦ ق . م . لم ير غضاضة فى تولى البرايتورية فى عام ٢٩٥ ق . م .

كان آخر معقل للأشراف هو عضـوية الجماعـات الدينيـة ، وهـو المعقل الذى أخذ العامـة يقتحمونـه منـذ حوالـى عـام ٣٦٨ ق . م . عندمـا تقـرر زيـادة عـدد أعضـاء الجماعة المختصة بجمع النبؤات المقدسة والحفاظ عليها وتفسيرها من اثنيـن إلـى عشـرة ، على أن يكون نصفهم من العامة . وفى عام ٣٠٠ ق . م . وصل العامة إلى أهم جماعتين دينيتين ، عندمـا قضـى قـانون اوجولنيوس (Lex Ogulnia) بـأن يـزداد عدد أعضـاء جماعة كبار الكهنة (Pontifices) من أربعة إلى ثمانية ، وعدد أعضاء جماعة العراف (Augures) من خمسة إلى عشرة ، على أن يكون نصف الأعضاء من العامة فى كل من هاتين الجماعتين . وتبعا لذلك لم يعد فى وسع الأشراف اسـتغلال الوسـائل الدينيـة فى تعطيل نشاط العامة السياسى .

وكان من أبرز سمات الدستور الرومانى الباكر ذلك الحق الذى منـح للحكـام ذوى السلطة التنفيذيـة (Imperium) فى إرغـام (Coercitio) المواطنين الرومــان علـى إطاعتهم بإصدار أحكام عليهم كان أشدها فرض غرامات كبيرة ، أو الحكـم عليهـم بـالجلد أو بالنفى أو الاعدام . وقد مر بنا أن قوانين اللوحات الاثنتى عشرة أيدت حق المواطنين فى استئنـاف مـا يصـدر عليهـم من أحكـام ، وجعلت الرأى النهـائى فـى الاحكـام بالاعـدام أو بالنفى من حق الجمعية الشعبية العليا ، وهى التى رجحنا أنها كانت جمعية الأحياء حين انعقادها برياسة أحد الحكام ذوى السلطة التنفيذية ، وأن حق النظر فى الاستئناف انتقل إلى جمعية المئينات قبل منتصف القرن الرابع قبل الميلاد . بيد أن الارستقراطية عمـدت فترة من الزمن إلى تعطيل نشـاط جمعيـة المئينـات فـى هـذا الصـدد ، بانتهـاز أوقـات الأزمـات لاقناع القنصلين بتعيين دكتاتور مكانهما ، ومن ثم فإن اختصاصاتهما القضائية كانت تؤول إلى الدكتاتور ، وتبعا لذلك كانت الارستقراطية تتذرع بـأن مـا جـاء فـى قوانيـن اللوحـات الاثنتى عشرة خاصا بحق استئناف أحكام الحكام لاينطبـق علـى الأحكـام الصـادرة مـن أى حاكم غير عادى مثل الدكتاتور . غير أن مـارقيوس فـاليروس (M . Valerius) أحد قنصلى عام ٣٠٠ ق . م . قضى على هذا التحايل بالقانون الذى أصدره (Lex Valeria de Provocatione) ، وأعطـى المواطنين حـق استئناف جميـع الأحكـام التـى يصدرهـا عليهم أى حاكم رومانى ، ومنع أى حاكم رومانى من إنزال عقوبة الجلد أو عقوبة الاعدام

بأى مواطن قدم استئنافا من الحكم الذى صدر عليه . ولكنه يجب أن يلاحظ أن ممارسة حق الاستئناف كانت مقصورة على الأحكام الصادرة فى المنطقة الواقعة داخل سياج روما المقدس (Pomerium) ، ومن المحتمل أيضا حتى مسافة ميل واحد خارج هذا السياج .

أى أن ممارسة حق الاستئناف كانت مقصورة على الأحكام الصادرة فى داخل منطقة تماثل المنطقة التى كان يحق فيها لترابنة العامة ممارسة حقهم فى الاعتراض والتدخل لحماية أرواح المواطنين الرومان وممتلكاتهم . وأما خارج هذه المنطقة فإن سلطة الحكام التنفيذية كانت مطلقة ولايجوز استئناف الأحكام التى كانوا يصدرونها بمقتضاها ، ولا اعتراض ترابنة العامة عليها . ومما يجدر بالملاحظة أن الكتاب المتأخرين يزعمون أنه صدر فى عامى ٥٠٩ ، ٤٤٩ ق . م . قانونان للاستئناف بسياستهما أيضا قانونى فالريوس ، لكن الباحثين يتفقون على أنه ليس لهذا الزعم سند تاريخى يؤيده .

هذا وقد ساعد على إنهاء الصراع فى عام ٢٨٧ ق . م . وقوع أزمة اقتصادية حادة كانت لها نتائج سياسية بعيدة المدى . ذلك أن مشكلة الديون التى كان المزارعون الرومان يزرحون تحت عبئها أخذت تتفاقم فى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الثالث قبل الميلاد ، تبعا لازدياد تجنيد المزارعين وطول تغيبهم عن مزارعهم . وبلغت الأزمة ذروتها عندما تقرر فى عام ٢٨٩ ق . م . ضرورة استخدام " العملة " فى كافة أنواع التعامل بدلا من المقايضة ، وهى التى كانت شائعة ومألوفة حتى هذا الوقت ، إذ أنه لم يترتب على استخدام " العملة " اضطراب شديد فى التعامل فحسب ، بل أيضا تيسير عقد القروض واحتساب فوائد مرتفعة عليها .

وعلى كل حال فإنه فى أعقاب الحروب المسنية تعالت أصوات العامة مطالبة بتصحيح أوضاع المدينين ، ولكن السناتو بوصف كونه ممثلا وراعيا لصوالح الدائنين رفض مرارا الموافقة على التشريعات التى أقرتها جمعية القبائل لتحسين حال المدينين . وإزاء عناد السناتو أقدم العامة على خطوة جريئة فى عام ٢٨٧ ق . م . بأن هاجروا إلى تل يانيفولوس عبر التيبر ، وهددوا بالانفصال عن الدولة الرومانية . ويبدو أن ما أقدم عليه العامة عندئذ هو الذى أوحى إلى الكتاب المتأخرين بالقول بأن العامة لجأوا إلى استخدام هذا السلاح مرتين قبل ذلك ، إحداهما فى عام ٤٩٥ ، والأخرى فى

عام ٤٤٩ ق . م . بيد أن الباحثين يميلون إلى اعتبار ذلك مثلا آخر من الأمثلة التـى اتخذ فيها الكتاب المتأخرون ما حدث فى بعض المناسبات قياسا لافتراضهم وقوع أحداث مماثلة فى مناسبات سابقة مماثلة .

وعلى كل حال فإنه إزاء الأزمة التى نشأت من جراء ما هدد به العامة فى عام ٢٨٧ ق . م . لم يجد السناتو مناصا من أن يلين ، فأقيم من العامة دكتاتور يدعى كيوينتوس هورتنسيوس (Quintus Hortensisus) لفض الإشكال . وقد نجح هورتنسيوس فى تخفيف ضائقة المدينين ، وإن كنا لانعرف على وجه اليقين كيفية حله لهذه المشكلة . وبعد ذلك استصدر القانون المعروف باسمه (Lex Hortensia) ، وهو الذى قضى بأن تصبح منذ ذلك الوقت كل القرارات التى تصدرها جمعية القبائل سارية المفعول دون أن تسبقها أو تعقبها موافقة السناتو عليها .

وقد كانت النتيجة الطبيعية لقانون هورتنسيوس الذى حرر جمعية القبائل من كل قيد على حرية حقها فى التشريع أنها أصبحت تدريجيا الجمعية التشريعية الرئيسية ، على حين أن جمعية المئينات أصبحت الجمعية الانتخابية العليا ، فهى التى كانت تنتخب أعلى الحكام مرتبة ، أى القناصل والقنسورس والبرايتورس . وكان يتعين دائما ألا يدعو جمعية المئينات إلى الانعقاد ويرأس اجتماعاتها إلا حاكم يتمتع بالسلطة التنفيذية . وأما جمعية القبائل فإنه من أجل إصدار التشريعات كان يستطيع دعوتها إلى الانعقاد إما حاكم يتمتع بالسلطة التنفيذية ، وإما أحد ترابنة العامة ، ولكنه من أجل انتخاب ترابنة وايديليس العامة كان يتعين أن يدعوها إلى الانعقاد أحد ترابنة العامة . على حين أنه من أجل انتخاب الكواريستورس والايدياس قورولسس ، وفيما بعد الترابنة العسكريين الأربعة والعشرين ، كان يجب أن يدعوها إلى الانعقاد حاكم يتمتع بالسلطة التنفيذية .

ويجب ألا يفوتنا فى هذا المجال أن نشير إلى أنه إذا كانت جمعيتا المئينات والقبائل تتألفان من جميع المواطنين الرومان ، فلأنهما كانتا تختلفان إحداهما عن الأخرى من حيث توزيع المواطنين إلى وحدات انتخابية ، مما أدى إلى جعل جمعية المئينات تحت سيطرة أكثر فئات المواطنين ثراء ، وجمعية القبائل تحت سيطرة أكثر فئات المواطنين عددا ، وتبعا لذلك أكثر اتساما بالديموقراطية .

وإذا استبعدنا من تاريخ هذا الصراع مبالغات الروايات التقليدية وتنسيقات الكتاب المتأخرين ، فإنه يبرز بوضوح من بين ثنايا هذا الصراع مدى اتزان الرومان الأوائل وحكمتهم فى الشئون السياسية ، ذلك أنه برغم ما تخلل هذا الصراع من خلافات شديدة فى الرأى ، بل يبدو أنها لم تقف دائما عند حد المشادات الكلامية ، بل أفضت أحيانا إلى وقوع اضطرابات ، فإن الفريقين لم يترددا مرة بعد أخرى فى دفن خلافاتهما وجمع شملهما والوقوف صفا واحدا فى وجه عدو يتهدد سلامة الوطن . وكثيرا ما حدث أن امتنع الفريقان عن الاشتباك فى حرب أهلية ، مفضلين على ذلك تسوية خلافاتهما بالوصل إلى حلول وسط . وإذا كان العامة قد أظهروا قدرا كبيرا من الصبر على المكاره ومن القدرة على التنظيم ، فإن الأشراف من ناحيتهم قبلوا أكثر مطالب العامة تدريجيا بدافع من الميل إلى الروية والأناة والتطور وئيدا خطوة فخطوة .

وإذا ما قورن الصراع بين العامة والأشراف بضروب الصراع المدمرة العنيفة التى وقعت بين العامة والارستقراطية فى المدن الاغريقية ، أو بالصراع الدموى الذى وقع فى القرن الأخير من الجمهورية فى روما ، بدا على الفور أن الصراع بين العامة والأشراف كان نموذجا للوحدة الوطنية وحسن التصرف والصبر على المكاره ، وأن انتصارات العامة تباعا نتيجة لحلقات متتالية من الاتفاق بين العامة والأشراف .

ويتبين مما سبق أنه قبل أن ينتهى عام ٢٨٧ ق . م . كان الصراع قد انتهى ، وكانت الخلافات قد سويت بسلسلة من التشريعات أفضت إلى إيجاد جهاز مزدوج لأنظمة الحكم فى الدولة الرومانية . ذلك أن تريبونية العامة وجمعية القبائل ، وهما اللتان أنشئتا أصلا للدفاع عن صوالح العامة ثم منحتا سلطات هائلة وأصبحتا جزءا من التنظيم الحكومى جنبا إلى جنب الوظائف العامة ، وجمعية الأحياء وجمعية المئينات وهى التى كانت جميعها منذ إنشائها أدوات لتصريف شئون المواطنين جميعا وتسيير دفة الحكم . وقد كان من شأن هذا الازدواج عدم استقرار نظام الحكم ، لو أن كلا من الفريقين عمل على استخدام كافة السلطات المخولة له من أجل خدمة صوالح طبقته . وكذلك كان من شأن ما منح للعامة من حقوق ، ولتراينة العامة من سلطات ، ولجمعية القبائل من اختصاصات ، أن يتسم الدستور الرومانى بطابع ديموقراطى .

وقد ساعد على استقرار نظام الحكم ما حدث من تآلف بين الأشراف وأبرز أسر العامة . ولما كان ترابنة العامة ينتخبون عادة من بين صفوف هذه الأسر ، فإنهم لم يكونوا عادة لا هم ولا جمعية القبائل أدوات معوقة لأجهزة الحكم الأخرى ، أو أسلحة سلطت على رقاب الارستقراطية . ولا أدل على ذلك من أن ترابنة العامة كانوا عادة يستطلعون رأى السناتو قبل استخدام حقهم فى الاعتراض ، أو حقهم فى استصدار قوانين من جمعية القبائل ، أو حقهم فى تقديم حاكم سابق للمحاكمة . وبفضل ما اتسم به الرومان الأوائل من حكمة وإتزان ظلوا لمدة طويلة يغلبون المصلحة العامة عادة على أكثر الاعتبارات الأخرى . فلا عجب أن الرومان بعد تسوية خلافاتهم على نحو ما أسلفنا ، تمكنوا من أن يكرسوا جميعا جهودهم للأعباء العسكرية الكبيرة التى واجهتهم بعد ذلك .

بقيت ملاحظة أخيرة ، وهى أنه قد ترتب على شدة ميل الرومان جميعا إلى الحفاظ على تقاليدهم قدر الطاقة أمران مهمان : وأحدهما ، هو أنه برغم ما كسبه العامة من حقوق كفلت لهم المساواة قانونا مع الأشراف ، فإن هذه المساواة كانت شكلية أكثر منها حقيقية . ولا أدل على ذلك من أنه بعد اكتساب العامة حق تولى الوظائف العامة جميعا لم يحدث اندفاع نحو شغلها برجال من العامة ، بل ظل الناخبون يميلون إلى تفضيل المرشحين الذين لهم أو لأسرهم ماض ممتاز فى الحياة العامة .

والأمر الآخر ، هو أنه برغم ما منح للعامة من حقوق ، وما اتسمت به تريبونية العامة وجمعية القبائل من طابع ديموقراطى ، لم يصبح نظام الحكم الرومانى نظاما ديموقراطيا بمعنى الكلمة ، وإنما ظل فى الواقع نظاما ارستقراطيا . وقد كان مرد ذلك إلى عاملين رئيسيين : وأحدهما ، هو ما حدث من تآلف بين الأشراف وأبرز أسر العامة ، مما يسر للطبقة الحاكمة الجديدة تنفيذ مشيئتها ، والحفاظ على مقاليد الأمور فى قبضتها . والعامل الآخر ، هو أنه برغم كل التطورات التى حدثت فى أثناء الصراع بين العامة والأشراف احتفظ الرومان فى كل جمعياتهم الشعبية بنظام الاقتراع وحدات لا أفراد . فهذا النظام الذى بدئ بإتباعه فى جمعية الأحياء ، حيث كان رأى غالبية كل وحدة منها يعتبر صوتا واحدا ممثلا لرأى هذه الوحدة ، احتفظ به فى جمعية المئينات ، حيث كان رأى غالبية كل مئين يعتبر صوتا واحدا ممثلا لرأى هذا المئين . كما احتفظ به كذلك فى جمعية

القبائل . حيث كان رأى غالبية كل قبيلة يعتبر صوتا واحدا ممثلا لرأى هذه القبيلة . وإزاء عدم التساوى ، سواء بين وحدات جمعية الأحياء أم بين القبائل أم حتى على مضى الزمن بين المئينات ليس فقط من حيث عدد أفراد كل وحدة من هذه الوحدات ، بل أيضا من حيث نسبة الموافقة أو عدم الموافقة فى كل وحدة . كان من الممكن أن يؤدى الاقتراع وفقا لهذا النظام ، على الأقل فى بعض الأحيان ، إلى نتائج مختلفة عن النتائج التى يؤدى إليها الاقتراع لو أن أصوات الأفراد - وليست أصوات الوحدات - هى التى كانت تحتسب .

وتوضيحا لذلك نضرب مثلا بجمعية القبائل ، وهى التى كانت أكثر الجمعيات الرومانية اتساما بالديموقراطية ، ونفترض فى هذا المثل أن عدد أفراد كل قبيلة كانوا ٥٠٠ ، وأن عدد القبائل كان احدى عشر ، وأن ست قبائل وافقت على تشريع أو على انتخاب مرشح بالأغلبية المطلقة فى كل منها ، أى بموافقة ٢٥١ x ٦ = ١٥٠٦ ضد ٢٤٩ x ٥ = ١٢٤٥ ، وأن خمس قبائل رفضت الموافقة على التشجيع أو على انتخاب المرشح بأغلبية كاملة ، أى ٥٠٠ x ٥ = ٢٥٠٠ ، وإذا أضيفت إلى هذه الأصوات أصوات غير الموافقين (١٢٤٥) من القبائل الست التى وافقت ، يكون مجموع أصوات الأفراد غير الموافقين ٣٧٤٥ ، ومجموع أصوات الأفراد الموافقين هو ١٥٠٦ ، ومع ذلك فإنه كانت تتم الموافقة على التشريع أو على انتخاب المرشح ، لأن أغلبية القبائل ذاتها وافقت . ولاشك فى أن هذا مثل متطرف من حيث عدد أصوات الموافقين وغير الموافقين ، ولكنه ليس من الاسراف القول بأنه كان من الجائز جدا بأن أصوات القبائل بوصف كونها وحدات انتخابية ، لاتعبر عن الغالبية الحقيقية لأصوات الأفراد ، ولاسيما عندما لم تعد متكافئة ، ليس فقط من حيث عدد أفراد كل منها ، بل أيضا من حيث عدد من كانوا يحضرون من كل قبيلة اجتماعات جمعية القبائل . وهذا ينطبق كذلك على جمعيتى الأحياء والمئينات .

وفى ظل هذا النظام الخاص بالاقتراع ، لم يكن ميسورا أن يصبح نظام الحكم الرومانى ديموقراطيا ، حتى إذا لم يحدث ما أشرنا إليه من تآلف بين الأشراف وأبرز أسر العامة . ومن المعروف أن نظام الاقتراع الفردى الذى كان متبعا فى الجمعيات الشعبية

الاغريقية قد ساعد على نمو الديموقراطية فى المدن الاغريقية ؛ وبخاصة فى أثينا .

وعلى كل حال يبدو أن العامة بعد أن تكلل كفاحهم بالنصر الذى أحرزوه فى عام ٢٨٧ ق . م . وكفل لهم المساواة فى الحقوق مع الأشراف ، لم يعودوا تلك القوة الدافعة فى الحياة السياسية الرومانية ، وإنما قنعوا بإقرار المساواة ، وتركوا شئون الحكم للارستقراطية الجديدة التى نجمت عن تآلف الأشراف وأبرز أسر العامة . وقد أسهم مجرى الأحداث فى ذلك .

روما بعد الصراع

وأمام ما تقدم فإن الجمهورية الرومانية قد قامت فى عام ٥٠٩ حتى ٣٠ ق . م . ويقسم المؤرخون هذه الفترة الطويلة عادة إلى مرحلتين ، أولاهما تنتهى بعد منتصف القرن الثالث ، وتنتهى المرحلة الثانية بعام ٣٠ ق . م . غير أن الجمهورية لم تكن منذ البداية جمهورية ديموقراطية – وإنما اكنت ارستقراطية يغلب عليها الطابع الاوليجاركى Oligarchy ، ونحن نعنى بالاوليجاركية حكم الأقلية . ذلك أنه سيطر على الحكم منذ البداية طبقة الأشراف Patricii واستأثروا به من دون طبقة العامة ، وعندما قام النظام الجمهورى حل محل الملك على رأس الحكومة موظفان حمل كل منهما فى أول الأمر لقب " بريطور " Praetor ، ثم لقب " قنصل " Consul فيما بعد ، وكان هذان الموظفان ينتخبان سنويا يساعدهما بعض الموظفين الذين كان عددهم يزداد على مر السنين وفقا لتزايد احتياجات الدولة الناشئة المتوسعة ، هذا إلى جانب مجلس الشيوخ (السناتو) . وقد كانت كل الوظائف تقريبا وقفا على طبقة الأشراف ، كما أن مجلس السناتو كان معقلا لهذه الطبقة أيضا ، لأن عضويته كانت قاصرة على أفرادها . لكن طبقة العامة أخذت تكافح بإصرار من أجل الحصول على حقوقهم فى تولى الوظائف الكبرى وفى دخول مجلس السناتو ليتساووا مع الأشراف . ومضى هذا الكفاح فى شوط طويل كان العامة فيه ينتزعون حقوقهم بالتدرج . ولم تتم لهم المساواة مع طبقة الأشراف من الناحية القانونية الرسمية إلا فى حوالى منتصف القرن الثالث ق . م . (قانون

هورتنسيوس الصادر عام ٢٨٧ ق . م .) . والواقع أن قصة الصراع بين الطبقتين خلال القرون الخامس والرابع والثالث قبل الميلاد ، هى فى ذات الوقت جزء هام من قصة التطور الدستورى للجمهورية الرومانية منذ قيامها حتى منتصف القرن الثالث .

وفى ذات الوقت الذى كانت روما فيه تتطور تطورها الدستورى فى الداخل ، كانت المدينة جادة فى التوسع فى شبه جزيرة إيطاليا . وقد استطاعت بالتدريج أن تبسط سلطانها على الدويلات اللاتينية التى كانت مجاورة لها فى سهل لاتيوم Latium ، وأن تخضع الشعوب المحيطة بهذا السهل . وكان على روما أن تخوض فى سبيل ذلك حروبا مريرة متصلة مع تلك الشعوب ، فضلا عن تعرضها لهجمات قبائل الغال فى الشمال ، وهم الذين بلغ من خطرهم على الرومان أنهم دمروا فى إحدى غاراتهم مدينة روما فعلا . وكان هذا فى حوالى ٣٩٠ ق . م . وبالرغم من ذلك استمرت روما فى النمو ، حتى أصبحت فى القرن الثالث قبل الميلاد سيدة شبه جزيرة إيطاليا وألفت من الشعوب الإيطالية المختلفة حلفا برئاستها . وكانت كل امكانيات ذلك الحلف المادية والعسكرية موضوعة تحت تصرف روما . وبهذا أتيح لروما من أسباب القوة ما مكنها من لعب دورها التالى الخطير ، وهو التوسع فى خارج شبه الجزيرة الإيطالية وسيادة البحر المتوسط .

ولود أن أنبه إلى أن قصة الصراع الطبقى بين الأشراف والعامة فى روما والتطور الدستورى الرومانى من ناحية ، وقصة توسع روما فى إيطاليا من ناحية أخرى ، كانتا قصتين متزامنتين تجريان فى ذات الوقت معا ، كما أنهما قصتان متفاعلتان . وكانت الأحداث الداخلية تؤثر فى مجريات الأمور فى ميادين القتال فتكون عامل من عوامل النصر أو الهزيمة ، كما أن انتصارات روما الحربية أو فشلها كان يدفع إلى تطور النظم الدستورية فى الداخل .

وأما المرحلة التالية فى التاريخ الرومانى فهى مرحلة توسع روما فى حوض البحر المتوسط : غربية ثم شرقية . وقد بدأت هذه المرحلة التوسعية بصطدام روما بقوة تجارية امبريالية فتية كانت مهيمنة على غربى البحر المتوسط ، وهى قوة قرطاجة "Carthago" التى كانت تقوم على ساحل أفريقيا الشمالى (فى موقع مدينة تونس الآن على وجه التقريب) . وقد اشتبكت روما مع قرطاجة فى سلسلة من الحروب تعرف باسم " الحروب

البونية Punic Wars " ، وجرت هذه الحروب فى أشواط ثلاثة ، بدأ أولها قبل منتصف القرن الثالث ق . م . وانتهى ثالثها بعد منتصف القرن الثانى ق . م . ولكن روما كانت قد خرجت منتصرة فى الشوط الثانى من هذه الحروب ، وهو الشوط الذى يعرف بالحرب البونية الثانية ، التى انتهت بمعركة " زاما – Zama " الشهيرة فى عام ٢٠٢ ق . م . وهكذا أصبحت روما فى نهاية القرن الثالث سيدة غربى البحر المتوسط بلا منازع .

وكانت روما قبل اشتباكها فى الحرب البونية الثانية مع قرطاجة قد بدأت تتجه فى سياستها اتجاها شرقيا ، أى بدأت توجه اهتمامها ناحية البلاد الواقعة إلى الشرق من البحر الادرياتى ، وشهد عام ٢٣٠ ق . م . فاتحة اتجاه السياسة الرومانية نحو الشرق . غير أنه منذ انتهاء الحرب البونية أخذت روما تتدخل مدخلا إيجابيا فعالا فى شئون بلاد الاغريق وشئون الممالك التى كانت قائمة فى شرقى البحر المتوسط ، وهى الممالك المعروفة بالممالك الهيلينستية . وقد بدأ الأمر بالاصطدام بقوة مملكة " مقدونيا " التى كان على رأسها فى ذلك الوقت ملك قوى طموح هو " فيليب الخامس " ، ودارت بين روما ومقدونيا حروب تعرف باسم " الحروب المقدونية " دامت أدوارها الثلاثة أكثر من ربع قرن . وتمكنت روما فى هذه الحروب من هزيمة فيليب الخامس ، ثم هزيمة ابنه وخليفته المدعو " برسيوس – Perseus " ، وانتهى الأمر بتحول مقدونيا إلى ولاية رومانية . وفى خلال الفترة التى استغرقتها أشواط الحروب المقدونية كانت روما قد بدأت تتدخل فى شئون الممالك الهيلينيستية فى الشرق ، فهزمت " انطيوخوس الثالث – Antiochus III " ملك المملكة السلوقية " Seleucid " فى سوريا وتدخلت فى شئون آسيا الصغرى حتى أصبحت لها الكلمة العليا هناك ، وتدخلت فى شئون مملكة البطالمة فى مصر حتى وصل الأمر إلى حال أصبح البطالمة فيها يدينون بعرفهم لروما ، ويعتمدون عليها اعتماد التابع . وظهرت على مسرح السياسة الرومانية مسألة مصرية . وفى عام ١٤٦ ق . م . أخضعت روما بلاد الاغريق ، وقضت على حريتها السياسية قضاءا نهائيا ، وحولتها إلى " ولاية " رومانية . وفى عام ١٣٣ ق . م . ضمت روما إليها مملكة " برجامون – Pergamon " الهيلينستية فى آسيا الصغرى . وفى غربى البحر المتوسط كانت روما قد انتزعت أسبانيا من قرطاجة نفسها بأملاكها الافريقية بعد أن أنزلت بها الهزيمة النهائية

وحولتها إلى ولاية رومانية تحمل اسم ولاية افريقية ، فى ذات العام الذى أخضعت فيه بلاد الاغريق (١٤٦ ق . م .) .

وهكذا نرى كيف توسعت روما وامتدت فتوحاتها غربا ثم شرقا ، وقد كان لتوسعها هذا نتائج خطيرة فى الداخل من النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية . وكان من أبرز النتائج السياسية أن نفوذ مجلس الشيوخ (السناتو) زاد خلال هذه الحروب والفتوح زيادة كبيرة . واستمسك السناتو بامتيازاته ، لكنه فى الوقت نفسه فشل فى إدارة الولايات الرومانية التى ضمتها الجمهورية إليها ، واتصف الحكم الرومانى لهذه الولايات بالفساد ، واتصف القائمون على إدارتها من رجال السناتو وعملائه بالجشع والاستغلال وخراب الذمة وابتزاز الأموال .

وقوى نفوذ طبقة جديدة من رجال الأعمال عرفت باسم " Publicani " ، وجنى الكثيرون من غير النبلاء من الولايات أموالا طائلة زادتهم رغبة فى تولى المناصب العامة التى احتكرها النبلاء ، وكلما ازدادت طبقة الأثرياء الجدد ثراء ، ازدادت الطبقات الفقيرة فقرا ونقمة على الأثرياء . وأفضى هذا إلى احتدام صراع طبقى من لون جديد ، ولقد صدرت عدة تشريعات اقتصادية تستهدف الاصلاح ، لكن حال الجماهير لم تتحسن ولم تهدأ بالتالى ثائرتها . وكان لابد من أن تبذل محاولة للاصلاح الجذرى ومواجهة تلك المشكلات الاقتصادية والاجتماعية . وبوصولنا إلى هذه النقطة نجد أنفسنا أمام منهج دراستنا هذا العام . ونستأنف الحديث فنقول أن هذه المحاول ترجع إلى عام ١٣٣ ق . م . جاءت ليست من جانب مجلس السناتو الذى ظل على جموده واستمساكه بحقوقه وامتيازاته ، بل على يد شاب متحمس من أسرة عريقة هو " تيبريوس جراكوس – Tiberius Grqcchus " . وبعام ١٣٣ هذا تبدأ فى التاريخ الرومانى فترة تعرف عند المؤرخين باسم " عصر الثورة " أو عصر الثورات ، ويبدأ قرن كامل من الزمان (١٣٣ – ٣٠ ق . م .) حافل بالأحداث الجسام ، وظهرت فيه ألمع الشخصيات وأشهرها فى التاريخ الرومانى من أمثال " تيبريوس جراكوس " وأخيه " جايوس جراكوس Gaius " و " ماريوس Marius " و " صلا Sulla " و " بومبى Pompey " و " كراسوس Crassus " و " شيشرون Ciceron " و " يوليوس قيصر Julius " و " ماركوس

انطونيوس Marcus Antonius " وأخيرا " أوغسطس Augustus " . وبنهاية هذا القرن انتهى عصر الجمهورية ، وبدأت فترة الامبراطورية على يد " جايوس يوليوس قيصر " أو اكتافيانوس الملقب بأغسطس المؤله .

ونحاول أن نعطى الآن عرضا لأحداث ذلك القرن الذى يعتبر أخصب فترة فى تاريخ الجمهورية الرومانية السياسى . لقد حاول " تيبريوس جراكوس " ومن بعده أخوه " جايوس جراكوس " أن يباشر عدة اصلاحات فى مجال توزيع الأراضى الزراعية ، وأن يعملا على تقوية الطبقة الوسطى ، ويحدا من نفوذ السناتو وظيفته . لكن جهود الأخوين أخفقت ، بل دفع كل منهما حياته ثمنا لمحاولة الاصلاح والوقوف فى وجه السناتو . غير أن ثورة الأخوين أدت إلى زعزعة أركان النظام الدستورى الرومانى ، والكشف عن عدم قدرة حكومة السناتو وعيوبها التى ظهرت واضحة جلية إبان الحرب التى خاضتها روما فى اقليم توميديا (الجزائر تقريبا) بولاية أفريقيا ضد الزعيم الافريقى " يوجورثا – Lugurtha " ، إذ فشل قادة السناتو فى القضاء عليه ، وكان أن اضطر السناتو إلى إسناد القيادة فى الحرب ضد يوجورثا إلى قائد شعبى هو " ماريوس " وانتصر ماريوس على يوجورثا (١٠٥ ق . م .) كما استطاع أن يخلص روما بعد ذلك من خطر شعوب الكيبرى (Cimbra) فى الشمال (١٠١ ق . م .) . إلا أن أهمية "ماريوس " فى التاريخ الرومانى لاترجع إلى انتصاراته هذه ، وإنما إلى اصلاحاته العسكرية التى قضت بتكوين جيش محترف من المتطوعين ، لايدين أفراده بالولاء للدولة الرومانية فى ذاتها كما كان الحال فى الماضى ، بل للقائد الذى جمعهم ويرأسهم . وتلك كانت سابقة خطيرة فى تاريخ روما سوف تترك وراءها بصمات واضحة على تاريخها . وهكذا بدأت روما تشهد فترة كانت القوة والكلمة المسموعة فيها لسيف القادة العسكريين : يملون إرادتهم ، ويتخطون نصوص الدستور بالسيف أيضا ، وتتطاحن أحزابهم فى روما تطاحنا جر على الدولة المذابح الدامية والدمار .

وخاضت روما بعد ذلك حربين : الأولى فى داخل إيطاليا ، وهى التى عرفت " بحرب الحلفاء " ، واستمرت من ٩١ إلى ٨٨ ق . م . وهى حرب نشبت بين الرومان وحلفائهم الايطاليين نتيجة ثورة الحلفاء لحرمانهم المساواة فى الحقوق مع الرومان ،

بالرغم مما قدموه لروما من خدمات وتضحيات . وقد انتصرت روما في هذه الحرب ، إلا أنها اضطرت للتسليم للحلفاء بكل ما رفضت منحه إياهم من قبل . أما الحرب الثانية فقد خاضتها روما في الشرق ضد مثراداتيس السادس ملك بنطس على شواطئ البحر الأسود ، وخرجت روما من هذه الحرب منتصرة أيضا وذلك بفضل القائد صلا Sulla الذي أخذ نفوذه يزداد في روما ، واشتبك صلا مع ماريوس في دور من التنافس على السلطة أفضى إلى صراع دموي رهيب اكتوت روما بناره ، وانتهى هذا الدور بانتصار صلا الذي أقام نفسه دكتاتورا ، وأجرى في الدستور الروماني اصلاحات وتعديلات كثيرة دعمت قوة النبلاء بشكل واضح . ثم اعتزل صلا الحياة العامة ، ومات بعد ذلك بعام . ويقدم من بعده تلميذه القائد بومبي ، وأسهم في نقض دستور أستاذه صلا وتحطيمه . والحق أننا نلاحظ أن حياة بومبي العامة تعتبر مثلا صارخا على ما ذكرناه من انتهاك القادة العسكريين للدستور وتخطي حدوده ، غير أن بومبي قدم للجمهورية خدمات عسكرية جليلة .

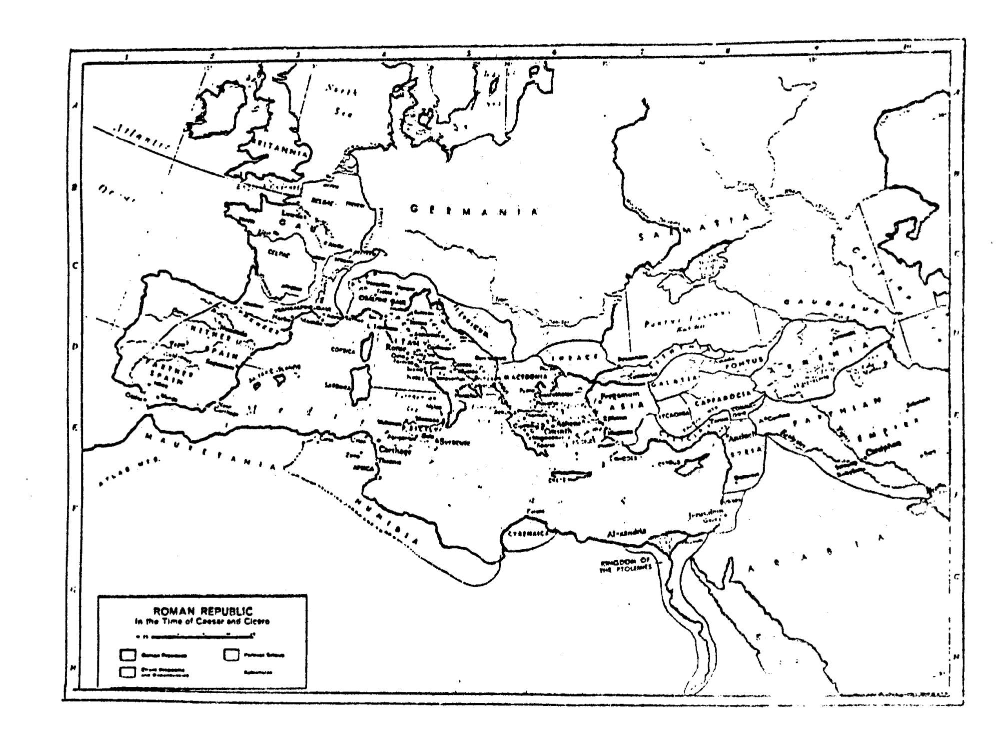
وشهدت الجمهورية الرومانية في فترة ربع القرن الأخير من حياتها فترة عصيبة ازدحمت بالخلافات الدامية والنزاع الحزبي الحاد بين جملة من الزعماء ، ولعبت القوى العسكرية دورها في مساندة هذا الزعيم القائد أو مناهضته . وجرت روما إلى الحرب الأهلية التي ما انتهت حتى انتهت الجمهورية جميعها ، فقد تكونت في عام ٦٠ ق . م . حكومة ثلاثية من بومبي وكراسوس وقائد شاب بدأ اسمه يلمع ، وكان مقدرا له أن يلعب دورا بالغ الأهمية والخطورة في التاريخ الروماني وهو " يوليوس قيصر "..

وتعرف هذه الحكومة الثلاثية " بالائتلاف الأول " ، واستغل قيصر حليفه لتحقيق أطماعه ، فانتخب قنصلا لعام ٥٦ ق . م . ثم أرسل في العام التالي في حملة لإخضاع بلاد الغال . وفي هذه الحملة بنى قيصر مجده العسكري . ثم بدأ دور من الصراع في روما بين قيصر وبومبي ، وانحاز الثاني إلى جانب مجلس الشيوخ - السناتو - في صراعه مع قيصر . ولم ير قيصر بدا من الزحف على روما ، وإقرار مركزه فيها . ثم تصدى لجيوش " بومبي " التي كانت تهدده في روما من الشرق ، وأنزل بها الهزيمة في بلاد الاغريق في عام ٤٨ ق . م . ثم عاد إلى روما وقد صار سيدها . ولكن المؤامرات

ظلت تحاك ضد قيصر وانتهت بمقتله عام ٤٤ ق . م . ولقد كان عهد قيصر بداية العصر الذهبى للثقافة الرومانية ، وله صلة وثيقة أيضا بتاريخ مصر فى القرن الأخير من العصر البطلمى ، كما أنه كان المسمار الأخير فى نعش الجمهورية الرومانية كما يقولون .

وأعقبت مقتل قيصر حالة من الفوضى فى روما ، وتقدم ابنه بالتبنى " لوكتافيانوس Octavianus " (الذى عرف من بعد باسم اوغسطس) وتعاون هو والقائد " ماركوس انطونيوس " الذى كان من أعوان قيصر ، تعاونا على القضاء على قتلة قيصر وأتباعهم . ثم دب النزاع بين هذين الرجلين بدورهما ، واشتد الخلاف ودارت بينهما الحرب ، ثم بلغ الخلاف نهايته فى عام ٣١ ق . م . عندما تمكن لوكتافيانوس من هزيمة انطونيوس وبجانبه كليوباترة فى معركة " اكتيوم – Actium " البحرية المشهورة التى ضمت بعدها مصر إلى امبراطورية روما ، وعاد لوكتافيانوس إلى روما وقد غدا سيد الموقف . وكان عليه أن ينظم تلك الدولة التى أنهكتها الاضطرابات والحروب الأهلية ، والتى ترامت أملاكها شرقا وغربا .

ولقد هوى نظام الحكم القديم المتداعى ، وبدأت روما تشهد الفترة الامبراطورية بعد قيام حكم " المواطن الأول – Princeps " ، وأصبح لوكتافيانوس أول امبراطور رومانى حاملا الاسم الذى خلعه عليه السناتو وهو أغسطس ، ومعناه الجليل أو العظيم .


ROMAN REPUBLIC
In the Time of Caesar and Cicero
BRITANNIA
GERMANIA
SARMATIA
MAURETANIA
NUMIDIA
CYRENAICA
Alexandria
KINGDOM OF THE PTOLEMIES
ARABIA
MACEDONIA
THRACE
ASIA
GALATIA
CAPPADOCIA
PONTUS
ARMENIA
PARTHIAN EMPIRE
SYRIA
Carthage
Rome
Syracuse
Corinth
Pergamum
Jerusalem
North Sea

روما وسياسة توازن القوى شرق البحر المتوسط خلال الفترة من ٢١٦ ــ ١٨٠ ق.م(*)

بالنظر فى سياسة روما الخارجية خلال تلك الفترة من تاريخها السياسى ، نلاحظ أنها قد وضعت فى اعتبارها العمل على تامين سلامتها فى أوربا من ناحية ، ووضع يدها ونفوذها على البحر المتوسط من ناحية أخرى بحيث شغلت روما بأخضاع ايطاليا عامة فى وحدتها القومية ، ومحاربة الغال والقرطجنيين ومنعهم من التغلغل والتدخل فى شــئون شرق البحر المتوسط ، بينما استطاعت مقدونيا وبلاد الأغريق فى شد انتباه روما لأهمية موقعها فى تأمين سلامة سواحل ايطاليا الجنوبيــة والتجارة الايطالية مع بلاد الاغريق من دول « الوريا ــ Illyria » القوية ، التى كانت قائمة على الشواطىء الشرقية للبحر الأدرياتيكى ــ واستولت على عدد من الدويلات الاغريقية عام ٢٣٠ ق.م ، وقد اعتبر هذا تهديداً صريحاً لشواطىء ايطاليا الجنوبية ، وربما ذلك ما حمــل بسياسة روما الى ادراك هذا الخطر وابرامه فى سياستها الخارجية ، والتى تحققت بارغام « الوريا » عن النزول عما استولت عليه سابقا واقتطعت منها اقليمها الساحلى الهام المعروف باسم « دلمــاتيا » ــ

(*) حددت هذه الفترة بسنى حكم بطلميوس الخامس « ابيفانس » حيث ظهرت ملامح سياسة روما شرق البحر المتوسط بصورة واضحة .

وتكونت من هذا الاقليم ومن جزيرة « فـاروس » المواجهة له امـارة مستقلة ، وكانت روما ترمى من وراء ذلك الى السيطرة عـلى برنتر « أوترانتو » الذى كان يعتبر الطريق الرئيسى لخطوط المواصلات بين الاغريق وايطاليا[١] •

وقد اعتبرت مقدونيا تصرفات روما هذه انتهاك لحقوقها فى المنطقة وخطر داهم يهدد أمتها ، وأدرك « أنتيجونوس دوسون » وخليفتـه فيليب الخامس كنه الموقف الداهم • ففى عام ٢٢٠ ق•م فور تولى « فيليب الخامس » العرش بادر باعلان حرب طاحنة على « الوريا » عرفت بحرب الحلفاء ، استطاع بها ارغامهم على صلح « ناوباكتوس Nuapectos » عام ٢١٨ ق•م وبذلك بدأت مرحلة الصراع بين « فيليب » وروما من أجل السيطرة علي « الوريا » • وربما ذلك ما دفع فيليب بعد ذلك الى اقامة تحالف بينه وبين « هانيبال » عـام ٢١٥ ق•م[٢] ، أملا فى انتصار « هانيبال » وطرد الرومان من شاطىء « الوريا » • وقد كان رد روما على هذا التحالف عقد محالفة هجومية مع الأيتوليين عام ٢١٢ ق•م[٣] • وقد دامت تلك الحروب التى عرفت بالحرب المقدونية الأولى ست سنوات (٢١٢ — ٢٠٦ ق•م) أنهكت قوى الأيتوليين الذين عقدوا صلحا مفردا مع فيليب عام ٢٠٦ ق•م ، وفى العام الثانى تم عقد الصلح بين « روما » و « فيليب »[٤] •

---

(1) Polyb., II. 3 — 12 ; C.A.H., VIII, pp. 831 .

(2) Polyb., VII, 9 ; Rostovtzeff (M), The Social and Economic History of the Hellenistic World, 3 Vols, Oxford 1941, p. 43:

ابراهيم نصحى (تاريخ مصر فى عصر البطالمة) ج ١ — الطبعة الخامسة — القاهرة ١٩٨١ ص١٥٩ ، ١٦٠ •

(3) Liv., XXVI, p. 4 .

(4) C.A.H., VIII pp. 122 ff.

ويجب علينا هنا أن ننوه أن سياسة روما شرق البحر الأبيض المتوسط كانت لها تأثيراتها المباشرة على أهم ممالك تلك المنطقة ، ألا وهى الدولة السلوقية بشكل مباشر ومؤثر ، وكذلك الدولة البطلمية التى كانت لسياسة روما الدور الفعال فى أحداث مصر الداخلية والخارجية — وربما ذلك ما يدفعنا الى عرض تحليلى للعوامل التى تأثرت بها سياسة مصر الخارجية فى الشطر الثانى من عصر البطالمة حتى نستطيع أن نتبين ملامح سياسة روما الخارجية على ضوء تلك السياسة :

يلاحظ دارس تلك الفترة مدى التحول الجوهرى فى تاريخ مصر فى عصر البطالمة بين الفترة الأولى لعصر البطالمة الأوائل ومدى ما كانت عليه من قوة وازدهار وتطور ، وبين الفتر الثانية من عصر البطالمة الأواخر والتى بدأت تظهر بها ملامح الأضمحلال والتدهور وحتى الانهيار التام ونهاية هذه الفترة . حيث يمكننا أن نعزى عوامل اضمحلال تلك الفترة الثانية من عصر البطالمة الى عاملين رئيسيين :

١ — **العامل الداخلى : وينحصر أساسا فى ضعف السلطة المركزية فى البلاد واحتلال نظام الحكم ويرجع ذلك الى ثلاثة أسباب هى :**

(أ) ظهور الروح القومية للشعب المصرى وتعدد الثورات بعد عام ٢١٦ ق.م ، الى حد اضعفت قوة البطالمة وشلت حركاتهم فى الخارج .

(ب) تولى الحكم ملوك ضعفاء بعد حكم بطلميوس الثالث وأطماع الأوصياء وصراع الوزراء الذين عجزوا عن الارتقاء الى مستوى الأحداث ومعالجتها ، مما أدى الى تشجيع الطامعين ، الأعداء منهم والأصدقاء ، فى ممتلكات مصر الخارجية ، بل وفى مصر ذاتها .

(ج) الصراع الأسرى بين أفراد الأسرة البطلمية ، منذ عهد

بطلميوس السادس ، ذلك الصراع الذى كانت روما تركيه فى كثير من الحالات بل وتستغله فى التقرب والتغلل فى شئون البطالمة .

٢ــ العامل الخارجى : ويتمثل فى ظهور ثلاث قوى على مسرح الأحداث السياسية فى المنطقة وهى روما الفتية ، وفيليب الخامس ، وأنطيوخوس الثالث ، حيث تصارعت كل منها فى استغلال ظروف مصر المتدهورة لتحقيق أطماعها[٥] .

أطماع فيليب وأنطيوخوس فى مصر :

ويبدو أن ظروف مصر الداخلية ابان الفتـرة الأخيـرة من عهد بطلميوس الخامس قد أسهمت فى زيادة أطماع أنطيوخوس وفيليب فى مصر ، وبرغم قلة مصادرنا نحو شروط الاتفاقية السرية التى أبرمت بين أنطيوخوس وفيليب[٦] لهذا الغرض — الا أننا نستبعد ما يذهب اليه بعض المؤرخين من أن الاتفاق كان يشمل مصر ذاتها[٧] — فقـد كان يتعذر اقتسامها . ونميل الى الرأى القائل بأن الاتفاق كان يقتصر فقط على اقتسام ممالك مصر الخارجية[٨] — بحيث يحصل كل منهما على أقرب الممالك الى مملكته ، فيأخذ « أنطيوخوس » منطقة جـوف سوريا وممتلكات مصر فى آسيا الصغرى ، بينما يحصـل « فيليب » على ممتلـكات مصر فى تراقيـا والدردنيـل وجـزر الكيكلاديس وقورينا[٩] .

---

(٥) راجع ابراهيم نصحى (المرجع السابق) ج ١ ص١٥٨ وما بعدها .

(6) Polyb., III. 2 ; XV, p. 20 :

(3) Liv., XI, 14 ; Justin., 2, 3 .

(8) Cf., S. Jerome, inDan., XI ; Biuche - Leclercq, Histoire des Lagides, Paris 1903 - 7 pp. 351 - 2 ; C.A.H., VIII, pp. 150 - 1 ;
ابراهيم نصحى (المرجع السابق) ج ١ ص١٦٨ وما بعدها .

(9) Cf., Magie (D), The agreement between Philip V and Antiochus III for the Partition of Egypt Empire. J.R.S., 29, 1939, pp. 32 - 44 .

ويبدو أن أطمـاع كل من « فيليب » و « أنطيوخوس » كانت بعيدة المدى فى امتلاك ممتلكات مصر الى الحد الذى اضطرهما مؤقتا الى الطمع فى ممتلكات مصر الخارجيـة ، وان كلا منها كان يخشى أطماع الآخر — ذلك أن خوف « أنطيوخوس » من « فيليب » قـد منعه من كشف القناع عن أطماعه كلها ، وأضطره الى النزول لـه عن أقاليم تراقية وأسيوية كان يعتبرها من ممتلكات الدولة السلوقية — ويبد أن فيليب كان يدرك ذلك كله ، ويخشى ازدياد اتساع الدولـة السلوقية — هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان يرى أنه من الأوفق أن يظهر أمام مصر فى صورة المدافع عن ممتلكاتها الخارجية لكى تؤول اليه وحده بعد ذلك .

وربما ذلك ما دفع كلا من الطرفين الى عقد معاهدة فى شـتاء عام ٢٠٣ / ٢٠٢ ق.م[١٠] — ظهرت معالمها بغزو أنطيوخوس لجـوف سوريا — أما « فيليب » فانه بمقتضى خطة التظـاهر باندفـاع عن ممتلكات مصر الخارجية لم يتعرض لهذه الممتلكات وانقض على عـدة مدن فى شبه جزيرة ، تراقيا وعلى ضـفاف الدردنيـل والبسفور : فأخضـع « لوسيماخيـا » و « سيسـتوس » و « خلقدنيـا » و « قيوس »[١١] واستولى على « موريليا — Myrleia »[١٢] وكذلك « برينثوس »[١٣] و « ثاسوس »[١٤] .

وقد أثار اعتداء فيليب على المدن الآمنة غضب العالم الاغريقى وخاصة الفظائع التى ارتكبها فى « قيوس » و « ثاسوس » ، فقـد

---

(10) Polyb., III, 2, 8 ; XV, 20 ; Liv., XXXI, 2, 8 .
((11) Polyb., V, 21 - 23 .
(12) Rostortzeff, op. cit., p. 606 .
(13) Cf., Polyb., XVIII, 44, 4 . .
(14) Polyb., XV, 24

استشاط « أنطيوخوس » غضبا لتعاون « فيليب » مع عدوه « بروسياس » ملك « بيثونيا » ولقيامه بتلك الفتوحات . كذلك غضبت « آيتوليا » و « بيزنطة » على « فيليب » لاستيلائه على ممتلكاتها ، كما غضبت « رودس » أمام تصرفات فيليب فى « قيوس — Caos » ورأت فى استيلائه على المضايق خطرا يهدد تجارتها واعتبرته عدوها وأخذت تستعد لمحاربته (صيف عام ٢٠٢ ق.م)(١٥) .

ويبدو أن « فيليب » لم يعبأ بغضب جيرانه وذلك لسببين رئيسيين أولهما ما كان يتمتع به من قوة عسكرية بالقياس بما قورنت به قوى جيرانه ، وثانيا ما وصلت اليه الأخبار من أن روما بعد قضائها على « قرطجنة » فى موقعة « زاما » عام ٢٠٢ ق.م لا تميل الى القيام بأى عمل عدائى ضد مقدونيا فى الوقت الحالى(١٦) — وربما كان على علم بسياسة روما شرق البحر المتوسط خلال تلك الفترة وأن تلك السياسة إن كانت مغايرة فى اتجاه معاكس ؛ لما أقدم « فيليب » على تغيير الخريطة السياسية فى المنطقة على هذا النحو .

وقد أحس « أنطيوخوس » بأنه يجب عليه الاقدام بعمل جليل مستغلا الظروف وخاصة ظروف الاضطرابات الداخلية فى الاسكندرية ربيع عام ٢٠١ ق.م — فتقدم المتابعة فتح جوف سوريا (الحرب السورية الخامسة) حتى غزة فى شتاء ٢٠١ — ٢٠٠ ق.م(١٧) — بيد أن المقاومة التى أبدتها غزة قد مكنت « سقوباس » قائد الجيوش البطلمية من استردادها وطرد « أنطيوخوس » من فلسطين حتى منابع نهر الأردن — غير « أنطيوخوس » لم يلبث أن أوقع الهزيمة بـ « سقوباس » فى موقعة « بانيون Panion »(١٨) وطارده حتى صيدا وأرغمه على

(15) Polyb., XV, 23 .
(16) C.A.H., VIII, pp. 151 - 2 .
(17) Polyb., XVI, 22a .
(18) Polyb., XVI, 18 - 19

التسليم ربيع عام ١٩٩ ق٠م[١٩] — ثم استرد بيت المقدس وبسط سيطرته على كل فلسطين وصحراء سيناء[٢٠] — ولم يوف عام ١٩٨ ق٠م الا ومصر قد فقدت معظم أجزاء جوف سوريا • وكان « أنطيوخوس » فى مركز يسمح لها بغزو مصر ، بيد أن ظروف تأمين دولته قد حالت وأجلت ذلك المشروع[٢١] خاصة وأن روما كانت على شفى خطوة من التحفز لوضع نقاط الاستقرار بالمنطقة فى سياسة التوازن والحفاظ على مصالحها المستقبلية •

أما فيليب فقد أعاد استئناف نشاطه العسكرى والتوسعى مستغلا الظروف القهرية لانكماش الدولة البطلمية من ناحية واستكانة أنطيوخوس فى سياسته الترقبية من ناحية أخرى ، واضعا فى اعتباره تجنب روما المرتقب ، فقد استطاع فيليب الاستيلاء على « ميليتوس »[٢٢] بعد هزيمته لأسطول « رودس » عند « لادى Lade » ثم انقض على « قاريا » واستولى على عدة مدن لم تكن لمصر ممتلكات من بينها[٢٣] • وفى شتاء ٢٠١ — ٢٠٠ ق٠م وأثناء عودته الى مقدونيا ، حاصرت « رودس » و « برجام » قواته البحرية والبرية فى قاريا — بينما استنجدتا فى نفس الوقت بروما التى قررت وقف فيليب عند هذا الحد[٢٤] •

تدخل روما لتوازن القوى فى المنطقة :

ولقد أثارت سياسة « فيليب » و « أنطيوخوس » فى شرق

(19) Hieronym., In Dan., XI, 15 - 16 .
(20) Polyb., XVI, 39, 3 - 4 .
(21) Cf., .A.H., VIII, pp. 165, 178
(22) Polyb., XVI, 10 ; 14 ; 15 .
(23) Polyb., XVI, II ; 12 ; 24 .
(24) Cf., C.A.H., VIII, pp. 152 - 61 .

البحر المتوسط القلق لدى روما — خاصة ما تمخضت عنه هذه السياسة من أطماع فى الاستيلاء على ممتلكات مصر الخارجية •

وبرغم أن روما قد خرجت منهوكة القوى من الحرب البونية الثانية ورغم انتصارها فيها ، الا انها وضعت مسالة الشرق موضع الاهتمام خاصة وانها كانت من الخطورة على أمنها وسياستها . فيما أن « هانيبال » قد غزا ايطاليا ، فلماذا لا يتقدم « انطيوخوس » و « فيليب » على غزو روما لا مستغلين ضعفها بعد تلك الحرب الطاحنة — وربما كان ذلك الدافع نفسه من أهم سمات سياسة الاسكندر الأكبر سابقا فى ضم الغرب الى امبراطوريته التوسعية[٢٥] • فكان من الطبيعى أن تسارع روما فى الاشتباك مع « فيليب » قبل أن يتفاهم مع « أنطيوخوس » ضدها — حيث كان يؤيد روما جانب كبير من العالم الاغريقى وبخاصة « برجام » و « رودس »[٢٦] — واضعة فى اعتبارها الحفاظ على توازن القوى والابقاء على كيان دولة البطالمة فى مصر •

وفى ربيع عام ٢٠٠ ق٠م أرسل السناتو بعثة سياسية تتكون من
« ماركوس أميليوس لبيدوس M. Aemilius Lepidus »
و « جايوس كلاوديوس نيرون G. claudius Nero »
و « جايوس سمبرونيوس توديتانوس G. Sempronius Tuditanus »[٢٧]
حيث تحددت مهمة هذه البعثة فى التوفيق بين « بطلميوس الخامس » و « انطيوخوس » كما هو ظاهر وبناءا على طلب مصر — بينما كان غرضها الحقيقى هو اثارة الاضطرابات فى بلاد الأغريق ، والوقوف

(25) Diod., XVIII, 4 ; Liv., IX, 17 - 19 ; Cf., Tarn, J.H.S., 1921, pp. 1 ff., 124 ff; 1939, pp. 124 - 135 .

(26) Rostovtzelf, op. cit., pp. 52 - 3 .

(27) Liv., XXXI, 2 .

على نوايا « أنطيوخوس » وضمان حياده اذا ما قام نزاع بين رومـا وفيليب .

وقد استطاعت البعثة اثارة عدد كبير من المـدن الاغريقيـة ضد « فيليب » وعلى رأسها « أثينا » التى اعلنت الحرب على فيليب بسبب تخريبه لأتيكا ، هذا الى جانب الانذار الرومانى الذى يلزم « فيليب » بدفع التعويضات اللازمة لبرجام — وعدم محاربة أى شعب اغريقى ، بيد أن « فيليب » لم يعر للانذار الرومانى أى اعتبار ، ورد عـلى اعلان « أثينا » للحرب بقيامه بحملة لتخريب « أتيكا » ، واستولى على ساحل « تراقيا » وكان لا يزال تحت السيطرة المصرية .

وأمام ذلك فان السناتو فى روما عندما عـلم باستهتار فيليب بالانذار الرومانى وأقدامه على الاعتداء على « أتيكا » و « تراقيا » استصدر فى صيف عام ٢٠٠ ق.م قرارا من جمعيـة المئينات فحواه اعلان الحرب مباشرة على « فيليب » وقد صيغ هذا القرار فى شـكل انذار جديد تضمن المطلبين الأولين وكذلك مطلبين آخرين تضمنا دفـع التعويضات اللازمة لرودس وعدم المساس بممتلكات مصر الخارجية ، وقد أسندت البعثة هذه المهمة الى « أيميليوس لابيدوس » الذى رد عليه فيليب باعلان الحرب[٢٨] ، وكان نتيجة لذلك نشوب « الحـرب المقدونية الثانية » التى أنتهت بفوز روما وانتصارها على فيليب فى موقعة « كينوسكفالاى Cynoscephalae » عام ١٩٧ ق.م[٢٩] ، وقد نتج عن ذلك ارتفاع مكانة روما النتية فى شرق البحر المتوسـط

(28) Polyb., XVI, 25 - 34 ; C.A.H., VIII, pp. 161 - 5 .

(29) Cf., Polyb., XV, 20 - 25 ; XVI, 1 - 12 ! 24 - 35 ; XVIII, 1 - 12 ; 18 39 ; 42 - 48 ; Liv., XXXI, 1 - 9 ; 14 - 18 ; 22 - 47 ; XXXII, 1 - 25; 28; 32 - 40! XXXIII, 1 - 12; 27 - 35; XXXIV, 22 - 41; 84 - 52; Appian., Maced., IV - IX, 4; Dio Cass., XVIII, 57 - 60 .

واحترام الجميع لها خاصة بعد أن أعلنت عــام ١٩٦ ق٠م حريــة واستقلال بلاد الاغريق[٣٠] ٠

وعلى الجانب الاخر من سياسة روما لتوازن القوى شرق البحر المتوسط كانت الدولة السلوقية — التي حظيت برعاية روما التوفيقيه — حيث قابلت البعثة الرومانية « أنطيوخوس » ، وقــد التقوا به بعد بضعة شهور من بدء حصار صيدا ، وكان « سكوباس » قد اعتصم بها بعد هزيمته في موقعة « بانيون » ٠ وبرغم عدم المــامنا الدقيق بأحداث هذه المقابلة ، الا أنه يمكن استنتاج هدفوا من الأحــداث التي أعقبت ذلك — وان كان ظاهرا أن غرضها قد انحصر في التوفيق بــين « بطلميوس » و « أنطيوخوس » — هذا الى جانب مقاصد البعثــه من البحث في نوايا « أنطيوخوس » ازاء الصراع بين روما وفيليب ، ومحاولة اقناعه بالوقوف على الحياد حيال هذا الصراع ٠ ويبدو أن « أنطيوخوس » كان على كنة من الذكاء والدهــاء في معرفــة نوايا البعثة فلم يدخر وسعا في اظهار صداقته لروما ، وارتياحه لانشــاء علاقات مع الجمهورية الرومانية ورغبته في ارسال بعثة دبلوماســية اليها — وذلك دون أن يعد السفراء بشيء فيما يتعلق بموقفه حيــال الحرب بين روما وفيليب ، وذلك لتقديره أن موقفه الغامض كان يثير قلق روما — وان ذلك القلق كان يضمن له حرية العمل في الشرق كيفما يشاء ٠ وعلى الرغم من دهاء السفراء فانهم لم يدركوا ارتياحه من أن روما بمحاربتها لفيليب كانت تعمل على تخليصه من حليف خطر[٣١] ٠

أما عن موقف البعثــة من البطالمــة فقــد توجهت البعثــة الى الاسكندرية ، حيث كان السكندريون في تلهف [illegible]رفة ما وصل اليـ[illegible]

(30) Polyb., XVIII, 1 - 12, 18 - 39, 42 - 46; Plut., Flaminius, 10; Rostovtzeff, op. cit., p. 53; C.A.H., VIII, pp. 166 - 183

(31) Cf., C.A.H., VIII, pp. 165 - 6 .

السفراء في لقائهم مع « أنطيوخوس » في محاولة التوفيق بينه وبين مصر • ويبدو أن روما برد سفرائها غير المقنع نحو فشلهم في اقناع انطيوخوس بسياسة التوفيق ، قد أرادت وضع مصر بمفردها أمام مصيرها المحتوم لكي تجد ذريعة للوصاية والحماية عليها ؛ وربما ذلك ما أقدمت عليه أسرة « لبيدوس » من اشاعة أسطورة بقائه في الاسكندرية لحماية الملك بأمر من روما[٣٢] ـ خاصة وأن أنطيوخوس قد تابع فتوحاته في جوف سوريا عام ١٩٨ ق•م بعد أن أطلقت روما لأطماعه العنان ، ثم استعادته لممتلكاته الوراثية في آسيا الصغرى وفي تراقيا واستيلائه على الممتلكات البطلمية على شواطيء « لوقيا » و « قاريا »[٣٣] عام ١٩٧ ق•م •

وكان لذلك رد فعل واضح من المدن الاغريقية وخاصة « رودس » التي طلبت منه عدم الزحف الى ابعد من ذلك ـ واتفقا على أن يسترد ممتلكاته بشرط عدم الاعتداء على « هاليكارناسوس » و « ميندوس Myndos » و « ساموس » وأن يحترم ممتلكات برجام[٣٤] ، و « افسوس » ؛ وكل المدن تقريبا فيما بين قاريا والدردنيل[٣٥] •

وقد رأى الرومان أن « أنطيوخوس » باستيلائه هذا على « تراقيا » يعتبر تهديدا صريحا لطردهم من بلاد الأغريق ـ وهي التي كانوا تعتبرونها خط الدفاع الأول لأمنهم ـ هذا الى جانب تحالف « أنطيوخوس » مع « الأيتوليين » أبرز العناصر المناهضة لسياسة

---

(32) Cf. Justin., XXX, 3, 3 - 5; Tacit., Ann. II, 67; Cf., XLV, 4, 13.

(33) Liv., XXXIII, 19.

(34) Liv., XXX, 20.

(35) Liv., XXXIII, 38.

وروما رغم تحالفهم معها فى الحربين المقدونيتين الأولى والثانية(٣٦) .

وأمام ذلك فقد أعلنت روما حرية بلاد الأغريق عام ١٩٦ ق.م كرد فعل لتحركات « أنطيوخوس » — وذلك خلال الألعاب البرزمية — وأبلغت سفراء « أنطيوخوس » بالقرار مع تحذيره بالابتعاد عن المدن الأغريقية المستقلة فى آسيا وأوربا ، وأن يعيد كل ما استولى عليه من ممتلكات مقدونيا (فيليب الخامس) ، وكذلك من ممتلكات مصر (بطلميوس الخامس)(٣٧) . ويبدو أن قرار السناتو فى هذا الشأن كان يحمل فى طياته مدى القلق والخطر من قوة أنطيوخوس على منطقة شرق البحر المتوسط ، والتى وضعت روما خطوط سيطرتها التوازنية وخلال تلك الفترة على الأقل .

ويبدو أن هذا القلق بالخطر قد انتقل بالتالى الى مصر — التى أحست بخطورة الموقف ، وخاصة بعد استيلاء « أنطيوخوس » على جوف سوريا ، فكان تحرك « أريستومنيس » نحو تحسين العلاقات الدبلوماسية مع « أنطيوخوس » ، حيث أخذ يسعى منذ عام ١٩٨ ق.م الى عقد صلح مع « أنطيوخوس » على أساس زواج « بطلميوس الخامس » « ابيفانس » من كليوباترة ابنة « أنطيوخوس » وتنازل مصر لأنطيوخوس عن ممتلكاتها الخارجية(٣٨) .

وبرغم لنذار روما لأنطيوخوس ، فانه لم يعره أى اهتمام — بل كان هناك رد فعله فى محاولة استيلائه على قبرص مستغلا القلاقل التى

---

(36) Cf., C.A.H., VIII, pp. 173 - 3; Jouguet (p), L'imperialisme Macedonien et Hellenisation de l'Orient, Paris 1926. Eng. Translation, by Ogden, London 1928, pp. 228 ff.

(37) Polyb., XVIII, 47, 1 - 3.

(38) Hieronym., In Dan., XI, 17 .

حدثت فى الاسكندرية فى ذلك الوقت[٣٩] • ورغم فشل هذه المحاولة الا انها احدثت دويا فى مجلس السناتو فى روما الذى قرر التحرك بكل الطرق للحفاظ على سياسة التوازن شرق البحر المتوسط •

ولقد أحس « أنطيوخوس » بتحرك روما الدبلوماسى والاستعداد للتحرك ، فقرر تقوية نفسه بكسب ود كل جيرانه — لذلك وافق على عقد معاهدة الصلح مع مصر عام ١٩٥ ق•م بنفس الأسس التى طالب بها « أريستومينس » سالفا — وان كان زواج « بطلميوس الخامس » من كليوباترة ابنة « أنطيوخوس » لم يتم الا بعد ذلك • وزوج ابنة أخرى الى « ارياراثيس » ملك « كابادوكيا » ، وعرض على « يومنيس » ملك « برجام » الزواج بابنة ثالثة ، لكن « يومنيس » رفض هذه المصاهرة خوفا من اغضاب روما ، بيد أن ذلك لم يهدىء من قلق « أنطيوخوس » من تحركات روما فأنفذ فى شتاء عام ١٩٤/١٩٣ ق•م بعثة دبلوماسية الى روما للوقوف على حقيقة نواياها نحوه[٤٠] ، خاصة بعد موقفه العدائى من الممتلكات البطلمية ، وهجومه على آسيا الصغرى والمدن الاغريقية •

ويحدثنا « ليفيوس » بأن زواج « بطلميوس » من كيلوباترا قد تم فى شتاء ١٩٤ / ١٩٣ ق•م[٤١] وأن هدية عرس كليوباترة لزوجها كانت « جوف سوريا »[٤٢] ، وان كان من المرجح أن الهدية لم تتعدى أكثر من دخل هذا الاقليم[٤٣] •

ويبدو أن قبول « أنطيوخوس » لشروط الصلح مع مصر كان

(39) Liv., XXX, 41; App., Sgr., 4 ;
(40) App., Syr., 5 - 6.
(41) Liv., XXXXV, 13, 4; Cf., C.A.H., VIII, pp. 185 ff.
(42) App., Syr., 5; Joseph., Ant. Jud. XII, 154 .
(43) Cf., C.A.H., VIII, p. 199

يرمى من ورائه ليس فقط الى توطيد العلاقات ، بل الى هدف آخـر وهو استمالة مصر الى جانبه لساعده فى حربه ضد روما — بيد أن هذا الهـدف قد تـلاشى تمـاما بتوليـه « بولوكراتيس » خـلفا « لاريستومنيس »(٤٤) ، فعلى نقيض سياسة « اريستومنيس » المؤيدة « لأنطيوخوس » كانت سياسة « بولوكراتيس » فى التقرب الى روما ، وكذلك شعور الملك الشاب بأهميـة روما لتعيد اليـه ممتلكات مصر المسلوبـة ٠

ويبدو أن الأحداث كانت أسرع مما توقع « أنطيوخوس » ، اذ أعلنت روما الحرب ضده واستطاعت أن تلقنه درسا بهزيمته النكراء فى موقعة « ماجينسيا Magnesia » عـام ١٩٨ ق٠م — حيث طردت الدولة السلوقية من العالم الاغريقى ، وبسطت روما سيادتها على الأناضول بما فى ذلك « بيثونيا » و « جـلاطيا » بينما أصبحت « أرمنينا » و « بونتوس » و « كابادوكيا » مهددة بالخضوع تحت النفوذ الرومانى(٤٥) — هذا الى جانب احترام الاغريق لتصرف روما الفتيـة ٠

وقد أدى ذلك الى تجميد الموقف شرق البحر المتوسط لصـالح روما فى سياسـة توازن القوى — الى أن قام « أنطيوخوس » بغـزو بلاد الاغريق فى خريف ١٩٢ ق٠م أملا فى تحقيق أطماعـه مستغلا ظروف روما من الحرب المقدونية الثانية ، ويبدو أن مصر وجدت فى ذلك الفرصـة السـانحة للتقـرب الى رومـا لمساندتها كتابـة فى « أنطيوخوس » من ناحية ، ولتأمين حدودها أمام أطماعه من ناحيـة أخرى ، فعرضت بعثة بطلمية على « روما » مساعدة مالية كبيرة من

(44). Cf., Diod., XXVIII, 14 .

(45) Cf., C.A.H., VIII, pp. 185 ff; Rostovtzeff, op. cit., p. 65 ;

أجل مواصلة الحرب وتهديد « أنطيوخوس »[٤٦] ، لكن روما رفضت هذه المساعدة بطبيعة الحال بمقدار سخط السناتو على مصر لتفاهمها منذ عهد قريب مع « أنطيوخوس » فى الوقت الذى كانت روما تناهض سياسة أنطيوخوس العدائية على الممتلكات المصرية .

وبمجرد طرد « انطيوخوس » من بلاد الأغريق عام ١٩١ ق.م سارعت بعثة بطلمية أخرى الى تقديم آيات التهانى الى السناتو ، ووضع جميع امكانيات مصر تحت تصرف روما لحثها على تعقيب « أنطيوخوس » فى آسيا ، لكنها رفضت هذه المساعدة أيضا[٤٧] .

ويمكننا أن نحلل تناسى روما فى عدم تصديها لأنطيوخوس أثناء اعتداءاته فى آسيا الصغرى وبلاد الأغريق الى انشغالها بالحرب المقدونية الثانية ، أما عن موقف مصر السىء فقد ظهر ذلك فى فشلها الذريع للتقرب الى روما نتيجة لتفاهمها مع « أنطيوخوس » سالفا وما أعقب ذلك من حرمان روما لمصر ممتلكاتها عند تقسيم أسلاب الحرب بعد هزيمة « أنطيوخوس » فى موقعة « ماجنيسيا » ، وبيان ذلك أنه بمقتضى معاهدة « أباميا Apamea »[٤٨] فى عام ١٨٨ ق.م حرمت روما أنطيوخوس كل ممتلكاته شمالى وغربى الطوروس ، وحررت المدن الاغريقية التى كانت خاضعة له ، وقسمت باقى ممتلكاته فى آسيا الصغرى بين « رودس » و « برجام » . وقد احتفظ « أنطيوخوس » بولاية « قيلقيا » و « جوف سوريا » اللتين انتزعهما من البطالمة . أما دولة البطالمة فانها لم تجن من وراء سياستها الا ضياع حقوقها ، فلم تسترد شيئا — من ممتلكاتها المسلوبة ، ولم تبق لها سوى « قبرص » و « قورينائية » .

---

(46) Liv., XXXVL, 4 .

(47) Cf., Liv., XXXVII, 3 .

(48) Cf., Diod., XXIX, 10; Liv., XXXVIII, 38; Polyb., XXI, 42, 341 45; App., Syr., 44; Mithrid. 62 .

وبتحليل سياسه روما فى توازن القوى شرق البحـر المتوسط نلاحظ انها حين اضعفت من الدوله السلوقيه فى سوريا ، لم تقـوى من دولة البطالمه — حتى تبقى قوى التوازن قائمة ، بينما عملت على زيادة قوة دولة « برجام » ببسط رقعة ممتلكاتها على حساب حريـه عدد كبير من المدن الاغريقية مع أنها قد أخذت على عاتقها الدفاع عنها ضد « أنطيوخوس » ولا أدل على ذلك من رغبة روما فى أن تجعل من « برجام » عميلة قوية شديدة البأس تقف سدا منيعا يفصل الدولـة السلوقية عن « مقدونيا » ويحول دون توحيد جهودهما للانقضـاض على ايطاليا . ولا شك أن معاهدة « اباميا — Apamea » قد غدت من معالم الشرق الهيلينستى ، وأصبحت رومـا لها اليد العليا شرق البحر المتوسط — خاصة وأن نجاح سياستها التى أتبعتها في المنطقة قد أنطوت على مبدأ التوازن بين القوى فى التنافس فيما بينها وفى الخضوع لها وتحت سيطرتها ، وأصبحت تتدخـل فى شـئون الشرق باستمرار — بحيث أصبح سفراء روما يسافرون شرقا على الدوام — وأصبح العالم الهيلينستى متغيرا على ما كان عليه خلال القرن الثالث ، فلم يعد وحدة سياسية كما كان — بل ظهر على الخريطة السياسية فى المنطقة مقسما الى ثلاث مجموعات لا توجد بينها علاقات مباشرة — أولا مجموع آسيا الصغرى ، وثانيا مجموعـة الدولتان السلوقيـة والبطلمية ، وثالثا مجموعة مقدونيا وبلاد الأغريق[٤٩] .

أن تلك السياسة التى أتبعتها روما خلال القرن الثانى قبل الميلاد شرق البحر المتوسط وكما أسلفنا قد كانت على النقيض خلال القـرن الأول قبل الميلاد وحتى نهايته ، والتى تمثلت فى السيطرة وضم هـذه المناطق الى حظيرة الامبراطورية الرومانية .

(49) Cf., C.A.H., VIII, pp. 203 - 34; bevan (B), History of Egypt under the Ptolemic Dynasty, London 1927, pp. 272 - 3; Rostovtzeff, op. cit., pp. 55 - 6 .

الامبراطورية الرومانية

القرن الأخير من عصر الجمهورية الرومانية

(الفترة من ١٤٦ ق . م إلى عام ٣٠ ق . م)

إن روما بعد عام (١٤٦ ق . م) كما قال بوليبيوس - تمكنت من أن تحول البحر الأبيض إلى منطقة نفوذ لها وأن تصل (الحوض الشرقى) بالحوض الغربى لهذا البحر وتغلب على الحوض الشرقى الصفة الهيلينة وعلى الحوض الغربى الصفة الفينيقية ، وبزوال قرطاجو زال الحاجز بين الشقين وسهل على روما أن تعتبر البحر المتوسط بحيرة رومانية وسهل عليها تحطيم الحوض الهيلينية حتى مصر سنة ٣٠ ق . م . وترتب على توسع روما فى البحر الأبيض نتائج هامة :

أولا : أن مجلس الشيوخ الرومانى الذى كان يمثل جماع الفصائل الرومانية والشخصيات الرومانية عجز عن مواجهة الموقف الجديد لأن عوامل الفساد والانحلال سرت إلى أعضاء المجلس من رشوة ورغبة فى الإثراء - وأحسن مثل لهذا الفساد وعدم قدرة المجلس على التماسك (حرب يوجرثا Yugurtha) وهو شخصية افلايقية من تونس ، ثار هذا الملك وانتزع العرش من أولاد عمه واستطاع الثورة على روما وهزيمة جيش الدولة الرومانية ، ثم لما دعى إلى روما للمثول أمام مجلس الشيوخ الرومانى استطاع عن طريق الرشوة أن يحصل على براءته ، وقال أن روما أصبحت سلعة تنتظر من يشتريها ويقصد بذلك شراء ضمائر أعضاء مجلس الشيوخ فى روما . وكذلك تظهر الرغبة فى الإثراء فى أعضاء مجلس الشيوخ واضحة ثم من ورائهم الجيش الرومانى ومن وراء الجيش الرومانى رجال الأعمال وأصحاب السفن والرأسماليين وشركات إقراض الأموال وشركات المقاولات العامة .

وبالرغم من أن القانون الرومانى يحرم اشتغالهم بالمسائل المالية ويحرم اقتناء سفن إلا أنهم عن طريق أقاربهم يؤسسون الشركات ويساغلون النفوذ من وراء الستار ونشأت طائفتان :

١ – طائفة ملتزمى جمع الضرائب (أو شركات جمع الضرائب)

٢ – طائفة جماعة إقراض الأموال (شركات إقراض الأموال) لقراض الأموال للأعيان والأشراف مقابل رهن أموالهم وأطيانهم فى هذه الشركات وأكثر ناس اشتركوا فى هذه العملية هم طبقة الفرسان .

ثانيا : **تدفق الأموال على روما** : ارتبط بهذه الظاهرة ظهور المزارع الواسعة Latifunia وقرضت من قواعد الملكية القديمة كما عرفها الرومان وهى القواعد التى تجيز للأسرة امتلاك أكثر من مساحة معينة من الأرض حوالى ٥٠٠ يوجيرا .

والمزارع الواسعة غيرت من نظام الملكية فيضطر صاحب المزرعة الصغيرة إلى ترك مزرعته إلى جاره صاحب المزرعة الكبيرة ويرحل تاركا أرضه لأغنياء الحرب .

ظهور طبقة جديدة حريصة على امتيازاتها مقابل طبقة فقيرة معدمة تعيش على معطيات الأغنياء .

ثالثا : هل يمكن أن تستمر الأوضاع والتناقض بين طبقة الأغنياء والفقراء الذين يتمتعون فقط بلقب المواطن الرومانى وهل تستطيع الطبقة الغنية أن تبقى على غناها أما الطبقة الفقيرة وهناك يد من الصراع بين الطبقات ويتركز الصراع (يتمثل) فى عدة مسائل لعل أهمها :

المظهر الأول من مظاهر الصراع :

محاولة إحداث توازن أو إعادة الملكية القديمة إلى ما كانت عليه قبل توسيع روما في البحر المتوسط أو ما يسمى بالاصلاح الوراعى – معنى ذلك ان تصادر الدولة كل مساحات الأرض التى تزيد عن الحد الذى تقرره القوانين الرومانية وتوزع الأرض على المعدومين من المزارعين . ومن أبرز الشخصيات التى ظهرت فى هذا المجال هما الاخوان الجراكيان Gracenius (جايوس جراكوس) ، و (تيبرسوس جراكوس) وهما من أسرة (أسرة نبيلة) وقد تقدما إلى وظيفة التربيون وهى حفظ مصالح العامة ضد طغيان

وتنص القوانين الرومانية على تقديس شخص التربيون (نقيب العامة) وهو من اختصاصه الجلوس على مدخل مجلس الشيوخ ليراقب مناقشة المجلس وله حق الاعتراض على المشروعات وليحمى القانون التربيون أوجب تقديسه وعدم الاعتداء عليه وإلا تعرض المعترض للإعدام .

حاول الاخوان الجراكيان الاشتغال بهذه الوظيفة ليصلحا المجتمع الرومانى واتجها إلى هدفين :

١ – تحديد الملكية الزراعية بشراء الجزء الزائد من الأرض عن الحد المسموح به .

٢ – انشاء مستعمرات جديدة فى افريقيا وصقليه وايطاليا ، ومنحها للعامة .

ولكن الطريقة التى اقترحاها لمعالجة الموضوع فيها مخالفة للدستور الرومانى ، فقد استمرا فى الوظيفة أكثر من عام وفى ذلك مخالفة صريحة للدستور الرومانى الذى لايجيز تولى الوظائف العامة أكثر من عام واحد مما شجع النبلاء على تحريض كل تربيون على الآخر وفى النهاية قتل الاخوان الجراكيان بتحريض من مجلس الشيوخ .

المظهر الثانى من مظاهر الصراع :

المظهر الثانى للصراع بين النبلاء والعامة هو محاولة الانتقاص من نفوذ مجلس الشيوخ والتقليل من شأنه وطريقة تشكيل المحاكم الخاصة بنظر قضايا ابتزاز الأموال من الولايات فإذا اغتصب الأموال أى عامل فعلى مجلس الشيوخ تشكيل محمكة خاصة من الفرسان وذلك لإيقاع الفتنة بين طبقتى الفرسان والسناتو (الشيوخ) .

وكان الهدف من تشكيل محكمة جديدة أن تقضى على محكمة الاشراف فجرائم ابتزاز الأموال كانت موضوع الساعة وكان لها دوى كبير فى دائرة روما .

المظهر الثالث من مظاهر الصراع :

هو مطالبة الايطاليين بحقوق المواطنة الرومانية وهذه مسألة خطيرة إلى أبعد الحدود وكان المواطن الرومانى يتمتع بحق الانتخاب والاقتراع وحضور المجالس وكان يتمتع كذلك بالحقوق الخاصة كالمتاجرة والزواج والعمل وكل ما يتعلق بالنواحى الشخصية وتوصلت العقلية الرومانية بمرونتها إلى إمكان تجزئة هذه الحقوق بأن تمنح فقد حقوق المواطنة الخاصة ، وكان لابد من إرضاء الايطاليين بإعطائهم هذه الحقوق باعتبارها مرحلة من مراحل المواطنة الرومانية .

وهنا حاول الاخوان الجراكيان تأييد الايطاليين فى صراعهم ضد النبلاء وشرعا قوانين للإيطاليين للمساواة بالنبلاء لأن المواطن الرومانى يعتبر نفسه رومانى أصيل ولايصح أن تمنح الحقوق الرومانية لغير الرومانى (وهو متعصب لفكرته وحقوقه الرومانية) خشية ذوبان المجموعة الرومانية وسط جموع الايطاليين وهذا أدى إلى قيام الحرب الأهلية الاجتماعية – حرب خلفاء روما ضدها – وعندما رفضت روما أن تمنح حقوق المواطنة واضطرت طبقة النبلاء والشيوخ أن تتنازل شيئا فشيئا عن امتيازاتها ، وكانت النتيجة هى دخول روما فى دوامة صراع داخلى من أجل الأرض وحقوق المواطنة .

المظهر الرابع من مظاهر الصراع :

ظهور القادة العسكريين وعلى رأسهم (ماريوس) الذى تدين له روما بناحية هامة وهى أنه خلصها من (يوجرثا Iugurtha) الملك الاغريقى وتدينه له بأنه أنقذها من قبائل الغال القادمين على ايطاليا من فرنسا وانتخب خمس مرات قنصلا وهذا يخالف الدستور الرومانى الذى لايجيز للحكم أكثر من عام واحد وعندما عتب عليه أحد أصدقائه على تكرار الانتخاب كان رده (صليل السيوف يصم الآذان صم سماع صوت الدستور) أى أنه فى وضع يخالف الدستور وكان له أصدقاء فى روما يرشحونه عدة مرات وكان منضما للجبهة الشعبية ولايحارب من أجل الاشراف وكان خصمه السيناتور (سولا Silla) صاحب نظرية (إن ازدواج السلطة فى الدولة خطر عليها) بمعنى أن السلطة موزعة بين هيئتين (الترابنة) و (مجلس الشيوخ) الذى يصون مصالح النبلاء وخير لروما أن يحكمها مجلس ارستقراطى ورث الفضائل الرومانية من أن يحكمها مجلس الشيوخ والترابنة .

وأخطر شئ بالنسبة لتربيون هو أن يعاقب التربيون إذا أخطأ فى طريقة تقديمه مشروع القوانين ويعاقب بفرض غرامات ضخمة عليه ويحاكم أمام مجلس الشيوخ ويقوم على الشخص الذى شغل وظيفة التربيون أن يتولى أى وظيفة عامة بعد ذلك . ومعنى هذا جعل وظيفة التربيون لاقيمة لها وهى التى جعلت الاربيون رقيبا على الاشراف للمصالح العامة .

وتعددت محاكمات الاعدام للطبقة الشعبية فى عهد (سولا) مما أشاع الفوضى فى البلاد ، وقد لجأ سولا ممثل الدكتاتورية العسكرية فى أبغض مراحلها إلى استعمال أبشع وسائل التعذيب والتطرف فى الدكتاتورية ، فإذا كان ماريوس قد تطرف فى خرق الدستور الرومانى فقد تطرف سولا فى القضاء على الطبقة الشعبية .

وقد طلب المنتمون إلى طبقة الشعب إلى (سولا) بأن يعلن أسماء المقدمين للإعدام مرة واحدة خشية الارهاب اليومى ، وقد مات (سولا) ميتة شنيعة وقد مثل الدكتاتورية العسكرية فى أبشع مظاهرها فقد تطرف فى القضاء على الطبقة الشعبية .

وبظهور شخصية بومبى الأكبر وهو الذى لعب دورا بتماشيه مع مبادئ سولا وقع المجال للمزيد من المخالفات الدستورية فإن العقائد الرومانية والتقاليد تقول بأنه لايصح أن يدخل روما على رأس جيش وقد خالف بومبى الدستور فى هذه الناحية ودخل روما بجيشه .

وبظهور كل من قيصر وانطونيوس واكتافيوس وقد اقترف كل منهم مخالفات جسيمة جديدة ضد الدستور كما أعلن اكتافيوس قيام حكم الفرد وانتهى الأمر بأن نصب امبراطورا (لكتافيوس) فى عام ٢٧ ق . م .

نودى على بومبى باسم (الامبراطور) وهى سلطة محددة زاد على عدة مراحل .
يرجع فى ذلك إلى كتاب - التاريخ الاجتماعى والاقتصادى للامبراطورية الرومانية -
- موضوع سلطة الامبريوم - يرجع فى ذلك إلى كتاب تاريخ روما تأليف كارى الفصول ٣٠ ، ٣١ (شكل الحكم)
- أعمال اغسطس المؤلمة Res Gest . E. Augusti
وهى التى كتبها أغسطس ليبرر بها كل السوابق الدستورية التى خالف من اجلها الدستور. ولكن النص الأصلى ضاع . وقد عثر على أول صورة من النص سنة ١٥٥٥ أعمال اغسطس المؤلمة منقوشة على معبد فى الناضول وتسمى نقش أنقره .
- المؤرخ تاكيتوس Tacitus .
- الحوليات Annales .
- المؤرخ سويتونيوس Suetonius .
كتاب (حياة اثنى عشر قيصرا) Vit. ued caesarun
- قرارات اغسطس التى أصدرها فى سنة ٢٧ ق . م لمدينة قوينى فى برقه .
- نفوذ اغسطس وأوراق البردى المتعلقة به وبعصره .

نمو الدولة واستمرار اضطراب الأحوال

فى القرن الثانى ق . م . ترك المجال لطائفة كبار الملاك الذين اتبعوا سياسة شخصية أثروا فيها مصالحهم ، وفى القرن الأول كانت الجمهورية الرومانية قد توسعت بدافع من مجلس الشيوخ أو من أعدائه أو من طبقة الفرسان (الرابيون أصحاب الأعمال – رجال الجيش) ووضح ان المركز الول فى الولايات انما كان لأفراد من طبقة الشيوخ أو من طبقة الفرسان أعضاء مجلس الشيوخ هم الحكام فى هذه الولايات ويتمتعون بسلطات تكاد تكون مطلقة وكثيرا ما اتهموا بمخالفة قواعد الأخلاق وكذلك الفرسان الذين تخصصوا فى عملية جمع الضرائب والمكوس كانوا هم أيضا قد انحرفوا ولكن لولا أن مجلس الشيوخ (طبقة الشيوخ) كانت تجمع لهم أى أعمال غير قانونية لما كان فى استطاعتهم أن يذهبوا إلى هذا المدى البعيد من فى المعاملة لسكان الولايات .

تتميز ذلك أن (Consores) (الرقباء) (وهى وظيفة نشأت فى العالم الجمهورى لمراقبة الأخلاق) كانوا فى الواقع يبيعون جمع الضرائب لمن يدفع أكثر (نظام الالتزام) وعن طريق رشوة الحكم ، وكان فى امكانهم امتصاص آخر قطرة من دماء سكان المستعمرات . وكان من غير المجدى ارسال الشكاوى إلى روما لأن الهيئة القضائية وهى بدورها مشكلة من أعضاء مجلس الشيوخ والفرسان كانت دائما تصدر حكمها لصالح من يدفع أكثر .

وثمة فضيحة أخرى للادارة المالكة تتمثل فى تمكين طائفة من أصحاب رؤوس الأموال من الشيوخ والفرسان فى إقراض الأمرن بفائدة فادحة . وكثيرا ما تكون المدينة بأسرها وما تملكه ضمانا لسداد الديون . وكان نغرض من كثير من العمليات الحربية فى آسيا الصغرى إكراه حكامها لأهل بعض المدن على دفع ما عليها من ديون – ولم يتورع

قبل أن نمضى فى دراسة تاريخ الامبراطورية الرومانية علينا أن نستعرض حالة روما وايطاليا والولايات الرومانية حتى القرن الـول ق . م . من الواقع أن روما عانت الكثير من جراء الحرب الأهلية التى سادتها فى الفترة الواقعة بين عامى ٤٦ ، ٣٠ ق . م وقد تميزت هذه الفترة بصراع رهيب بين الدكتاتورية العسكرية تمثلت فى عدد من قادة روما العظام مثل ماريوس وسولا وبومبى Pompay قيصر وانطونيوس واكتافيانوس وبين مجلس السناتو - ونعرف أن بعض القادة مثل بومبى وسولا فى فترة من حياته وقفا إلى جانب (مجلس الشيوخ Senato) ينقلوا السلطة بأكملها من هذا المجلس إلى المجالس الشعبية الأخرى . ولايخفى أن مجلس الشيوخ أدار كفة الحرب البونية ضد القرطاجة وكان صاحب الفضل فى انتصار روما ، ولايخفى أيضا ان هذا المجلس هو الذى أجبر روما على دخول المقدونية الثالثة ، بل انه تحكم فى كل شئ فى روما حتى فى المسائل الاقتصادية البحتة باعتباره مهيمن على الشعب الرومانى . وقد حاول الساسة الديموقراطيون زعزعة نفوذ الطبقة الارستقراطية عن طريق إعادة توزيع الأرض والتوسع فى منح الحقوق الرومانية .

ونعرف أن روما خاضت حربا طويلة عنيفة ضد الحلفاء وسمح بعدها لسكان ايطاليا أن يصبحوا مواطنين رومانيين ، أما تحويل السلطة إلى مجالس شعبية وإعادة توزيع الأرض قد أديا إلى صراع طويل نسى فيه المتصارعون المعنى الحقيقى لهذين الهدفين فانقسموا إلى معسكرين - معسكر مجلس الشيوخ وأنصاره ، ومعسكر أعداء مجلس الشيوخ . وفى نفس الوقت كانت الحاجة ملحة إلى تعديل الدستور الرومانى بشكل يتفق مع نمو وتوسع الدولة الرومانية .

كثيرون من مشاهير روما عن الاشتراك فى عمليات من هذا النـوع فمثـلا بروتـس (قـاتل قيصر) كان يقرض أمواله بفائدة تبلغ ٤٨ ٪ .

طبيعى أن كل هذه الفضائح أمدت الزعماء الديموقراطيين بسلاح فعال ضد السـناتو (مجلس الشيوخ) ومع ذلك فإن الانتصار الذى أحرزه الحزب الديموقراطـى أو النصـر المؤقت الذى أحرزه بعض القادة السياسيين لم يؤد إلى أى تغيير ذلك لأن هـؤلاء الزعمـاء كانوا قبل خضوعهم يعتمدون على الجيـش اعتمـادا كليـا ، وهـذا الجيـش الرومـانى أصبـح يتألف الآن من جند محترفين أقبلوا علـى الخدمـة العسـكرية لإشباع طمعهم فـى الأسـلاب والغنائم وعند انتهاء مدة خدمة الجند كانوا يمنحون أنصبة من الأرض الزراعية وقد أثبتت التجربة أنه من المستحيل الاعتماد على الجيش لتأييد برنامج سياسـى محـدد فـالجيش الـذى آزر ماريوس الديموقراطى هو نفسه الجيش الذى استعان به سولا الارستقراطى ولـم تكـن تعنيه المسائل السياسـية بـل الـذى يعنيـه أولا وأخـيرا الغنـائم ، لذلـك كـان مـن الضـرورى تحقيق أطماع الجند من شن أثر الحرب وضم ولاية بعد ولاية .

وهكذا اضطر سولا ومن بعده قيصر وانطونيوس واكتافيـانوس أن ينتهجـوا سياسـة توسعية لمد حدود الدولة وكان من الطبيعى أن يجدوا عونـا علـى ذلـك فـى طبقـة الفرسـان والشيوخ الذين لايضعون فى اعتبارهم أى تفكير فى دوافعسياسية .

ونتيجة لذلك التوسع فى رقعة الدولة أن زادت أهميـة الجيش الـذى لـولاه لانهـارت الدولة فى الحال ، والجيش لايطمـع إلا القـائد الـذى يضمـن لـه النجـاح ونصيبـا مـن المـال والأرض . وقد اثر ذلك كله كافة زعمـاء رومـا الذيـن ظهـروا علـى مسـرح السياسـة فـى القرن الأخير ، وإن كان بومبى العظيم حاول أن يتحاشى هذه النتيجـة المنطقيـة فحـاول أن يوفق بين الدستور وبين مظهر (شكل) من أشكال الحكم الملكـى فحـاول أن يحكـم رومـا بوصفه المواطـن الأول وفـى الوقـت نفسـه يعمـل علـى أن يكسـب ثقـة النـاس ولكنـه فشـل وتحول غلى آلة فى يد الدستور الذى كان يحاربـه فـاضطر أن يحـارب قيصـر دفاعـا عـن مجلس الشيوخ واعترف قيصر بصراحـة أنـه يديـن للجيـش وبـالجيش استطاع انطونيـوس واكتافيانوس أن يزخرا كل محاولات المجلس لتأييد سلطانه وقضـوا علـى هـذه المحـاولات بالفشل .

وكل منهما (انطونيوس واكتافيانوس) تقلد السلطة العليا عن طريق الجيش وبفضل الجيش أصبح اكتافيانوس هو أقوى شخصية فى روما تقرر مصير انطيوخوس عندما بدا ضعيفا من الوجهة العسكرية .

فكرة الحكومة العالمية

طبيعى أن روما أصبحت دولة كبيرة بعد أن كونت امبراطوريتها وظهر عجز مجلس الشيوخ عن معالجة حكومة الولايات (عجز عن ادارة الولايات) وروما تعتمد على هذه الولايات فى مواردها التى ليستنزفها الشيوخ والفرسان فقل رخاؤها (الولايات) وتوقف التطور الاقتصادى فى الولايات ، وكان المحور الذى دارت حوله اصلاحات سولا هو محاولة منه لايجاد طريقة تمكنه من حكم الدولة الرومانية فى وضعها الجديد .

كما كان على سولا Solla بعبارة أخرى أن يجيب على هذا السؤال :
كيف يمكن أن تحكم الدولة فى وضعها الجديد ؟ وكذلك كان على قيصر أن يجيب ولكن السؤال يبقى بدون إجابة .

إن النظام القديم لروما هو نظام نابع من دستورها عندما كانت مدينة حرة (أو دولة مدينة) وعليها الآن أن تتخذ لنفسها دستورا جديدا مع مراعاة أن أى نظام جديد يجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن ايطاليا والمواطنين الرومان لن يتخلوا عن مركزهم الممتاز فى هذه الدولة ، وكذلك يجب أن يحسب للجيش كل حساب نظرا لتزايد أهمية الجيش وأهمية قادة هذا الجيش فهل ينشأ دستور قائم على انفراد شخص واحد بالسيطرة العسكرية ؟ وبمعنى آخر هل كان من الممكن تجنب قيام نظام الملكية ؟

اذن فى القرن الأول كان نظام المدينة الحكومية (الدولة) آخذا فى التداعى واحتلت السلطة من هذا النظام إلى طبقتين ممتازتين هما طبقة الشيوخ والفرسان . وشهد هذا القرن فضلا عن ذلك ظهور نظام جديد يقترب من نظام الملكية وهذا يعنى أن القرن الأول كان فى الواقع فترة انتقال من نظام وفكرة وهى فكرة المدينة التى تمسك بها الاغريق وكافحوا من أجل بقائها وكانت واضحة فى الدستور الرومانى فى القرنين الرابع والثالث ق . م .

بدأت هى الأخرى تفسح الطريق لنظرية وافدة من الشرق قائمة على أساس وجود دولة واحدة لها ثقافة موحدة ويحكمها رجل واحد (تضحية المجموع من أجل سعادة المجموع من أجل إقامة حكومة الفرد الواحد) .

وخلال هذا القرن لم تكن التغيرات التى طرأت على الحياة الاجتماعية فى ايطاليا بأقل عمقا من تلك التى طرأت على الحياة السياسية ، فقد عانى سكان الريف كثيرا من الحرب الأهلية ، وحاول الاخوان الجراكيان إحياء نظام الملكيات الصغيرة ، ولم تستطع سياسة إعادة توزيع الأرض بين جند المسرحين أن تعيد الحالة القديمة إلى ما كانت عليه بالرغم من ماريوس وبومبى وقيصر وانطونيوس واكتافيانوس بالرغم من أن كل هؤلاء اتخذوا اجراءات واسعة النطاق لتحقيق هذا الهدف ، فقد ظهر مئات الألوف من الملاك الجدد وطرد الكثيرون من الملاك القدامى من أراضيهم وذلك لسد حاجة الملاك الجدد . ومع ذلك لم يحدث تغير جوهرى فى نظام الزراعة فى ايطاليا فأفلس كثير من الجند المسرحين الذين لم يعتادوا العمل المستقر المنظم وانتقلت ملكية أراضيهم إلى أصحاب رؤوس الأموال وأولئك الذين احتفظوا بأراضيهم عمدوا على استبدالها بأراضى فى مناطق أخرى أو آلت ملكية جزء منها إلى طبقة الملاك المتوسطة التى كان لها الزعامة فى مدن الولايات .

وعلى أى حال فإن توزيع الأرض على الجند المسرحين لم يؤد إلى إيقاف تضخم المزارع الواسعة - وكان يقوم بالعمل فى هذه المزارع الواسعة عبيد أو جماعة من الأجراء يسمون عبيد الأرض وكان يعمل فى أرض سولا أربعون ألف رجل من العبيد المحررين ، واستطاع بومبى أن يجند جيشا بأكمله من زبائن أسرته من الرجال المحررين ليساعدوا سولا ضد الديموقراطيين .

وبالرغم من أن الأرض كانت تنقل ملكيتها من يد إلى أخرى إلا أنها ظلت احتكار لعدد قليل من أصحاب رؤوس الأموال وظهرت كذلك ثروات جديدة خلال فترة الحرب الأهلية ، ولم يحقق الزعماء الثراء لأنفسهم فحسب بل كانوا لأنصارهم الكثير من الأموال وكذلك أثرى حكام الولايات على حساب سكانها .

وعموما زاد عدد أفراد طبقة الرأسماليين المنتمين لطبقة الشيوخ وكذلك الحال بالنسبة للفرسان فلم يعد لقب (الفرسان) مقصورا على هذه الوحدات الثمانية عشر المئوية (وحدات مجموعات الفرسان) الذين سجلوا فى كشوف المواطنين ليحاربوا على ظهور جيادهم بل أصبح يتمتع بهذا اللقب أولئك الذين منحوا حقوق المواطنة الكاملة والذين لاتقل ثرواتهم المنقولة (العقارية) عن ٤٠٠ ألف من الستيرات (عملة رومانية Seteraius) وهؤلاء كان عددهم يزداد باستمرار واستطاع كثير من العبيد المحررين أن يكونوا ثروات هائلة خاصة وأن الكثيرين منهم عملوا فى جمع الضرائب وإقراض الأموال فى ايطاليا وخارجها واشتغلوا فى بناء السفن واستطاعوا بما لديهم من إمكانيات أن يشتروا الأراضى المصادرة وغنائم الحرب وخاصة من العبيد .

هذه الثروات استثمرت فى التجارة والصناعة . . الخ ، ولكن الأهم من كل هذا أنها استثمرت فى شراء الأراضى الزراعية فى إيطاليا وخارج ايطاليا ، وزاد من خطورة الموقف أن روما أصبحت مركزا كبيرا من مراكز التجارة العالمية وكثيرا ما كانت تعقد صفقات كبيرة من القمح لروما فى السوق الرومانى (forum) وكثيرا ما كانت ايطاليا تصدر زيت الزيتون والنبيذ ولم تقتصر إقامة المواطنين الأغنياء على ايطاليا بل انتشروا فى شتى أرجاء الامبراطورية الرومانية فكثيرا ما نجد رومان وايطاليين فى بلاد اليونان وآسيا الصغرى وافريقيا وبلاد الغال (فرنسا) يعملون فى شتى نواحى النشاط التجارى .

ولقد ساعد تدفق الأموال على روما أن تبتلع الملكيات الكبيرة الملكيات الصغيرة ، وكانت الأراضى المنزرعة فى ايطاليا تنتج القمح ولكن بعد توسع روما استطاعت الحكومة الرومانية أن تستورد قمحا من الخارج بسعر أقل مما أدى إلى انخفاض سعر القمح الايطالى وذهب ضحية تركز الثروة فى يد طائفة من كبار الملاك أن تكونت طبقة من أغنياء الريف ذهب ضحية لها رجال من الطبقة الوسطى من ذوى الدخل المنخفض . وكذلك أدت عملية مصادرة الأملاك فى فترة الحرب الأهلية إلى زعزعة الاستقرار الاقتصادى بل والاجتماعى فى ايطاليا ، واضطر الكثيرون إلى الهجرة إلى روما وترك أراضيهم ، وتحول بعض الملاك إلى مستأجرين لنفس الأرض التى كانوا يمتلكونها من قبل ، وفضل بعض الايطاليين ترك إيطاليا كلية والذهاب إلى الولايات الشرقية أو الغربية سعيا وراء فرص أفضل تعوض ما فقدوه فى ايطاليا . اذن هناك هجرات متدفقة على روما ، وهناك الفرص لافساد ضمائر الفقراء – فضلا فى عصر قيصر كان هناك حوالى ٣٢٠ ألف مواطن رومانى يتسلمون منحهم من الدولة وذلك إلى جانب المآدب والحفلات العامة التى كانت تنظم مجانا لاكتساب أصواتهم .

ولم يعد العامة أولئك الذين ينحدرون من أصل رومانى أو ايطالى إنما أصبحوا خليطا من سلالات العبيد المحررين أو أولئك العبيد الذين حرروا ومنحت لهم حقوق المواطن الرومانى باعتبارهم Liperti (عبد محرر يكتسب حق المواطنة) وهم فى الواقع كانوا يمثلون جماعة عالمية لهم صفة العالمية تمثل كل أجناس البحر الأبيض وخاصة العناصر القادمة من الولايات الشرقية ذات الحضارة اليونانية – وينبغى ألا ننسى أن الولايات لم تكن مزدهرة بنفس درجة ازدهار ايطاليا من الناحية الاقتصادية ، ففى الغرب نجد افريقيا (تونس والمغرب) التى تحولت لتكون مزرعة للقمح الذى ينمو فى ضياع النبلاء الرومان .

أما أسبانيا فكانت مسرحا لحروب طويلة وأخذت تفيق من نومها ببطء شديد وكذلك بلاد الغال التى أصابها الدمار على يد (التيتون) ثم على يد قيصر ولكن ليس معنى هذا أن روما لم تستفد اقتصاديا من هذه الولايات بل على العكس من ذلك أصبحت الفرصة متاحة لأصحاب رؤوس الأموال من الرومان والايطاليين لاستغلال أموالهم فى أرض جديدة من الممكن أن تأتى بأرباح كبيرة لهم وبالتالى تعزز الاقتصاد الرومانى ، وسنرى ذلك واضحا فيما بعد فى عصر الامبراطورية (كميات الزيتون والزيت الهائلة التى كانت تأتى من أفريقيا إلى روما كان لها شأن كبير فى الاقتصاد الرومانى) .

من الناحية الحضارية أصبحت كل ايطاليا لاتينية بعد ضم شمال ايطاليا وبعض المدن غير الايطالية مثل مدينة بومبيه Pompai تحولت من مدينة أوسكانية (عناصر أوسكانية) إلى مدينة لاتينية وتغلبت اللاتينية على بلاد الغال وحلت محل اللغة الكلتية التى لم تترك وراءها أى أثر .

وبصفة عامة أثرت ايطاليا بلاتينيتها على الولايات الغربية بحيث أصبحت الثقافة اللاتينية واللغى اللاتينية شيئا ثابتا راسخا . وفى القرن الأول ق . م . تحول جنوب ايطاليا وجنوب بلاد الغال إلى مناطق أشبه ما تكون بمقاطعات ايطاليا نفسها ، وتدفقت عليها هجرة العناصر الايطالية ورؤوس الأموال الايطالية ، وقد ساعد على ذلك أن الثقافة المحلية فى هذه البلاد لم تستطع أن تثبت فى وجه الثقافة اللاتينية .

أما فى الشرق (الهيلينستى) فإن الوضع اختلف تماما ذلك لأن روما اتبعت فى إخضاع هذا الشرق وسائل عنيفة ، وقاسى الشرق من سيطرة شركات الضرائب بغطرستهم والطريقة المعيبة التى كان أصحاب البنوك من الرومان يباشرون بها عملياتهم المالية وأعمال النهب المخزية التى قام بها بروتس وكاسيوس وانطونيوس ، فإن كل ذلك أدى إلى انهيار أكثر البلاد الشرقية ثراء من الناحية الاقتصادية ورزحت المدن تحت نير

الديون الآخذة برقابها ، وحتى مصر التى لم تدمر من الناحية الاقتصادية تدميرا كاملا إلا أنها عانت الكثير من الخلافات الأسرية فى البيت الـ فى القرن الأول ، ومن جشع العملاء الرومان ومن حكم انطونيوس وكليوباترا الجائر . ووضح للمعاصرين أن الشرق أنهك اقتصاديا وأخلاقيا ومعنويا ، وهاجر إلى روما الكثير من العناصر الممتازة وانحطت معنويات الذين لم يستطيعوا الفكاك من بلادهم الشرقية فلجأ بعض هؤلاء إلى المدن يلتمسون فيها العزاء وإلى عقائد فلسفية أو دينية تقيهم بحياة أسعد وأفضل بعد الموت ، بمعنى آخر سادت المجتمعات الشرقية روح سلبية يائسة لاتستطيع أن تتلمس السعادة فى حاضرها .

هذا يفسر بعض الناس عن التفكير فى المسائل المتصلة بالمعرفة او البحث العلمى ولم يعد هناك إيمان بالقوة الخالقة فى الجنس البشرى ، وكان الشعار السائد العزلة عن الحياة . وظهرت المذاهب الفلسفية ومن أهمها الابيقورية والرواقية والكلتية ، كل هذه المذاهب الفلسفية تنتهى إلى فكرة ضرورة أن يركز الانسان الاهتمام فى نفسه والسعى إلى ارضائها ، وينظر إلى الحياة من حوله كأنها شئ لايعنيه . ولم تكن وسائلهم واحدة فالابيقورية تستند إلى أسس مادية صرفة . والرواقية تربط بين رغبة الانسان فى السعى إلى تحقيق حياته الذاتية وبين المثل والأفكار الدينية ، بينما المذهب الكلتى كان يقوم على نقد المجتمع البشرى ومحاولة الوقوف منه موقف الفاحص دون أن يوجد علاجا لضعف البشر .

وكاد ميدان العلم والفكر أن يقفر من رواد بارزين بعد أن كان الاغريق هم لاالذين تخصصوا فى هذه النواحى فكان آخر عبقرى أخرجه العالم اليونانى هو بوسيدونيوس Psidonius وهو يونانى من سوريا قضى كل حياته فى جزيرة رودس ، وكان مدرسا ممتازا للبلاغة من أحسن مؤرخى عصره فأكمل كتاب المؤرخ بوليبيوس Polybius وتوصل إلى كتابات أصيلة فى علمى الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا الاقتصادية وكتب عن حركة المد والجزر ودرس البراكين وقام بدراسة البشرية بشمال أوربا ونبغ فى الرياضة والفلك .

ومع ذلك لم تستطع روما أن تفرض لاتينيتها على الشرق لأن اللغة اليونانية كانت راسخة فى نفوس وضمائر الناس فهى ليست لغة حضارة فحسب بل أصبحت لغة الحياة اليومية فى الشرق الهلينستى ولم تستطع روما إلا أن تكون حامية للحضارة اليونانية .

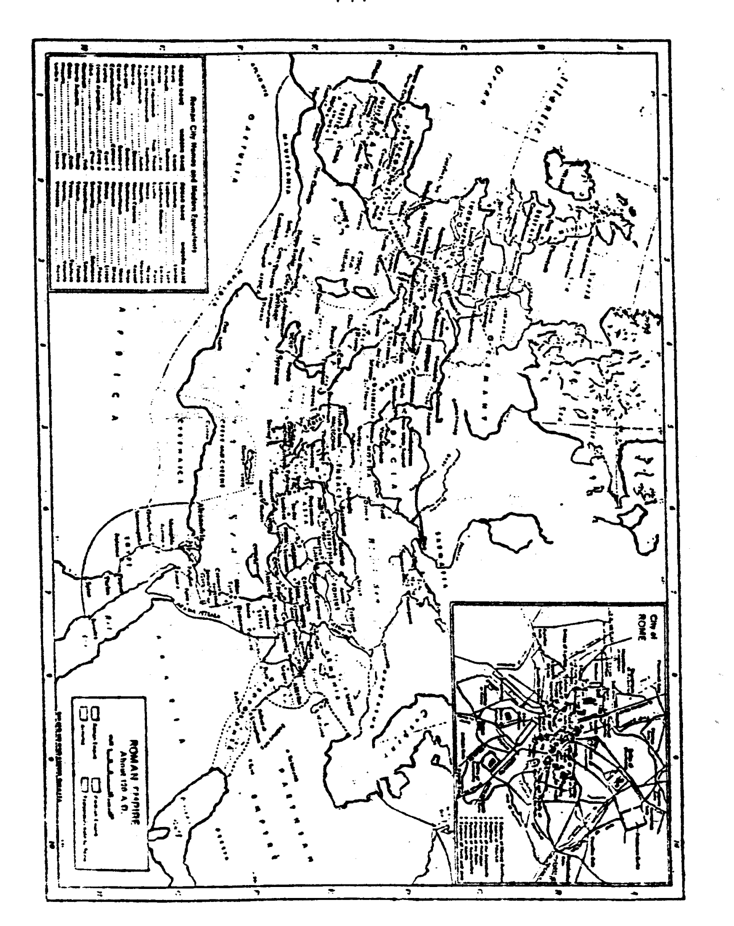
لذلك احتفظت ببعض المكانة الممتازة التى كانت لطبقة المواطنين فى المدن أو كما سنرى فى عصر الرومانية أعطت امتيازات قانونية ومالية لخريجى معاهد التربية (الجمنازيوم Gymnasium) .

وإذا انتقلنا إلى ايطاليا نفسها لوجدنا أن ثمة حضارة مستقلة عن الشجرة بدأت تظهر فيها بعد أن كانت الثقافة الاغريقية قد نجحت فى اغرقة روما (تحويل روما إلى الاغريقية) فى القرن الثالث ق . م .

أما فى القرن الأول فإن الثقافة الرومانية أصبحت ثقافة وطنية حقيقية ، وهذا يبدو واضحا فى الانتاج الأدبى للعصر اللاتينى فى هذه الفترة كان يبدو أكثر انتعاشا واتصالا بالحياة عن الشعر الاغريقى المعاصر ، فهناك الشاعر الغنائى كاتولوس والشاعر والفيلسوف لوكريتوس وظهر فى النثر شيشرون الذى أظهر مدى ما للغة اللاتينية من مرونة وقدرة على التعبير عن المعانى والأفكار التى تذخر بها الفلسفة اليونانية .

ويلاحظ أن الكتاب المعروفين كانوا من الطبقات العليا فى المجتمع الرومانى والمجتمع الايطالى ، ويكفى أن نذكر أن سولا كتب مذكراته وكتب قيصر تعليقاته على الحروب التى خاضها (التعليقات) ووصف غزواته فى بلاد الغال وسجا أحداث الحرب الأهلية . وقد ازدهر أيضا فى التاريخ على يد شيشرون لأنه كان يعتقد أن التاريخ سلاح يسهل استخدامه فى الصراع السياسى والدعاية الحزبية . وكذلك ساير انعلم الأدب اليونانى فى التطور وإن كان الرومان قد اهتموا بدرجة أقل بدراسة النتائج التى توصل إليها الاغريق فى العلوم الطبيعية والرياضية ، أما من الناحية الفنية فلا يزال التفوق للاغريق ولم يكن الفن الرومانى قد وجد بعد بل انه كان لايزال فى دور الطفولة فى عهد الامبراطورية وكذلك قنع فن العمارة بتقليد النماذج الاغريقية .

وبالرغم من كل ذلك فإن الحياة العامة فى روما وايطاليا كانت اغريقية فى مظهرها العام فالمجتمع الراقى يتكلم اليونانية وغلبت مظاهر الترف على حياة هذه الطبقة التى اتخذت قصورا فخمة فى أوربا وأصبح لهم عبيد لاحصر لهم وامتلكوا الفيلات (المساكن الريفية) وكانت المآدب تقام بلا حساب وتسمع فيها الموسيقى والرقص ويقصد إلى هذه القصور الفلاسفة والخطباء من الاغريق يلقون الدروس والمحاضرات ويتناقشون باللغة اليونانية ، ومن ناحية أخرى بدأت النساء يلعبن دورهن فى المجتمع الجديد وكثرت الزيجات والطلاق ، ثم إن الرومان شغفوا بالسياسة التى كانت طابع العصر وللأسف لانعرف الكثير عن حياة الطبقات الدنيا وإن كان من غير المحتمل أنها كانت لها مؤثراتها على نواحى الحياة المختلفة .



أوغسطس وحكومة الفرد

من سنة ٢٧ ق . م إلى سنة ١٤ ميلادية

١ – الفترة من ٣٠ : ٢٧ فترة حكومة اكتافيانوس .
٢ – حقبة الصراع بين مجلس الشيوخ والاستبداد العسكرى .
٣ – هل استطاع قيصر أن يوجه للمجلس ضربات مكنته من أن يقيم فى روما حكما لايستند إلى أسس جمهورية (الصراع بين مجلس الشيوخ والقادة العسكريين)
هذه الفترة كانت مؤلمة قاسى منها الرومان والايطاليين والولايات ، وكان من السهل حل مجلس الشيوخ لاصدار تفويض لقائد الدفاع من الجمهورية ضد الاستبداد العسكرى .
٤ – هل يرضى المواطنون الرومان بمنح حقوق المواطنة الرومانية للعناصر الجديدة التى ضمتها الأمبراطورية الرومانية ؟
٥ – الصراع بين الشيوخ والفرسان باعتبارهم أرقى طبقات المجتمع الرومانى وأكثرها ثراء .
٦ – من الذى انتصر فى الصراع الذى تلى الفترة بين انتصار اكتافيانوس على انطونيوس ؟
هل من الزعامة العسكرية – مجلس الشيوخ – الفرسان – المبادئ الجمهورية .
٧ – هل يجب الاحتفاظ بوحدة الدولة ؟
إذا تحققت هذه الوحدة فأى شكل من أشكال الحكومة يقبله المواطنون الرومان ؟

طالت فترة النزاع بين مجلس الشيوخ والاستبداد العسكرى ، وبالرغم من أنه كان يلوح أن مجلس الشيوخ قد خسر أمام تصميم قيصر على إقامة حكم فردى إلا أن المجلس لم ييأس تماما من كسب معركته مع يوليوس قيصر وذلك يرجع إلى تصرف قيصر من ناحية ، وإلى استعجاله النتائج من ناحية أخرى .

وقد يفسر تصميم المجلس على السير فى المعركة ضد قيصر أنه (أى هذا القائد) لم يأنى بالا إلى الحياة السياسية التى ألفها الرومان وللنظم الدستورية التى لستقرت فى وجدان المواطن الرومانى .

ويجب أن نبرز هذه الحقيقة وهى أن يوليوس قيصر تجاهل رغبة المواطنين الرومان فى الاحتفاظ بمركزهم المميز فى الامبراطورية وتجاهل أيضا المركز الثانى الذى وصلت إليه طبقتا مجلس الشيوخ والفرسان .

وإذا كان مجلس الشيوخ قد عقد العزم على تحدى قيصر ازداد أمله فى النصر باغتيال هذا الخصم العنيد ، إلا أن مجلس الشيوخ فشل بعد ذلك لافتقاره للتأييد العسكرى فى محاولته اليائسة إرجاع النظام القديم واستعادة هيبة الشيوخ وسيطرتهم على الحياة السياسية فى روما .

ولايمكن لن ينكر المعاصرون أن النصر فى الصراع الذى كان بين اكتافيوس وانطونيوس إنما كان حليف أقوى الفريقين من الناحية العسكرية وأنه لامحل للحديث عن مجلس الشيوخ باعتباره عاملا مؤثرا فى الموقف .

وكانت أهم المسائل التى تحتل المكان الأول من اهتمام المعاصرين هى أساسا :

١ – هل يجب الاحتفاظ بوحدة الدولة ؟
٢ – إذا أمكن تحقيق لستقرار روما متمعة بالسيادة فى هذه الدولة الواحدة فأى شكل من أشكال الحكم والسلطان تقبله جموع المواطنين الرومان ؟

كان أمامهم نوعان من الملكية العسكرية : فقد ورث انطونيوس عن يوليوس فكرة تتلخص فى أنه من الممكن أن تكون هناك ملكية عسكرية تستند إلى حكم عسكرى يرتكز على تأييد سكان الامبراطورية جميعا . وفى نظر قيصر أن ايطاليا بأكملها وليست روما فقط وسكان المستعمرات جميعا (الولايات) وليس فقط المواطنون الرومان يجب أن يندمجوا فى هيئة واحدة تعترف بسلطان الحاكم الأعلى .

حدث هذه المرة أن الطبقا تالعليا فى المجتمع مؤيدة بهيئة المواطنين الرومان جميعا تصدت لمقاومة أفكار ونظريات يوليوس قيصر عن الحكم الجديد (المقصود بهيئة المواطنين المرحلة فى تاريخ روما كل الايطاليين وبعض سكان الولايات الذين منحوا الحقوق الرومانية فى فترة الحروب الأهلية) وبينما قبلت هيئة المواطنين بأن تقر بالسيادة العليا فى الدولة لقائد القوات العسكرية إلا أنها لم تكن على استعداد لأن تفرض فى مركزها الممتاز وأن تذوب بين سكان الولايات . وبدا فى ايطاليا شعور الكبرياء القومى فى الظهور وأصر المواطنون على أن يعترف بتفوقهم السياسى والدستورى فى الدولة ، وقد فطن اكتافيانوس إلى حقيقة هذا الشعور واستغله إلى أبعد الحدود ومن أجل ذلك (بفضل ذلك) استطاع أن يوقع الهزيمة بانطونيوس لأنه لم يعلن الحرب على انطونيوس بقدر ما أعلنها على الملكة كليوباترا التى تريد أن تفرض كلمتها على الشعب الرومانى .

ومادام اكتافيانوس قد تمكن من هزيمة انطونيوس معتمدا على هذا الشعور فإنه فى الواقع أصبح مرتبطا مع المواطنين الرومان بعقد غير مكتوب بأن يحافظ بقوة على التفوق السياسى لايطاليا والمظاهر الأساسية للمجتمع الايطالى وألا يسمح بطغيان الولايات على روما وايطاليا . وكانت الدولة الرومانية فى حاجة إلى دم جديد وكانت إعادة الأمور إلى ما كانت عليه أمرا ضروريا بشرط ألا يتعدى الأصلاح هذا الهدف بإدخال عناصر غير رومانية فى بناء الدولة ، ولكن تنبه اغسطس واكتافيانوس إلى أن إقامة دولة جديدة على أنقاض دولة قديمة مهلهلة لم يكن من الحكمة فى شئ ، ولو أنه كان يؤمن بأن روما لم تمت كما ظن المواطنون فماذا ينوحون عليها قبل . وقد شارك اكتافيانوس هذا الشعور عدد كبير من المواطنين الرومان لذلك فهم أنه لم يكن حرا فى وضع دستور جديد بل يجب أن يرقب الموقف بحذر وأن يتصرف إلى عواطف المواطنين ومشاعرهم . وفى هذا كان بعيد النظر فأعد نفسه ليعمل بأمانة ترضى المعاصرين ليجد الحل العملى من خلال الظروف الصعبة التى تعيشها روما وآمن أن الرأى العام على صرب فى ضرورة إعادة الحياة إلى روما وضرورة أن يعود إليها مجدها القديم .

ومعنى ذلك أن على اكتافيانوس أن يوفق بين القوة العسكرية التى ورثها عن الزعماء الذين سبقوا والتى أثبتت هذه القوانين أنها ضرورية لإرجاع النظام والأمن وإقامة حكومة صحيحة صالحة بين رغبة ايطاليا والمواطنين الرومان فى أن يحتفظوا بمركزهم الممتاز إن لم يكن بالمعنى السياسى فعلى الأقل فى مجال العلاقة الاجتماعية والاقتصادية . وبهذه الشروط كانت ايطاليا على استعداد بأن ترحب وأن تؤيد حاكما عسكريا كان بمثابة اوستقراط (حكم الفرد) وفى الوقت نفسه كانت الولايات على استعداد لتعترف بأى سيادة تضمن لهم الأمن والطمأنينة دون النظر إلى اعتبارات سياسية أو غيرها – أصبح اكتافيانوس على رأس الدولة الرومانية ، ولاخلاف فى حقه فى ادارة شئونها بعد أن أظهر أنه ينوى ابدا أن يتبع خطوات قيصر فهو فى السنتين الأولى والثانية بعد نهاية الحروب الأهلية يتخذ سلسلة من الاجراءات تستهدف أن يعيد إلى الطبقات الممتازة إلى هيئة المواطنين الرومان مكانتها الأولى ويريد أيضا أن يجدد مدينة روما .

فى سنة ٢٩ ق . م ، سنة ٢٨ ق . م . اتخذ لنفسه ولاجريبا Agrippa سلطة الكنيسور (الرقيب) Consor وذلك ليطهر مجلس الشيوخ فطرد من المجلس حوالى ٢٠٠ من أعضائه وربما كانوا من أنصار انطونيوس ولبيدوس وذلك لينخفض عدد أعضاء المجلس من ١٠٠٠ إلى ٨٠٠ عضو ، وربما ضم هذا العدد (عدد المبعدين) عناصر كان قيصر قد رفعها من صفوف الجيش إلى مرتبة الشيوخ ولم يكونوا يوما من طبقته (طبقة الشيوخ) ويبدو أن الطبقات الممتازة قد حمدت لاكتافيانوس هذا العمل لأنه كان خطوة أساسية ليعود مجلس الشيوخ ليمثل أرقى طبقات المجتمع الرومانى وقبل ذلك بعام عمد اغسطس (اكتافيوس) على أن تقتصر هيئة المواطنين على العناصر الرومانية فحسب وكانت نظرية على أساس من واجب هذه الطبقة أن تعمل على بناء نفسها بنفسها وأن تحافظ على الدماء الرومانية والايطالية نقية ، ذلك عن طريق زواج كل مواطن بمواطنة رومانية أو ايطالية مع منع الزواج من المحررين المعتقين من الرق ، كذلك طبقت قواعد خاصة بمنع الزواج غير المتكافئ

بين الطبقات ، ولكن عمليـا لـم يكـن مـن السـهل تنفيـذ قـرار منـع زواج المحررين بالنسبة لجميع المواطنين ولكن كان من الممكن تنفيذه بالنسبة لطبقة الشيوخ .

وفى سنة ٢٨ ق . م . بدأ اكتافيانوس عملية إعادة بناء مدينة روما بتشييد المعابد أو ترميمها (إحياء مجد العاصمة) ولكنـه فى نفس الوقت كـان يريد أن يعيد للحكومـة الجمهورية كافة المراسم التقليديـة الخاصـة بها ومـع ذلك لم يشأ أن ينزل عن سلطاته الاستثنائية .

وفى السنين الأولى من حكمه كان لايزال القائد العسكرى الذى يطيعه جميـع رعيـة الامبراطورية فاحتفظ باللقب الذى اتخذه منذ ٤٠ ق . م . والذى يدل علـى علاقتـه الوثيقـة بـالجيش وهو لقب الامبراطور وكـانت السعادة أن يضـاف اسم اكتافيـانوس إلـى اسـمه الأصلى جايوس يوليوس Gaius Aulius .

وعلى سبيل الاختصار أصبح معروفا باسم اكتافيانوس ولكنه لم يشأ أن يستعمل هذا الاسم جايوس استخدم لقب امبراطور ، والمعروف أن هذا اللقب كان يمنح للقائد بمقتضى قرار مـن مجلس السناتو وينـادى بـه الجيش وذلك عندما يحقق القـائد نصـرا عسـكريا مشهورا .

اذن دخول اللقب العسكرى ليكون ليس مجرد لقـب بل يكـون اسـم واختـاره ليمـيزه عن السـادة الثـائرين فـى فـترة الحـرب الأهليـة والـذى كـان يحييهـم بـه جنودهـم بعـد انتصـارهم واستعمله كلقب بسـيط وواضـح أنـه ارتبط فـى أذهـان أهـل الولايـات بـأن صاحبه يتمتع بسلطات لاحد لها ولم تكن لديه الرغبة فى أن يغير هذه الفكرة ، وهذا يفسر لماذا أقسم أهالى الولايات بالولاء له شخصيا عندما استقرت سلطاته نهائيا ثـم أنـه لـم يكـن من عشيرة يولوس بل كان مـن اسـرة اكتافيـانوس وكـان ابنـا لقيصـر بـالتبنى وكـان أيضـا عازفـا عن اسم اكتافيـانوس ولكـن المهـم فـى نظـره أن يحتفظ باسـم قيصـر لأنـه ورث عن قيصر حق قيادة الجيش فمـن الطبيعى أن يـؤيد صلته بقيصـر ، وبـالاضـافة إلـى ذلك

فإن قيصر اله بعد موته فإذا نسب إليه فهو المؤله ولذلك أصبح اسمه بالكامل قيصر أو ابن قيصر المؤله Caesar - Filius ولكن بينما كان يحتفظ بسلطاته الاستثنائية ولقبه الثورى اختار أن يشغل وظيفته القنصل فكان ينتخب كل سنة لهذه الوظيفة مع زميل له ابتداء من سنة ٣١ ق . م . (وظيفة مزدوج) .

اذن هو لايحكم إلا عن طريق السلطة التى خولها له مجلس الشيوخ والمجالس الشعبية . وبعد مضى عامين رأى اكتافيانوس أن يتوجه عمله بإرجاع الأمور القديمة إلى ما كانت عليه ففى اجتماع مجلس الشيوخ سنة ٢٧ ق . م . تنازل عن سلطاته الخاصة وطلب رسميا العودة إلى العمل بدستور الجمهورية ، لكن المجلس وفى نفس الجلسة أصر على أن يقبل اكتافيانوس عددا من السلطات العسكرية والادارية التى أكدت مركزه كرئيس لمجلس الشيوخ وباعتباره المواطن الأول . وفى هذا اليوم ١٣ من يناير سنة ٢٧ ق . م . كان مولد شكل جديد من الحكومة نطلق عليه كما أطلق الرومان اسم حكومة المواطن الأول وهو Prencipes وفى نفس هذه المناسبة اتخذ لقبه الاضافى الذى عرف به فى شتى أرجاء الامبراطورية وأصبح اسمه الشخصى عند اخر مجلس الشيوخ أن يضيف إلى اسمه السابق (الامبراطور ابن قيصر) اسم لقب اغسطس

Amperator Caeser Divi Augustus

ولقب اغسطس عند بعض المقربين كان يمنح قديما لبعض آلهة روما ليدل على أنهم أضافوا جديدا أو خلق أشياء لم تكن موجودة من قبل ويتصل بهذه الفكرة ما استقر فى وجدان الرومان من اعتقاد أن هناك قرة دينية للفرد العبقرى هى أساس نجاحه فى عمله أيا كان ، وبذلك يكون اكتافيانوس قد منح هذا اللقب كمجدد لروما والذى أضاف جديدا إلى بناء الدولة منذ أن فوض للسلطة حتى أن بعض المقربين يرى أن كلمة اوكتوريتاس Auctoritas بمعنى السلطة العليا مشتقة لغويا من نفس الأصل الذى اشتق منه اسم ارغسطس Augustus والدولة التى يحكمها اوغسطس تغيرت إلى اسم الامبراطورية

الرومانية كما كان يسميها الرومان انفسهم وهى تعنى ذلك الجزء من العالم الذى أصبحت فيه سيادة الشعب الرومانى هو القانون الأسمى وأصبح هو المفوض بالسلطة فى هذه الامبراطورية يحمل لقب امبراطور .

ومن هذا يتضح أن عام ٢٧ ق . م . كان بداية حقيقية لعهد جديد وتهيأت كل الفرص لنجاح اوغسطس فى أن يعطى روما والشعب الرومانى والامبراطورية الرومانية نظاما جديدا دون أن يكون ثوريا فى أى اجراء يتخذ من أجل إقامة هذا النظام ذلك لأنه لم يظهر بمظهر يخالف طبيعة مثلا سولا أو بومبى أو قيصر لأن هؤلاء بكل ما قدموه من سوابق تتعارض مع طبيعة النظام الجمهورى إنما فى الواقع أسهموا مساهمة فعالة فى وضع أساس النظام الجديد الذى أراده اوغسطس لروما .

ولكن اوغسطس كان ماهرا فى مزج ما استحدثوا فى بناء واحد (فى نظام واحد) مع احتياطه الشديد ألا يتعرض بشكل واضح للمظاهر الخارجية للحياة العامة التى اعتادها الرومان أثناء عصر الجمهورية .

وهكذا أقام اوغسطس نظامه الجديد وأثبت أنه استطاع أن يستوعب الماضى وأن يقدر القوة الحقيقية فى الدولة وأنه كان يفهم عقلية معاصرة .

فى ٢٣ ق . م . كاد المرض أن يفتك باوغسطس وكادت أن تسيطر عليه فكرة التخلى عن وظائفه الرسمية ، ولكن مجلس الشيوخ توصل إلى الاتفاق معه على أن يتخلى عن وظيفته القنصلية التى ظل محتفظا بها منذ عام ٣١ ق . م . وكان هذا العمل مريحا له إلى أبعد الحدود لأنه تخلص من عبء الاجراءات الروتينية التى كانت تستنفذ منه جهدا كبيرا وفى الوقت نفسه كان تمسكه بوظيفة القنصلية يثير فى بعض الدوائر المحافظة سخطا عليه لأنها حرصت على إظهاره بمظهر الشخص الذى يريد احتكار السلطة ، ومن ناحية أخرى أرضى أعضاء مجلس الشيوخ الذين كانوا يعتبرون وظيفة القنصلية أسمى منصب يلمع فيه الواحد منهم . ولكن مقابل التنازل عن هذه السلطة سمح له بتقلد سلطة التربيونية Tribunia Potistos وهذه السلطة تتيح له الحق فى استدعاء

مجلس الشيوخ للانعقاد وتعطيه الصلاحية والقانونية ليقدم مشاريع القوانين إلى المجلس القبلى Com. Tributa (تراجع أول ظهور الجمهورية) (وهو مجلس أسس فى بداية الجمهورية وسقوط الملكية) ولاوغسطس بمقتضى هذه السلطة التريبونية بعض السلطات أو الصلاحية القضائية وإذا حدث وتقدم إلى مجلس الشيوخ باقتراح فإنه بمقتضى هذه السلطة يكون من حق اقتراحه أن ينال الأولوية فى المناقشة ، ثم منح اوغسطس زيادة فوق ذلك سلطة البروقنصل (Proconsupre Mmperium) .

وكان مجلس الشيوخ قد منحه السلطة الكبرى (مايوس امبريوس) M. Mmperium وذلك فى الولايات التى يحكمها مجلس الشيوخ مباشرة ذلك أن مجلس الشيوخ اقتسم مع اوغسطس حكم الولايات فكان من نصيب مجلس الشيوخ الولايات الهادئة نسبيا ، وكان من نصيب اوغسطس الولايات التى تحتاج إلى جهد عسكرى لإقرار الأمن بها أو لتأمين حدودها وذلك فى ١٧ ق . م . وأعيد التوزيع فى ٢٣ ق . م .

وبعد ذلك تناقض حقيقة ما استحدثه اوغسطس أو ما هو نوع الحكم أو الدستور الذى ابتكره أهو ملكية أم حكومة ثنائية يقتسمها مع مجلس الشيوخ أم هو اعادة للحكومة الجمهورية القديمة فى رأى روستوفتزف Rostovtzeff أنه لايمكن وصف ما فعله اوغسطس بكلمة واحدة ذلك لأنه يبدو أحيانا بمظهر الرجل الذى أقام نظاما ملكيا صريحا فى روما ، ومن ظاهر الأمور يبدو فعلا أنه اقتسم حكومة الامبراطورية مع مجلس الشيوخ (تجزئة السلطة) .

كان على اوغسطس بعد ذلك أن يواجه عددا من المشاكل تأتى فى مقدمتها تسوية علاقته بالجيش ، وقد كان خصمه انطونيوس يرتكز فى سيادته على قيادته للقوات المسلحة أى أن اوغسطس كان لابد أن يستند أيضا فى سلطته إلى أساس مشابه ، وقد حاول أن يتخلى من قيادة الجيش وذلك عندما تنازل عن سلطاته الاستثنائية فى ٢٧ ق . م . ولكن لم يتنازل عن لقبه العسكرى والذى حدث هو أن مجلس الشيوخ أرجع

له فى الحال كافة السلطات العسكرية ، بالاضافة إلى ذلك لديه السلطة البروقنصلية التى منحت لمدة عشر سنوات فى الولايات التى تعسكر فيها الجيوش الرومانية فيما عدا ولايتى افريقيا ومقدونيا .

والواقع أن علاقته بالجيش كانت أوثق من أن يوهنها قرار يصدره مجلس الشيوخ ، وحقيقة ورث اوغسطس جيشا ضخم العدد كان من الصعب الانفاق عليه ولكن لم يكن فى استطاعته أن يتخلص من الجيش أو أن يقلل من عدده إلى الدرجة التى تتركه وحيدا لايستند إلى سلطة حقيقية فكل الذى فعله اوغسطس بالنسبة للجيش أنه سرح أكثر من نصف عدد الجيش ولكن دون أن يتركهم بدون تعويض فقد منح لأكثر من ٢١٠٠ جندي مساحات من الأرض وكان بعضها فى الولايات المحتاجة إلى حماية عسكرية .
كان هناك نظام أن يعطى للجندى المسرح أرضا زراعية على حدود الولايات أو فى مراكز الحدود Limos (الجند المسرحين Veterani) .

وينبغى أن نعرف أن اوغسطس لم يعد إلى مصادرة الأراضى التى منحت للجند بل انه حمل عليها بطريق الشراء فأنفق حوالى ٦٠٠ مليون سترات فى شرائها كما جاء فى وثيقته المعروفة ، وأدرك اوغسطس أن روما فى حاجة إلى جيش دائم منظم حسن التدريب وفى الوقت نفسه لايكون هو صاحب آخر كلمة فى شئون روما السياسية وإنما يجب أن يمثل محايدا فى مثل هذه الأمور . وقد أدرك قيصر وانطونيوس أهمية هذا الأمر وحاولا جاهدين تفادى خطر تدخل الجيش فى سياسة روما وذلك بأن يضاف إلى المواطنين الرومان جند سكان الامبراطورية ، وفعلا أدخلا فى فرق الجيش الرومانى (Legio) + Leyunos كثيرا من رعايا الولايات ولكن لم يكن فى استطاعة اوغسطس أن يسلك هذا الطريق فاذن يجب أن يحمى الامبراطورية جيش قوامه المواطنون الرومان ، ومع هذا فان اوغسطس تغلب على الموقف الذى ورثه بحكم الأمر الواقع مثلا فى ٦٣ ق . م . كان الجندى المواطن الرومانى يخدم فى الفرقة ستة عشر عاما ، وفى ٥٢ ق . م . ارتفعت

مدة الخدمة إلى ٢٥ سنة وبعد هذه الفترة لم يكن كل جندى يمنح شهادة بتسريحه سراحا مشرفا .

وكان من الصعب أن يغرى اوغسطس المواطنين الرومان Honosta Missio للدخول فى مراتب الجيش ، فى الوقت نفسه كان يريد الاحتفاظ بالمقاتلين الذين اكتسبوا خبرة واسعة فى حروب الجمهورية ، وعليه فى الوقت نفسه أن يزود الجند المسرحين بالمال أو الأرض ولم يكن عنده من الموارد ما يسمح بذلك باستثناء موارد مصر التى مكنته من شراء الأراضى التى أشرنا إليها ٢٩ ق . م . لذلك اضطر اوغسطس كما اضطر خلفاؤه إلى أن يبقوا فى الخدمة الذين انتهت مدد خدمتهم . كذلك وجد اوغسطس نفسه مرغما أن يتبع طريقة انطونيوس وخاصة فى الولايات الشرقية فى تجنيد أبناء هذه الولايات مع إدخالهم فى الفرق الرومانية . واحتفظ اوغسطس بحقه فى إصدار الأمر بتجنيد كل مواطن تجنيدا اجباريا للخدمة فى الفرق ، وإن كان فى الواقع لم يستخدم اوغسطس أو خلفاؤه هذا الحق إلا فى وقت الأزمات .

وعمل اوغسطس على ألا تعسكر الفرق الرومانية فى ايطاليا نفسها ، ولكن كان يبعث بها إلى حيث ينشب القتال أو إلى مواطن الخطر فى بلاد الغال وأسبانيا والدانوب وسوريا ومصر وأفريقيا . وكان الجنود يعيشون كما لو كانوا فى حالة غزو أى فى معسكرات محصنة ، ولكن هذه المستعمرات التى أقيمت لمواجهة ظروف مؤقتة تحولت إلى أن تكون معسكرات دائمة ، ولم يكن اوغسطس ليخص ولاية بعينها بفرق معينة بل كان من الممكن أن تنتقل الفرق من ولاية إلى أخرى حسب الحاجة ، لذلك لم يكن يسمح للجندى بالزواج ، وهذا يتعارض مع القوانين التى أصدرها اوغسطس والتى نصت على أنه من واجب كل مواطن رومانى أن يتزوج وأن يعول اسرته .

اصلاحات اوغسطس العسكرية :

نظام الجيش

وكان لايزال هناك نظام الوحدات العسكرية (Cemturiomos) وهؤلاء يمثلون العسكرية الرومانية بكل ما فيها من الطاعة والعمل بقيم عسكرية متعاونة مع القيادة . ولأسباب سياسية فإن جنود هذه الوحدات لم يرتبطوا بالفرق برابطة بل كان من الجائز إلحاقهم بهذه الفرقة أو تلكل حسب الضرورة ، وكان من الممكن قبل عصر اوغسطس أن يرقى الجندى فى هذه الوحدات إلى مرتبة الشيوخ أو الفرسان ولكن اوغسطس لم ير الأخذ بهذا التقليد ، وفي الواقع كان الضباط يختارون من الطبقات الممتازة وكان قادة الفرق المسمون ليجاتى Legati ينتمون إلى طبقة الشيوخ ، وكانوا أحيانا يشغلون وظيفة الكوايستور (القائم على الشئون المالية فى الجيش) أو وظيفة البرايتور ، وكان لايسمح لهم بشغل وظائفهم لمدة طويلة ، وكان يعهد بالسلطة العسكرية العليا فى الولايات التابعة للامبراطور لهؤلاء القادة (الليجاتى) أما الولايات التابعة لمجلس الشيوخ فكان صاحب السلطة العليا هو البروقنصل ، ونادرا ما كانت مدة البروقنصل تزيد عن سنة ونظم للضباط يرمز الوحدات الخاصة Camtntnrienos ولجند بنظام تدريبى معين قبل إلحاقهم بخدمة الجيش العامل وقد أدخل الامبراطور اوغسطس نوعا من التغيير على النظام العسكرى ، ويقضى هذا التعديل بأن أبناء الشيوخ والفرسان يتحتم عليهم اجتياز فترة من الدراسة العسكرية فى روما وينتظمون فى تشكيلات خاصة يرأسهم رئيس فخرى يحمل لقب رئيس الشباب Princepas iuvantutis وفى الغالب يبدو أن هذا الرئيس كان ولى العهد ، فمثلا كان كل من جايوس ولوكيوس وهما حفيدا اوغسطس من ابنته جوليا وزوجها اجريبا Agrippa أول من حمل هذا اللقب وكانا مرشحين للعرش الامبراطورى وكان للمدن الايطالية الأخرى نظم مشابهة تهدف إلى جمع شباب المدينة فى تنظيم واحد أو فى هيئة واحدة .

واستحدث الامبراطور اوغسطس نظام الحرس الخاص لشخصه (كوهورس بريتوريا) الحرس البريتورى . ولما كان القائد الأعلى هو فى الوقت نفسه رئيس الدولة يقيم فى روما اقامة دائمة فكان من الطبيعى أن يكون لحراسه تكنات خاصة فى روما بالرغم من أن وجود قائد الجيش فى روما فى حد ذاته يعتبر أمرا منافيا للدستور . وتطلب الموقف أن يكون هناك تسع (٩) كتائب زيدت فيما بعد إلى عشر (١٠) يقوم جنودها بالخدمة العسكرية لمدة ١٢ سنة أصبحت بعد ذلك ستة عشر (١٦) عاما . وكان ضباط الكتائب هذه ينتمون إلى طبقة الفرسان وبذلك أصبح فى المدينو نوعان من الوحدات العسكرية : الحرس البريتورى ، وهذه الكتائب العشر . وخصص للمتينة للقيام بعمل البوليس ثلاثة كتائب يجند جنودها من المواطنين ، وكان هناك أيضا سبع (٧) كتائب من رجال المطافئ ويسمح للمحررين من العبيد بالانضمام إليها ، ويختار لقيادة البوليس ولقيادة المطافئ ضباط من بينهم .

ثم اخيرا هناك حرس القصر من الجرمان ، ولم يكن جنود هذا الحرس من بين جنود الجيش النظاميين بل كانوا يتبعون القصر رأسا ، أى أن صلتهم بالامبراطور كانت صلة شخصية . واستحدث اوغسطس أيضا نظاما عسكريا لانستطيع القول بأنه كان جديدا لأن مجلس الشيوخ الرومانى كان يأخذ بهذا النظام فى أوقات الخطر فى أيام الجمهورية .

هذا النظام هو إعداد جيش ثان من سكان الولايات فقط ويتكون من فرق الفرسان وفرق المشاه ، ويقود الفرقة فى هذا الجيش ضابط رومانى من طبقة الفرسان ، وبعد أن يقضى الجندى من أهل الولايات خمسة وعشرين عاما فى خدمة هذه الفرق يكون من حقه عند تسريحه أن ينال حقوق المواطنة الرومانية .

وقد لايشترط تسريحه من خدمة الجيش فيكتسب الحقوق الرومانية بصفة تلقائية بعد قضائه المدة المذكورة .

وتكوين هذا الجيش من مواطني الولايات إشعار بأن روما أصبحت الآن امبراطورية يتعاون في حمايتها جند من المواطنين والايطاليين وجند من أهل الولايات .

وإن كان جيش الولايات أقل في المكانة من الجيش الروماني وكانت كتائبه تعرف باسم اوجزيليا (Auxilia) (الفرق المساعدة) ولحق بالفرق الرومانية (ليجيوم Ligium) ويبدو أن انشاء الفرق المساعدة كان يهدف أيضا إلى جانب إشراك أهل الولايات في الدفاع عن الامبراطورية إلى تخفيض عبء الخدمة العسكرية عن المواطنين الرومان .

لذلك جرت العادة في عهد الامبراطورية أن تصل إلى روما فرق مساعدة يبعث بها من وقت لآخر حكام الولايات وذلك لتدعيم الجيش الروماني .

وعلى النحو الذي أصبح فيه جيش دائم أصبح هناك أيضا اسطول ، فكانت عمارة بحرية ترسو في ميزنيوم Misanium في جنوب ايطاليا وترسو عمارة بحرية أخرى في ميناء رافينا Ravenna على بحر الادرياتيك ، وكان بحارة الاسطول في أول الأمر يختارون من عبيد الامبراطور ثم أصبحوا يختارون من الطبقات الدنيا من المواطنين الرومان أو من الذين حرروا من الرق أو من سكان الولايات .

وكان ضباط الاسطول من طبقة الفرسان ، ولم يكن الاسطول كبيرا كما يتبادر إلى الذهن ذلك لأن عدد البحارة والجند والمندقين لايتجاوز عشرة آلاف (١٠,٠٠٠) رجل وكانت السفن صغيرة وخفيفة لأنها تستخدم أساسا في مطاردة القراصنة وحراسة سواحل ايطاليا .

أهم ما أدخل اوغسطس على النظام العسكرى الجمهورى أنه سحب نهائيا كافة الأمور المتعلقة بالجيش من مجلس الشيوخ ومن غيره من المجالس ، كما أن المسائل العسكرية لم تعد من اختصاص الموظفين السنويين (أى القناصل والبراترة) وإنما تركزت كلها في يد الامبراطور ، ولما كانت لاوغسطس سلطة القيادة العليا على الجيش

الرومانى حتى فى الولايات التابعة لمجلس الشيوخ ، ولما كان يقوم على حراسة الحرس البريتورى فإن كل ذلك يعنى أنه قد تحققت له السيطرة الكاملة على كافة القوات الامبراطورية .

وكان مجلس الشيوخ قد منح اوغسطس السلطات البروقنصلية لمدة عشر (١٠) سنوات ابتداء من ٢٧ ق . م . ليحكم بمقتضاها الولايات التى كان أعداء الامبراطورية يرابطون على حدودها ، وقد جددت هذه المدة لخمس أو لعشر سنوات أخرى جديدة ، وهذا مكنه دون شك من أن يسيطر على كل صغيرة وكبيرة فى الجيش الرومانى فهو الذى يعين القادة في الولايات الامبراطورية وقادة الفرق وقادة الفرق لمساعدة والترابنة العسكريين والقادة (برايفكتوس Praefectus) الذى يقود قوة الفرسان وكل هؤلاء القادة كانوا من طبقة الشيوخ أو من طبقة الفرسان . ومنح اوغسطس وحده الحق فى إقرار توزيع الفرق بين الولايات وتوزيع الاختصاصات العسكرية والمدنية ، وهو الذى يتولى دفع مرتبات الجند ويحدد معاشاتهم ، ونظام المعاش فى الجيش استحدثه اوغسطس .

ولهذا الغرض أقام خزانة خاصة باسم Aerarium Militarae ايرازيوم ميليتارى) وساهم الامبراطور فى هذه الخزانة بنصيب وافر من ثروته الشخصية ، وخصص لها أيضا جزء من الايراد العام للدولة . ويكاد اوغسطس فى هذه النظم التى استحدثها أن يكون شبيها بقيصر ، ولكن الفارق بينهما هو الفارق بين شخصية الرجلين وظروف العصر الذى عاش فيه كل منهما لأن اوغسطس كان أقل تحديا للتقاليد الرومانية من يوليوس قيصر .

ومع ذلك فكل الاجراءات التى اتخذها اوغسطس لم تحل المشكلة الأساسية التى تتمثل فى صعوبة إقامة نظام مضمون ودائم لتموين الجيش ونظام يضمن صلاحية الجند للحرب ، وصعوبة ابعاد الجند عن التدخل فى السياسة لأن هذا الجيش الدائم أصبح يضم جماعة من الذين أقبلوا على الخدمة العسكرية وهم يطمعون إلى تحقيق نوع من الكسب ، أو يتخذون من الخدمة العسكرية وسيلة لكسب العيش وكانوا يقضون معا فترة

طويلة فى الخدمة العسكرية ، وهذا قد يغريهم يوما ما بتكوين شبه اتحاد يضم هؤلاء المحاربين المحترفين الذى يستطيع أن ينعزل عن بقية الشعب ولايستطيع أن يقاوم كراهية الشعب له فقد قلل من قوتهم (الجند) وجود اعتبارات سياسية حالت دون تكوين هيئة من الضباط الذين أحسن تدريبهم ، وحتى إذا وجد هؤلاء الضباط فإنهم قد يفشلون فى إقامة نوع من الترابط أو العلاقة الوثيقة مع الجند ، وأخيرا لم يكن من السهل ضمان بقاء الجيش على الحياد فى المنازعات أو فى النواحى السياسية وكان من المفروض أن يكون للحرس الامبراطورى أهمية خاصة ، وأن يباشر سياسة قوية وأن يدرك الحرس أنه جزء لايتجزأ من كيان الامبراطور ، ومن الطبيعى بعد هذا كله أن يفطن الجيش والقوات لعسكرية على اختلاف أنواعها بما فى ذلك جند الولايات أن الامبراطور لايستطيع أن يفعل بدونهم شيئا وأن عليه أن يعتمد عليهم فى استيفاء كل السلطات فى يده .

المشاكل التى كان على اوغسطس أن يعالجها

الناحية المالية :

فهم اوغسطس المزايا التى توفرت فى ذلك ، مثلا أنه بعد الحرب الأهلية أصبح يعد من أغنى أغنياء الدولة وليس من الواضح لنا طبيعة المصادر التى تحصل منها على ثروته ، ذلك لأن الحد الفاصل بين الملكية الخاصة والملكية العامة لم يكن واضحا بالدرجة التى يمكن ملاحظتها بالنسبة لحالة أى زعيم من زعماء الانقلابات التى حدثت فى روما فى العصر الجمهورى . ولاشك أن ثروة اوغسطس الشخصية زادت بفضل تلك الأموال التى أوصى بها له نفر من أغنياء روما إما بدافع الحب الشخصى أو الاعجاب بمواهبه بأمل أن يحصل هؤلاء الأغنياء بما وهبوا اوغسطس من أموال على وثائق رسمية تثبت ملكيتهم المشكوك فى صحتها لأننا نعرف أن معظم وثائق التمليك فى فترة الحروب الأهلية وما بعدها لم تكن واضحة أو على الأقل لم ترق إلى مرتبة الملكية المشروعة القانونية ، فأصحاب الأملاك وأصحاب رؤوس الأموال فى حاجة إلى تلك الوثائق القانونية التى تؤكد صحة أو شرعية ملكيتهم ، فإذا قبلنا الرأى القائل بأن مصر أصبحت ملكا خاصا للامبراطور فإن ذلك يوضح من ناحية أخرى كيف تكونت ثروة اوغسطس ، وإن كان اعتبار ولاية معينة ملكا خاصا لرئيس الدولة أمر يتعارض مع تقاليد روما ومع قواعد القانون الرومانى إلا أنها تتفق مع النظرية الهلينستيه التى بمقتضاها كانت مصر ملكية شخصية لملوك البطالمة . وعلى أى حال فإن مركز مصر لم يحدد تحديدا قانونيا دقيقا من وجهة نظر القانون الرومانى لأن مصر نظريا كانت احدى الولايات التى عهد بادارتها إلى اوغسطس وكان يقود فرق الجيش الرومانى التى أعطت اوغسطس هذا الحق قائدا من طبقة الفرسان الذى آلت إليه كل الحقوق الملكية باعتباره مفوضا من قبل الامبراطور شخصيا ، أو بمعنى أصح ان هذا القائد أو الحاكم أصبحت له حقوق البطالمة التى آلت إلى اوغسطس بحكم الفتح فهو بذلك

صاحب السلطة التى فوضه بها اوغسطس ، وطبيعى أن يجدد اوغسطس نفسه مالكا لثروة ضخمة فلابد وأن يجد وسيلة ما تجعله قادرا على التحكم فى شئون الامبراطورية من الناحية المالية . وأكثر من مرة استجاب اوغسطس لرجاء مجلس الشيوخ لينقذ الخزانة ، كما أنه تكفل بنفقات مبانى جديدة فى العاصمة ، وساهم فى تخفيض ثمن القمح بتوزيعه على فقراء المدينة ، وساهم فى معاشات الجند وشراء الأراضى وتوزيعها على المسرحين من هؤلاء الجنود ... الخ .

وليس من المحتمل أن الدولة أسهمت فى سد نفقات الولايات الامبراطورية لأن المفروض أن دخل هذه الولايات كافى لسد نفقات الجيش الرومانى ، وحتى إذا قصرت (موارد الولايات) عن سداد النفقات العامة فعلى الامبراطور أن يكمل النقص من جيبه الخاص ولهذا الأمر خطورته لأنه يعنى كف مجلس الشيوخ عن التدخل فى مالية الولايات الامبراطورية ومناقشة مواردها وميزانيتها مادامت للدولة لاتدفع أى نصيب من نفقاتها ، وبذلك أصبحت خزائن هذه الولايات فروعا من خزانة الامبراطور الشخصية وعرفت هذه الخزانة الامبراطورية فى عهد خلفائه باسم حقيبة المال Fiscus وكان الذى يدير هذه الخزانة ويدير الأملاك الشخصية للامبراطور نفر من المخلصين من عبيده أو من المحررين منهم ، وكان هؤلاء يقومون باسم الامبراطور بجمع الضرائب من الولايات وإدارة أملاكه حتى فى الولايات التابعة لمجلس الشيوخ وكان وكلاؤه فى الولايات يسمون Precuratores المفوضين له أيضا عدد كبير من كاتمى أسراره المخلصين وهم الذين يتولون تحرير مراسلاته الخاصة والرسمية ، فلا عجب اذا ان يصبح الدور الذى يلعبه اوغسطس فى مالية الدولة على قدر كبير من الأهمية ولاعجب أيضا اذا رحب أعضاء مجلس الشيوخ بهذه الادارة المالية الامبراطورية التى خففت عنهم عبء المسئوليات المالية الخطيرة ، وكذلك رحب الشيوخ أن يتكفل الامبراطور عن طريق خزانته الخاصة بتنظيم عملية تحصيل ضريبة التركات التى كانت من أبغض الضرائب إلى نفوس الرومان ، وبأن يقوم وكلاؤه بمراقبة الموظفين السابقين مثل الشاغلين لوظيفة البروقنصل والبريتور والقسطور . وهو ما كان اوغسطس فى الواقع فى أواخر أيامه هو المدير الحقيقى

للامبراطورية الرومانية والمشرف الحريص على ممتلكاتها بحيث يمكن القول بأن ميزانية الامبراطورية كانت أيضا ميزانية سيد هذه الامبراطورية .

وهكذا يتبين أن عنصرين وهما الجيش والمالية كانا الدعامتين اللتين قامت عليهما السلطة الشخصية لاوغسطس ، أضف إلى ذلك أن هذا الرخاء العاد الذى ساد أنحاء الامبراطورية نتيجة للسلام الرومانى لاوغسطس Pax Romana وذلك الرضا الذى كسبه اوغسطس من كافة سكان روما وأهل الولايات نتيجة لتنظيم عملية جباية الضرائب ، وقد رضى عن هذه السياسة بصفة خاصة أهل الولايات لأن بلادهم أخذت تتطلع للعودة إلى انتعاشها القديم قبل أن تخضع لروما ، فلا ندهش إذا رأينا رجالا من الشرق فى وقت مبكر فى عام ٢٩ ق . م . يقدمون لاوغسطس الهبات المقدسة .

علاقة اوغسطس بمجلس الشيوخ (السناتو)

كان من الطبيعى أن يكون مجلس الشيوخ أقل الهيئات رضى عن اوغسطس (قبولا لنظامه) وذلك بالرغم من ان الامبراطور التزم مع المجلس سياسة معتدلة له وكان كريما فى معاملته لأعضائه إذا ما قيست أعماله بما فعله قيصر فقد أبقى للمجلس امتيازاته وزال المجلس صاحب السلطات العليا بالنسبة للصحفين وحرص اوغسطس أن يبقى له وضعه الممتاز فى مناقشة كل المسائل الهامة التى تهم الدولة وترك له مباشرة الحكم فى بعض الولايات ، فكان يعين حكاما فيها أعضاء مجلس بل ان اوغسطس تعمد أن يختار معظم حكام الولايات الامبراطورية من بينهم ، وكثيرا ما كان ينيب عنه فى الخارج والداخل بعض أعضاء الشيوخ فى المهام التى يعهد بها إليه مجلس الشيوخ . وكان من غير الممكن أن يتولى قيادة الفرق العسكرية قادة من غير طبقة الشيوخ ، وكان أبناء الشيوخ يبدأون حياتهم العسكرية ضباط ولاينزلون إلى مرتبة الجند ، وأعضاء طبقة الشيوخ لهم الحق فى شغل الوظائف العامة .... الخ . إلى آخر هذه

الامتيازات التى اكتسبوها فى العصر الجمهورى ، فالمجلس كان فى الأصل مجلسا استشاريا ثم تمكن من أن يفرض نفسه خلال العصر الجمهورى حتى أنه حول موظفى الدولة إلى هيئة تنفيذ ارادته . وكانت عضوية المجلس يسمح بها لمن قضى فترة معينة فى الخدمة العسكرية (الفرق العسكرية) فى وظيفة تريبيون عسكرى أو كقائد لكتيبة من الفرسان فى الفرق المساعدة ، وكان فى إمكان من يشغلون الوظائف العامة ووصلوا إلى مرتبة القنصل أن يصبحوا أعضاء فى المجلس ذلك أن سلك الوظائف العامة يبدأ بوظيفة البرايتور فى سن ٢٥ ، وكانت القنصلية هى آخر مراحل هذا السلك . وكان الامبراطور قد اكتسب نفوذا كبيرا بالنسبة لتعيين الموظفين أو التوصية بتعيينهم Com. Nominatio وبذلك أصبح متحكما فى إعداد قوائم أعضاء مجلس الشيوخ بطريق غير مباشر ، واستغل الامبراطور حقه هذا فى التوصية بصفة خاصة بتعيين أشخاص معينين فى منصب القنصل ، ولكن كان إذا شاء يعين لهذين المنصبين أشخاصا قد لاتتوفر فيهم الشروط المعتادة لاكتساب عضوية الشيوخ .

وبالفعل نجح فى إدخال جماعة من الفرسان إلى طبقة الشيوخ (بهذه الطريقة) إلى جانب ذلك (التحكم فى الوظائف) فإن المجلس كان يعلم تماما أنه بالرغم من حقه فى مناقشة المسائل الكبرى إلا أن الرأى النهائى فيها لايكون رأيهم بل هو رأى الامبراطور ، ويكفى أن نقول استنادا لديوكاسيوس (المؤرخ) أن اوغسطس أوجد مجلسا خاصا المواطن الأول Cons. Principis وهذا المجلس كان يضم الامبراطور (المواطن الأول Pricipis والقنصل أو القناصل) والبرايتور والايديل (الأسواق العامة فى أوربا والكريستور وربما تريبون شعبى) و (١٥) شيخا ينتخبون بالقرعة وهذا المجلس مهمته بحث المسائل وتقديمها إلى مجلس الشيوخ ، فضلا عن أنه كان من حقه اقرار اجراءات معينة يكون لها صفة تنفيذية من الناحية القانونية على نحو ما كان لقرارات مجلس الشيوخ Senatus Consupae وهناك مشكلة خاصة متعلقة بمدة عضوية المجلس فقد قال ديوكاسيوس أنها (ستة أشهر) ولكن يبدو أن عضوية بعض الأعضاء من غير القناصل كانت تسقط بعد هذه الفترة .

ولكن مع ذلك لم يكن اوغسطس ليسمح بأن يترك فى نفس أعضاء المجلس شعور بالمرارة ، لذلك أعطى اوغسطس المجلس سلطات قضائية فكان مـن حقـه (المجلس) أن يتحول إلى محكمة تنظر فى التهم الخطيرة التى قد توجه إلى حكام الولايات أو إلـى كبار الموظفين وخاصة فى قضايا ابتزاز الأموال .

ومن ناحية أخرى وجد مجلس الشيوخ أن الامبراطور قد نجـح إلـى حد مـا فـى أن يوجد للشعب الرومـانى وجودا سياسيا محسوسـا عن طريق انتخاب الموظفين حتى ان الشعب كان لايختار إلا من يزكيه اوغسطس ، وكـان الامبراطور بتفويض خاص من هذا الشعب يتولى مراجعة قائمة أسماء الشيوخ ويبعد منها كل من يراه غير جدير بالعضوية .

وحسب رأى الامبراطور كان يعين هذا العضو مـن أعضـاء مجلس الشيوخ أو ذلك لقيادة فرقة من فرق الجيش ، أو يتولى الحكم فى أى ولاية امبراطورية ، بل أى ولاية تابعة لمجلس الشيوخ . وكان الحاكم من طبقة الشيوخ يحس وهو يمارس سلطاته كحاكم للولاية أنه ليس حر التصرف ، بل يشعر أن هناك فـى روما من يرقب عمله ، ولذلك كان يمارس سلطاته بكل حذر ، وحسبه ذلك المرتب الكبير الذى يصرف له ، وعليه أن يتجنب أن يحاكم فى روما ، لأن القاضى الحقيقى هو اوغسطس نفسه .

وكان الإمبراطور كريما سخيا فكثيرا ما كان يمد العون المالى للفقراء من أعضاء المجلس إذا كانوا مؤيدين له وأن يكون هو نفسه حريصا على كسب ولائهم ، وكان من مصلحة هؤلاء الفقراء إرضاء الامبراطور لأنه يجب أن يتوفر فيهم شرط النصاب المالى الذى يبلغ مليون سترات .

وهكذا نرى ان مجلس الشيوخ وطبقتهم كانا يعتمدان على الامبراطور وكان من مصلحتهم مسايرة هذه السيطرة الامبراطورية وما كان لهم أن يفعلوا ذلك لو لم يترك لهم امتيازاتهم القديمة ووضعهم الاجتماعى الذى انفردوا به منذ عصر الجمهورية

موقف اوغسطس من طبقة الفرسان

كان الفرسان الطبقة التى حرصت على مساعدة اوغسطس ومؤازرته بكل طريقة ممكنة ، وكانت فى الواقع هى طبقة أغنياء الطبقة الوسطى من رجال الأعمال وأصحاب رؤوس الأموال ، وقد خرجت من الحروب الأهلية أكثر قوة وأكثر ثراء رغم ضحايا الفرسان الذين سقطوا فى هذه الحروب وكان كثيرا منهم قد زجوا بأنفسهم فى الصراع الدموى بين زعماء وساسة روما ، وكان بعضهم فى خوف من الماضى البشع الذى يطاردهم ، ولذلك عملوا على أن يربطوا مصيرهم باوغسطس حفظا على المكانة التى يلقوها بوصفهم فرعا من فروع الاوستقراطية الرومانية وقد كان منهم المحلفين فى المحاكم وضباط الجيش والوكلاء الماليين للامبراطور ، وكان من بينهم قائد الشرطة الليلية والمطافئ الخاصة بمدينة روما Proef. Vigilium والمدير أو المشرف على تموين المدينة بالغلال Praef. annonae وقائد الحرس البريتورى الذى أصبحت له أهمية كبيرة بعد اوغسطس وخاصة فى فترة الديكتاتورية العسكرية فى القرن الثانى وكان منهم أيضا حاكم مصر أو والى مصر Praef. Aeggpti ولكن اوغسطس لم يشأ أن يترك لهذه الطبقة أن تمارس نشاطها بدون وضع رقابة عليها ، فعمل على أن يحد من هذا النشاط تدريجيا فأفقدهم السيطرة على جمع الضرائب والتزام جباتها وكان يمنحهم بعض الامتيازات وأحيانا يسحبها منهم كلما رأى ذلك مناسبا وألزمهم بالخدمة العسكرية كضباط فى الجيش . وبصفة عامة نستطيع القول أن طبقة الفرسان كسبت فى عصر اوغسطس من الامتيازات أكثر من تلك التى فقدتها ، ويكفى القول أن اوغسطس كان حريصا على أن يبين بوضوح وجلاء مركز طبقة الفرسان القانونى والاجتماعى فى الامبراطورية وكان يستخدمهم فى شغل الوظائف المالية فى بعض الولايات مثل مصر وولايات الألب الحديثة

التنظيم وكان شرط الالتحاق بطبقة الفرسان يخضع لشروط معينة من أهمها أن يكون الفارس (عضو الطبقة) قد بلغ من العمر ١٨ سنة ، وأن يكون مواطنا رومانيا مقيما فى ايطاليا أو فى الولايات ، وأن يكون نصابه المالى ٤٠,٠٠٠ سترات .

موقف اوغسطس من الشعب الرومانى

يتضح لكل من درس عصر الجمهورية أن العامة فى روما (عامة الشعب الرومانى) عانوا الكثير فى فترة الحروب الأهلية وسقط منهم الكثيرون ، وفقد كثيرون من أبنائها ما كان لهم من أملاك إما عن طريق مصادرتها ومنحها للجنود المسرحين ، أو لاضطرارهم التخلى عنها . وقد اضطر باقى الشعب الرومانى للتخلى عن أراضيهم لعدم إمكانهم منافسة أصحاب رؤوس الأموال أو الصمود أمام نظام المزارع الواسعة ، وتقبل الكثير منهم الأمر الواقع وعملوا على أن يوفقوا بين حياتهم تلك والظروف الجديدة التى عاشوا فى ظلها وجاء اوغسطس ليعطيهم أملا جديدا فلم يعمد مثل غيره من قادة روما وزعمائها فى العصر الجمهورى إلى مصادرة الأملاك وأخذها عنوة ، بل كان يشترى الأراضى ليعطيها للجند المسرحين كما سبق القول . وحمد العامة لاوغسطس فترة السلام التى تنفسوا فيها الصعداء وما عادوا يفكرون فى أخطار المستقبل ولاسيما وأن الدولة أوقفت عملية تجنيدهم وإن كانت فتحت أمامهم العمل فى الخدمة العسكرية . ولم تعد الفرق العسكرية تتجول فى ايطاليا وتفرض اقامتها على سكانها ، وشيئا فشيئا عادت الحياة إلى مجراها الطبيعى وانفتح باب المستقبل المشرق أمام سكان ايطاليا ، بل ان الأمن والطمأنينة والسلام كل ذلك تجاوز ايطاليا إلى الولايات التى أصبح من حق ارستقراطيتها بل والطبقات البرجوازية فيها أن تحصل على بعض حقوق المواطنة الرومانية بل والترقى إلى مرتبة الفرسان بقرار من الامبراطور أو عن طريق الخدمة العسكرية أو العمل فى الادارات البلدية Monicipic وقد وفقت الثروة على طبقة العبيد المعتقين التى عمل أفرادها بالتجارة

أو الصناعة وأصبح فى امكانهم الالتحاق بالخدمة العسكرية فى الاسطول أو فى الجيش وظهر منهم (العبيد المحررين) طبقة يمكن أن نصفها بالارستقراطية وعرفت باسم Augustueo3 اوغسطية (ارستقراطية) وحتى طبقة الرعاع (الرعاع) البروليتاريا Prolitaria قد واضعت نفسها على قبول حياتهم فى ظل النظم الجديدة ما دامت الدولة تقدم لهم القمح وما دام اوغسطس وفر لهم العمل أو حتى لبعضهم مع تسليتهم بالمسارح والملاعب . . . الخ ومنحهم بعض المال من حين إلى حين ، ولذلك لم يحدث بالنسبة لهم أى تغير يذكر ولم يعبأوا بفقدهم ما كان لهم من أهمية سياسية فى العصر الجمهورى ، تلك الأهمية التى أفسدت الحياة السياسية فى ذلك العصر .

نخلص من كل ذلك إلى القول بأن سلطة اوغسطس الحقيقية كانت تستند أساسا إلى الجيش وإلى تحكمه فى موارد الدولة وإلى شعبيته وإلى نجاحه فى تحديد علاقته بموظفى الدولة والشيوخ والفرسان بحيث أن حكمه لم يظهر العمل غير الدستورى وكان لايحب أن يسمع عن الدكتاتورية سواء أكانت لفترة محدودة أو لمدى الحياة فهو قد قبل لقب حارس القوانين وراعى الأخلاق ولكنه لم يقبل أن يوصف بأنه دكتاتور .

ولما كانت السلطات الاستثنائية التى اتخذها لنفسه فقد تنازل عنها فى عامى ٢٨ ، ٢٧ ق . م . وهكذا أعاد الدستور إلى ما كان عليه قبل دكتاتورية قيصر وأعاد روما مرة أخرى من الناحية النظرية طبقا إلى حكم الموظفين ومجلس الشيوخ والمجالس الشعبية .

اوغسطس والمجتمع الرومانى

كان من اهم النتائج المؤسفة التى اسفر عنها الصراع السياسى فى روما والحروب الأهلية فى أواخر العصر الجمهورى من تدهور الأخلاق وتعرض كيان الأسرة للخطر ولم تعد (الفضائل الرومانية) تحتل مكانتها الأولى فى المجتمع الرومانى باعتباره مصدر فخر للمواطنين الرومان ولكن كانت فى رأى بعض المؤرخين الاغريق هى صاحبة الفضل فى أن تحتل روما بهذه السرعة الفائقة المركز السياسى الأول فى البحر الأبيض لذلك اهتم اوغسطس بأن يعيد لروما تشريعات اجتماعية وأخلاقية تبعث من جديد هذه الأخلاق الرومانية وأن يشجع على زواج المواطنين الرومان من الايطاليين وخاصة فى الطبقات العليا فى المجتمع وليؤكد رغبته فى أن يسود العنصر الايطالى فى شتى أنحاء الامبراطورية وذلك عن طريق زيادة نسبة الزواج بين الايطاليين وتشجيع زيادة النسل ولتحقيق هذه الغايات من ثلاثة قوانين :

القانون الأول :

المعروف باسم قانون يوليوس اهتم بمعالجة المحافظة على الأسرة بأن جعل (جريمة الزنا) يعاقب عليها بالنفى ومصادرة الملكية وأحيانا بإعدام الشخص الذى يرتكب هذه الجريمة فى حالة ضبطه متلبسا .

القانون الثانى :

يرتبط بقانون يوليوس والخاص (بتنظيم الزواج من الطبقات العليا) والذى ألحقه بقانون آخر فى عام ٩ ميلادية أمر بأن يكون الزواج متكافئا بين الطبقات مع تجنب ما أمكن تلك العقبات التى كانت تحول بين زواج بعض العناصر الرومانية من طبقة معينة . وكان يهم اوغسطس أن يقلل من حالات عدم الزواج بأن يفرض على بعض غير المتزوجين قيود معينة

فى حين يمنح بعض الامتيازات لمن يكثر نسله من المواطنين ، وقد هوجم اوغسطس باعتبار أن مثل هذه القوانين تعتبر تدخلا فى حياة الناس الخاصة ولكنه فى الواقع كان يريد الخير لمجتمعه الذى لم يعد على نسق المجتمع الرومانى الأول وقد طبق القانون على ابنته جوليا التى عرفت باستهتارها ولاكت الألسن سمعتها فأمر بنفيها من روما .

القانون الثالث :

إلى جانب ذلك أصدر قانونا يحد من الاسراف فى الحفلات أو الملبس أو حتى زخرفة المقابر ، وهذا القانون بالذات لقى أشد المقاومة فى مجتمع عرف بالثراء وحياة البذخ ، ثم ان اوغسطس فى القانون الذى شجع فيه على زيادة النسل كان يعفى السيدة التى تنجب أكثر من طفلين من جانب من الضرائب ويعطيها الحق فى أن تتصرف وحدها فى بعض المسائل القانونية بدون وصى وكذلك منح الأب الذى ينجب ثلاثة أولاد بعض الامتيازات فى ترشيحه فى الوظائف العامة وتفضيله عن الأعزب أو المتزوج الذى لم ينجب . ومن الناحية الدينية أدرك اوغسطس أنه لابد من إحياء التقاليد الدينية القديمة وإحياء المثل الدينية لأنها خير علاج لمجتمع تسرب إليه اليأس والشك ، لذلك اهتم اوغسطس بأن جعل الرومان على التأمل فى ماضيهم المثل فى تلك العبادات والمثل العليا المنبثقة على دينى سليم .

من هنا جاءت عبادة روما واوغسطس باعتبارها روما هى الأصل وباعتبار اوغسطس صاحب العبقرية التى بعثت من وحدة التالى إلى هذا الأمل الجديد الذى يعيش فيه الرومان حاضرهم ، وعموما كانت هذه التشريعات الاجتماعية والدينية إنما قصد بها تقويم الأخلاق والعودة بالمجتمع الرومانى إلى تماسكه القديم .

السياسة الخارجية لاوغسطس

اتبع اوغسطس سياسة خارجية معقولة عززت من مركز حكومته من أنه يوصف بأمير السلام إلا أنه أضاف إلى الامبراطورية الرومانية أكثر مما فعل أى قائد من قادة الجمهورية ولكن فتوحه تمت على أسس دفاعية وحسبما تدعو الضرورة إليها وفى هذا يختلف عن سابقيه؛إذ كان يهدف إلى أن يكون للامبراطورية حدود طبيعية يمكن الدفاع عنها بطريقة سهلة وفعالة وقد أفادت الامبراطورية من نظام توزيع الجيوش التى ترابط على الحدود حتى ولو لم تكن هذه الحدود مهددة بأى غزو خارجى لأن هذا النظام يضمن استقرار الأمن والسلام من ناحية ويهيئ الفرصة المناسبة من أجل تحقيق أى تطور اقتصادى للولايات ولايطاليا نفسها .

وإذا نظرنا إلى العمليات والحملات العسكرية التى خاضتها روما فى ظل الحكم الجديد لوجدنا أنها موزعة على عدة جهات :

أولا : الغرب (الحدود الغربية - الجهة الغربية)

خاضت الجمهورية الرومانية حربا طويلة مرهقة فى شبه جزيرة ايبريا واستمرت هذه الحرب قرنين من الزمن واستطاع اوغسطس أن يضع حدا لها بأن سيطرت القوات الرومانية على الجزء المستقل من اسبانيا حيث تركزت المقاومة فى المناطق الجبلية وحارب بنفسه هناك فى عام ٢٦ وأتم اثنان من قواده وهما انتيستيوس Antistius وكاريسيوس Carisius اتمام مهمة اخضاع هذه المناطق فى عام ٢٥ ق . م . وقسمت اسبانيا (ايبريا) إلى ثلاث ولايات هى :
باتيسكا Batisca تاراكونتيس Tarracontisis لويزيتانيا Luisitania

وعهد إلى مجلس الشيوخ بحكم الولاية الأولى فى حين أنه خص نفسه بحكم الولايتين الثانية والثالثة ولعله كان محقا فى هذا الاجراء لأن حكم باتيكا كان أسهل بالنسبة إلى أنها ولاية اعتادت الأساليب والحياة الرومانية .

ثانيا : الشرق (الحدود الشمالية)

كان الموقف هناك أكثر تعقيدا على الحدود الشمالية حيث الغال ونقصد بالمنطقة الشرقية المنطقة الواقعة على نهرى الراين والدانوب والتى تحف بمقدونيا وولاية اليراكم (اللبريا) وقد خضعت غالبا خضوعا كاملا عندما تحقق لقوات الامبراطورية لخضاع مليس باسم Gallia Comate جاليا كوماتا (منطقة فرنسا وبلجيكا) وذلك فى الفترة ما بين عامى ٢٧ ، ١٣ ق . م .

وقسمت ولايات الغال إلى أربع ولايات هى :

١) جاليا ناربوننسيس Gallia Noraonensis وتمثل المنطقة الممتدة من جنوب فرنسا المطلة على ساحل البحر المتوسط حتى جبال اللورانس فى اسبانيا منطقة الريفيرا الفرنسية (الساحل الجنوبى) وهذه عهد بحكمها إلى مجلس الشيوخ .
٢) جاليا اكويتانيا Gallia وتشمل جنوب فرنسا فيما يلى جبال شمال جبال البرانس .
٣) ولاية جاليا لوجدنسيس Gallia Lugdinosis بين بلجيكا وشمال فرنسا .
٤) بلجيكا Belgica

وهذه الولايات الثلاث الأخيرة يحكمها الإمبراطور .

ولما اطمأن الامبراطور إلى جهة نهر الراين وجه اهتمامه إلى حدود الامبراطورية المشتركة مع القبائل الجرمانية فى الشمال وبمعنى آخر حان الوقت لأن تحسم الامبراطورية علاقاتها مع القبائل الجرمانية وليس من غير المحتمل أن يكون اوغسطس فكر فى أن يدمج جميع القبائل الجرمانية فى الدولة الرومانية ذلك لأن هذه القبائل أو على الأقل الكثير منها كانت تعيش حياة بدائية لم تمسها الحضارة الاغريقية الرومانية .

ومن غير المحتمل أيضا أن يكون اوغسطس قد فكر فى الاستيلاء على أراضيهم وغاباتهم ليضمها إلى الامبراطورية ولكن هدفه كان أكثر تواضعا إذا كان يهدف إلى أن يدخل فى الامبراطورية القبائل الجرمانية التى تقيم بالقرب من نهر الب Elbo وهؤلاء تأثروا تأثيرا واضحا بالحضارة الرومانية وأخذوا بعض أساليبها ومن ثم يستطيع اوغسطس إذا نجح فى هذا الهدف وإذا نجح إلى جانب ذلك فى إخضاع المنطقة الواقعة إلى الجنوب من نهر الدانوب والتى تقيم بها القبائل التراقية والكلية المتأثرة أيضاً بالحضارة الرومانية فإن ذلك يعنى أنه يستطيع أن ينشئ خط حدود طبيعى قصير إلى أقصى حد من السهل الدفاع عنه وذلك الخط الذى يمتد من البحر الأسود إلى نهر الدانوب ومن نهر الب Elbo إلى بحر الشمال .

وقد بدأ اوغسطس فى غزو المناطق إلى الجنوب من نهر الدانوب الواقعة إلى الشرق من نهر الراين وكان غزو تلك المناطق يسير بطريقة سهلة إذ لم تصادف القوات الرومانية اية صعوبات أو عقبات ولذلك كان فى استطاعة خلفاء اوغسطس متابعة سياسته فى تلك المناطق بصفة منتظمة .

وفى عام ٢٥ إلى ٣٤ ق . م . قام اوغسطس عندما كان لايزال عضوا فى الحكومة الثلاثية بقيادة جيوش الدولة بنفسه وخاض حربا طاحنة ضد القبائل الاليرية Elliross واستطاع أن يكسب لروما شريطا من الساحل الشرقى لبحر الادرياتيك بكل ما عليه من مدن اغريقية أو نصف اغريقية ومن ثم بدأ الاتصال بين هذه الأراضى الرومانية الجديدة وبين مواقع القبائل فى أعلى نهر الدانوب .

واتخذ اوغسطس من ساحل الليريا نقطة تقدم للبلقان وليحقق هدفه الذى قلنا انه يتلخص فى اخضاع مناطق الدانوب لسلطان روما وفى الفترة بين عامى ١٥ ، ١٣ ق . م نجح (تيريوس) ، (دروسوس) ولدى زوجة اوغسطس فى اخضاع مناطق جمال الالب وكان اوغسطس قد قاد بنفسه حملة عسكرية هناك فى عامى ٣٥ ، ٣٤ وقسمت هذه المناطق الى مناطق عسكرية ثم حولت فيما الى ولايات صغيرة يحكمها ممثلوا الامبراطور الشخصيون بروكيوراتورس Procuratores وبين عامى ٢٩ ، ٢٧ ق .م نجح حاكم ولاية مقدونيا فى أن يتقدم بحدود الامبراطورية الى نهر الدانوب بالقرب من مصبه وبذلك حمل القبائل الترافية على الخضوع لروما وباستمرار العمليات الحربية فى منطقة الدانوب الادنى اصبحت روما صاحبة الحماية على المدن الاغريقية على الساحل الغربى للبحر الاسود واوجدت ترابطا بين هذه المستعمرات وبين المستعمرات الاغريقية الواقعة على السواحل الشمالية لهذا البحر وكذلك اصبح لروما مركزا عسكريا فى موبزا . Moesia

أما فى جهة نهر الب فقد استمرت روما تتابع العمليات العسكرية لاخضاع المناطق الالمانية (الجرمانية) الواقعة جنوب نهر الب وكان يقود الحملات الرومانية درويس Drui الذى اقيم حاكما على بلاد الغال وعلى مناطق الراين وبدأت العمليات فى مرحلتها الحاسمة فى عام ١٢ ق . م وكانت موقفه الى حد كبير ولم يبدى الجرمان مقاومة تذكر ولم يكن قد تم بعد اخضاع كل مناطق نهر الالب بل أن العمليات العسكرية توقفت الى حين عندما سقط دروس فى عام ٩ ق . م من فوق صهوة جراده فلقى مصرعه .

وفى عام ٦ ق . م كانت العلاقات بين اوغسطس وربيبه تيبريوس قد شابها الجفاء والبرود مما جعل بيريوس يتخلى عن مناصبه فى جهة جرمانيا وتركت السلسة الخارجية فى مناطق الدانوب والراين فى يد الحكام الرومان المحليين واوشكت روما أن تحقق نجاحا كاملا فى غزو جرمانيا (المانيا) فى جنوب نهر الب ولكن كان يقف حائلا دون تحقيق هذا النجاح وجعل الحدود بين نهر الالب ونهر الدانوب متصلة مملكة ماروبودس

Meropodus (منطقة بوهيميا) الحالية فى تشيكوسلوفاكيا وكانت مملكة على قدر كبير من القوة والمناعة واستمرت الاوضاع على هذا النحو حتى تحسنت العلاقات بين اوغسطس تيبريوس واعدت العدة ليقوم الاخير فى عام ٦ ميلادية بقيادة حملة ضخمة الامبراطورية فى الشمال وستكون هذه القبائل الجرمانية بهجاتها احد الاسباب الهامة التى أدت الى أنهيار الامبراطورية فى القرن الثالث الميلادى ثم ستكون عاملا هاماً من عوامل القضاء عليها فى النهاية .

واذا انتقلنا بعد ذلك الى المناطق الشرقية من الامبراطورية الرومانية لوجدنا أن اوغسطس لم يتبع سياسة توسعية بل قنع بأن تثبيت دعائم الحكم الرومانى فى مصر وارسل حملة بقيادة حاكمها جايوس بتروتيوس الى بلاد النوبه مكنته من أن يكون لروما مناطق عسكرية على حدود مصر الجنوبية وكذلك حلت حملة بقيادة جاليوس Gellus الى بلاد العرب السعيدة (اليمن) وهذه الحملة بالرغم من فشلها الا أنها استطاعت أن تمهد الطريق أمام التجارة الرومانية مع بلاد العرب والهند واليمن كما نجحت حملة بترونيوس الى تغلغل النشاط التجارى الرومانى الى اواسط افريقيا .

وعند الرومان فى ٢٠ ق .م معاهدة مع البرثيين اعترفت بمقتضاها بارثيا بأن نهر الفرات هو الحد الفاصل بين امبراطوريتها والامبراطورية الرومانية كما اعترف البارثيون بحماية روما لمنطقة ارمينيا وقنع اوغسطس بأن يباشر فى ارمينيا نفوذاً بطريق غير مباشر عن طريق الملوك المحليين الذين يرتقون المرض بتأييد من الرومان وقد نفى جايوس حفيد اوغسطس ووريثه مصرعه وهو يحاول أن يقيم واحدا من هؤلاء الملوك على عرش ارمنيا .

وفى آسيا الصغرى تابع اوغسطس سياسة سلفيه (بومبى) و (كراسوس) بان تبقى بعض المناطق تحت حكم ملوك تابعين لروما فى حين حول البعض الاخر مثل جالتيه Glotia الى ولايات رومانية ولم يكن الاغسطس مضطراً الى شن حروب نظاميه هجومية وقائية ضد القبائل التى بالمناطق الداخلية من آسيا الصغرى فهذه العمليات ضد القبائل لا ترقى الى وصفها بأنها حرب نظامية .

أما فى شمال افريقيا فقد نظم اوغسطس شئون منطقة برقة وضمها الى جزيرة كريت وجعل منها ولاية واحدة كما أن ضم مملكة نوميديا (الجزائر) الى ولاية افريقيا البروقنصلية (تونس) وأقام ملك نوميديا السابق (يوبا الثانى) ملكاً على موريتانيا (المغرب) ولم يكن اهل الولايات يهتموا كثيرا بالسياسة الخارجية للإمبراطورية اذ حسبهم أن اوغسطس هيأ لهم فرص السلام والطمأنينه يعينهم من أمر هذه السياسة غير ذلك فركز الامبراطور فى يديه المسائل المتمثلة بالحروب الخارجية ونجح الى حد كبير واختفى خطر الغزو الأجنبى ولم تكن سياسته قائمة على ضم ليغزو من مكاسب الرومــان العسكرية فى جهة الراين جهة نهر الب .

ويبدو أن الحظ أخذ يتخلى عن اوغسطس إذ ثارت قبائل بانيونيا جنوب الدانوب وانقضت على مؤخرة الجيوش الرومانية تؤيدها فى ذلك بعض قبائل الليريا وكان هجوم قبائل بانيونيا والليريا من العنف والشدة حتى أن روما أخذت تستعد لمواجهة غارة بربرية على اراضيها تذكر بغارات الغال على إيطاليا وعلى روما .

ولكن اوغسطس واجه الموقف بكل حزم وامر جميع القوات بالتوجه الى مناطق هذه القبائل بل أنه اضطر للمرة الاولى لإعلان التجنيد الإجبارى وفى الواقع كان تيبريوس ، بفضل هذه الإجراءات كما لمواجهة الموقف وقد انضم الى قيادته جرمانيكوس ابن أخيه دروس ونجح الرجلان بالفعل فى أن يعيدا السلام والأمن الى مناطق الدانوب ولكن ينبغى الا ننسى أن قبائل بانيونيا اوقعت خسائر فادحة بالرق الرومانية حتى أنه اصبح من الصعب على إيطاليا أن تمد الجيش الرومانى بعناصر ايطالية مقاتله ولم تكد الأحوال تهدأ فى الدانوب حتى حلت بالقوات الرومانية كارثة فى جهة الراين كانت تعتبر القاضية لكل احلام اوغسطس ولكل خططه فى الجهة الشمالية ذلك أنه فى عام ٩ م كانت الفرق الرومانية فاروس Varus تقوم بدورياتها العسكرية السنوية المعتاده لتعيد الطرق وتنشىء مزيداً من المعسكرات فقامت بعض القبائل الجرمانية التى كان يقودها ارمنيوس Arminus واصله امير جرمانى تلقى تدريبا عسكريا رومانيا بنصيب كمين للقوات الرومانية فى غاية تيوتوبورج Teutuburg ووقع فى الكمين فاروس Varus وكل قواته العسكرية المؤلفة من ثلاث فرق رومانية وعدد من الكتائب المساعدة او جزيليا وقتل

فاروس وقضى تماماً على جميع قواته وهكذا ذهبت سدى كل جهود اوغسطس فى جرمانيا وذهبت كل خطط دروسس المتسمه بالإثارة والصبر لإخضاعها ، وعندئذ أمر اوغسطس سحب القوات الرومانية من جهة نهر الب وامر بتركيز كل الجهود فى تحصين حدود الامبراطورية على نهر الراين بالرغم من أن الرومان كانوا يسيطرون تماماً على جهة نهر الدانوب .

وهذا الاجراء الذى بدى للمعاصرين كما لو كان لجراء مؤقتا اصبح عملاً دائماً وخطة اساسية فى كل خطط روما العسكرية حتى بعد عصر اوغسطس ولو كان اوغسطس يقدر أن هذا العمل أن يكون فى صالح الامبراطورية لفكر اكثر من مرة قبل أن يتخذ هذا الإجراء ذلك لأنه ترتب على التحصن وراء نهر الراين ترك القبائل الجرمانية تعيش بحرية تامة فى هذه المنطقة الحساسة بالنسبة لحدود ولايات جديدة فلامبراطورية رغبة منه فى توسع حدودها كما فعل قادة الجمهورية ولكنه اراد أن يضمن لروما وللولايات وخاصة المتطرف منها جياة هادئة بعيدة عن لخطار الحرب والغزو .

وبذلك ارتفعت سمعة اوغسطس بوصفه حارس الدولة المدافع عنها وصاحب الفضل فى تحقيق السلام الرومانى .

ادارة الولايات (نظام الحكم فى الولايات)

سياسة اوغسطس فى الولايات الأخرى :

كفل تقسيم الامبراطورية فى ٢٧ ق .م (الى ولايات امبراطورية واخر يديرها مجلس الشيوخ) الحماية السياسية لأوغسطس ولنظامه الجديد من طموح القناصل والقادة العسكرين ويتمثل تقلد اوغسطس للقب البروقنصل وتمتعه بسلطاته الواسعة استطاع أن يركز فى يديه الهيمنه على القوى العسكرية الأساسية للدولة وترتب على ذلك بطبيعة الحال هيمنة الامبراطورية على السياسة الخارجية للأمبراطورية وحقيقة كانت بعض

الفرق العسكرية يقودها فى الولايات التابعة للشيوخ فى كل من أفريقيا ومقدونيا و اللبريكوم) الليريا قادة يحملون لقب البروقنصل غير أن كان فى استطاعة الامبراطور أ يتحكم فى هذه الولايات بفضل تمتعه بالسلطات الكبرى مايوس امبريوم Maius Ampevium) وفى داخل الولايات استمر اوغسطس فى ممارسة السياسة الرومانية التقليدية فى دعم الطبقات التى يمتلك افرادها الأراضى الزراعية وغير الزراعية وفى احتضان الحكومات المحلية التى سمح لها بنوع من الإستقلال المحلى .

فى الوقت نفسه عمل اوغسطس على أن يحول دون استمرار مساوىء ادارة الولايات فى عصر الجمهورية ولا شك فى أن ابتزاز الأموال من سكان الولايات كان يشكل العيب الرئيسى فى عهد الجمهورية وكان من عيوب هذا العصر أيضاً أن مدة هذا الحكم لا تزيد عن سنة :

أما فى العصر الإمبراطورى أصبح الحاكم يتقاضى مرتبا كبيراً ثابتاً وأصبحت الخدمة فى الولايات عملاً مرضياً ومشرفاً يضمن لصاحبه إذا اثبت كفاءته تقلد المراكز الكبرى فى الدولة .

وكان من الطبيعى أن تتحسن الأحوال بالنسبة لطريقة الحكم فى ولايات مجلس الشيوخ تبعاً لهذا التحسن فى ولايات الامبراطور (ارجع الى نقش قورينى الخاص بعلاقات الامبراطور بهذه الولايات التابعة لمجلس الشيوخ) وكان الامبراطور يحكم بمقتضى السلطات البروقنصلية . وكان يحكم أيضاً عن طريق الحكام الذين يعينهم فى الولايات الامبراطورية ويعرفون باسم (ليجاتى اوجستى بروبرايتور Legati Augusti Propraotore ليجاتوس مندوب - مبعوث - قائد الليجريوم مبعثوا اوغسطس الذين يحملون لقب بروبو يتورى (بريتوريس سابقين) . وذلك بصرف النظر عن الوظائف التى كانوا يشغلوها فى روما .

أما حكام الولايات التابعة لمجلس الشيوخ فكانوا يحملون لقب (بروقنصل) أيا كان المنصب الذى يشغلونه فى روما .

وقد جرت العادة على الا يرسل الى آسيا أو افريقيا الا القناصل السابقون فقط ومع ذلك فأنه بالرغم من اللقب السامى الذى يحملونه الا أنهم كانوا أقل فى المكانة من حكام

الولايات الامبراطورية ألا أن هؤلاء الحكام كانوا يشرفون على قيادة الجيش على عكس حكام ولايات الشيوخ وكان حكام الولايات يشرفون على معظم جوانب الحياة والنظم الإدارية ويتمتعون بإختصاصات قضائية فى القضايا المدنية كما كانوا يفعلون فى القضايا الجنائية إذا كان اطراف النزاع من الأجانب فقط (الأجانب = Porerrini مواطنين Cives) ومن حق أهل الولايات أن يستأنفوا من أحكام حكام الولايات الامبراطورية أمام الامبراطور أما بالنسبة للولايات التابعة لمجلس الشيوخ فأن حق الاستئناف يرفع إلى مجلس الشيوخ او الامبراطور (راجع النص) الخاص بقرارات اوغسطس لمدينة قوريني

مشكلة وراثة العرش ونهاية اوغسطس

كان اوغسطس يستمد سلطاته (بوصفه المواطن الأول) من مجلس الشيوخ ومن الشعب الرومانى أيضاً وكان من الطبيعى أن يترك مهمة اختيار خلف له لهذا المجلس للشعب ولكنه لم يشأ ان يترك عرش الامبراطورية شاغراً حتى يتم هذا الاختيار فيعول على أن يكون خلفته واحدا من بيته يستطيع أن يرث سلطاته ولم ينجب اوغسطس ولداً من زوجاته الثلاثة كلوديا وسكيروبيوتا وليفا Livia وقد رزق من سكريبونيا هى (جوليا) Gulia وكان لزوجته ليفيا من زوجها الأول ولدان هما تبريوس دروسس وقد احب دروس وتبناه ولكنه مات فى مقتبل العمر وكان من المفروض ان يتبنى اوغسطس اخاه تبيريوس ولكنه فى الواقع لم يكن يحبه لعجرفته وإعتداده بنفسه ولن كان يحترمه لكفائة وقدرته العسكرية الفائقة فى ادارة المعارك ووقع اختياره على ماركلوس ابن اخته كتافيا ليكون وليا للعهد بالرغم من حداثة سنه".

وما زال اوغسطس بأخته اوكتافيا حتى جعلها تضغط على ابنها ليطلق زوجته ويتزوج من جوليا ابنة اغسطس من سكريبوتيا ولكن ماركلوس توفى هو الآخر بعد سنتين .

وما لبث اوغسطس أن تبنى اجريبا ساعده الايمن وصاحب الفضل فى انشاء الاسطول الرومانى وفى كسب موقعة التيوم .. الخ وقد منحه فى ١٨ ق .م سلطة الابيريوم البروقنصلية وسلطة التربيونية لمدة خمس سنوات وكان قد اشركه معه فى تطهير مجلس الشيوخ فى ٢٧ ق .م

وقد نسب الى اجريبا أنه زود روما بالماء الجارى والحمامات وهياكل الربه (فينوس Venus) والاله مارس Mars كما انه أنشأ الكثير من المبانى وشق الطريق والاهم من ذلك أنه رسم المعالم للرومانى خريطة ملونة نقشها على المرمر (هذه الخريطه لها أهمية فى تحديد مناطق الأثار الرومانية ولكنه هو الأخر ما لبث أن مات فى ١٢ ق م ولم يتجاوز من ٥٠ سنة بعد أن انجب من جوليا gulin خمسة ابناء لذلك لم يجد الامبراطور بدأ من الاتجاه الى تيبيوس ابن ليفيا Livia فحمله على الطلاق من زوجته بنت اجريبا وزوجة من جوليا gulin فى ٩ ق م وكانت جوليا بعد وفاة لجريبا قد مضت سائرة وقطعت شوطا بعيداً فى الابتذال والاستهتار فأصبحت موقع نقد وتجريح فى المجتمع الرومانى ولسم تقم وزنا لسمعة ابيها ولم تحترم قوانينه ولم يشأ تيريوس وكان على يقين من خيانتها ان يقيم عليها دعوى الزنى بمقتضى قانون يوليوس لانه كان يأمل هو وامه ان يتبناه اوغسطس ولكنه لما ايقن ان الامبراطور سيفضل عليه حتما

حفيدته جايوس قيصر ، لوكيوس قيصر (من جوليا وزوجها لجريا) اعتزل (تيربوس) مناصبه العامة ورحل الى رودس وتفرغ لدراسة الفلسفة والتنجيم .

وما لبث اوغسطس ان امر بنفى جوليا لما هدده اصدقاء بتيريوس بأنهم سيقيمون الدعوى باسم الزوج المخدوع لأن القانون ينص كما مر بنا انه فى حالة عدم تقدم الزوج بالدعوى فان الاب ملزم باقامتها والا اصبح من حق اى مواطن رومانى اقامتها .

وفى ٥ ق .م بلغ جايوس قيصر من الخامسة عشر واحتفل فى روما وفى الولايات بارتدائه ما يسمى بعباءة الرجولة toge Virilis وكذلك بلغ اخوه هذه السن فى ٢ ق .م ومنحهما اوغسطس لقب زعيم الشباب Princeps Iuve nbutis ومن حق حامل هذا اللقب أن يصبح رئيسا لطبقة الفرسان .

وكان هدف اوغسطس هذا تجنب مرور حفيدته بكل الوظائف العامه ولكن فى ٢ ميلادية مات لوكيوس وهو فى طريقه الى اسبانيا وفى ٤٠ ق .م مات جايوس متأثرا بجراحة عند حصارة لاحدى القلاع فى ارمينيا كما مر بنا .

وهكذا وجد اوغسطس نفسه وحيدا لا وريث له فى الوقت الذى ساءت فيه الاحوال فى جرمانيا وبانونيا وبلاد غاله فاضطر الى استدعاء تبريوس وتبنيه واشراكه فى الحكم : ومنحه السلطة التريبونية وجعله يتبنى بدوره جرمانيكوس ابن اخيه دروسوس وزوج جرمانيكو اجريبنا الابنه الصغرى لجوليا واجريبا وفى يوم ١٩ اغسطس ٢٤ م مات اوغسطس فى مدينة نولا Nola فى كمبانيا من العمر ٧٦ سنة وكان تلك السنة قد اجرى احصاء لسكان الامبراطورية كما أنه سجل اعماله المجيدة فى وثيقة .

اعتاد بعض المؤرخين ان يطلق على فترة القرن ونصف قرن التى تلت وفاة اوغسطس حتى عصر الامبراطور ماركوس اوريليوس اى من ١٤ الى ١٩٢ اسم فترة السلم الرومانية نسك لان عهد ماركوس اوريليوس شهد اغارات القبائل المتبربرة على حدود الامبراطورية وهذا الوصف قد يكون غير دقين تماما على أى حال نتيجة للدعاية لنظام الامبراطورية من ذلك ما كتبه احد الكتاب وهو ابكتيتوس Epictetus من سنة ٢٠ الى ١٢١ عاما الامبراطورية امدها بالسلام فلم تعد هناك حروب او موانى او عمال القرصنة بل فى استطاعتها أن ترحل عبر الطرق او تبحر فى من شروق الشمس الى مغربها وكتب المؤرخ الحديث جيبون Giobon اذا كان على الانس ان

يكتب عن الفترة التى تمتع فيها الجنس البشرى بأقصى حد من السعاده والرخاء فأنه به ادنى تردد ستحدث عن الفترة التى تلت وفاة الامبراطور ومتيانوس حتى توليه الامبراطور كرمودوس Cormodus ولكن يجب أن نذكر ان السلام الرومانى أنما كان يستند الى قوة الجيوش الرومانية والى ما يمكن ان تقدمه الشعوب المغلوبة على امرها لروما فهذه الفترة فى نظر بعض الدارسين انما فترة استغلال الشعوب المغلوبة فى حماية الحراب الرومانية دون أن يكون هناك مكان للحديث عن الحضارة الرومانية بالنسبة لهذه الشعوب .

ولا شك فى أن اوغسطس لرسى قواعد حكومة المواطن ولا شك ايضا فى أن هذه الحكومة قد احدثت تغييرا عميقا فى التاريخ السياسى لروما فلم يعد من الممكن استمرار السياسة التى اعتاد الرومان لها اثناء حكم الجمهورية ففى ظل النظام الجديد لا محل للأحزاب المتنافسة ولا محل الساسه من ذوى البرامج السياسية المتعارضة لذلك فان التاريخ السياسى لروما فى عهد الامبراطورضاق حتى اوشك ان يكون تاريخا للعلاقات الخارجية بين روما وغيرها من الامم والشعوب واصبحت الحوادث التى تجرى فى العاصمة من حيث انها كانت نتيجة لسعى مساعدى المواطن الأول وموظفيه لتحقيق الغاية فى المجالس ... اصبحت هذه الحوادث هى موضوع التاريخ الرومانى وبالرغم من أن الوقت لم يحن بعد للقول بان ارادة المواطن الأول هى القانون الا أننا لا نشك فى أن هذا المواطن الأول نجح فى التحكم فى سياسة الدولة واضفى على قوانينها من شخصيته .

ولذلك فأن شخصية الحاكم كانت مسألة على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للأمبراطورية ككل ولها تأثير كبير على رخاء الرومان واهل الولايات ومن أجل ذلك لا ندهش ونحن نقرأ لمؤرخى عصر حكومة المواطن الأول اذا رأيناهم يركزن اهتمامهم على العلاقات الشخصية للأباطرة مع اسرهم وموظفيهم ومجلس الشيوخ والحروب التى يخوضونها متجاهلين التطورات الهامة التى حدثت فى النظم الإدارية فى القانون والدين والمجتمع والحياة الاقتصادية هذه التطورات التى كانت تبدو وبطيئة لاتلفت النظر ولا تجذب الاهتمام .

بعد وفاة اوغسطس نشأت مشكلتان على جانب كبير من الأهمية ويجب الفصل فيهما : -

أولاً : هل ينبغى أن يستمر نظام حكومة المواطن الأول . هذه مسألة ؟

ثانياً : اذا كان الرد بالإيجاب من هو المواطن الأول الجديد الذى سيخلفه ؟

كان اوغسطس ابنا بالتبنى هو (تيبريوس يوليوس قيصر) وكان تيبروس بحكم سنه وخبرته وقيامه بالفعل بممارسة سلطات عسكرية وإدارية المرشح المرتقب لرئاسة الحكومة وفعلا بمقتضى البروقنصلية بعث برسله الى الجيوش الرومانية ليعلن وفاة اوغسطس وكان بحكم مولده واحداً من عشيرة كلوديوس وكان بحكم التبنى واحداً من عشيرة يوليوس فهو بذلك يمثل اتحادا بين هاتين العشيرتين العريقتين وسنرى انه من فرع كلوديوس سيرتقى اربعة عرش الامبراطورية واذا اردنا ان نحلل شخصيته لامكننا ان نعرف الكثير عن الفترة المبكرة من حياته عندما خدم اوغسطس بكل اخلاص وحارب كقائد عرف لحكمته وبعد النظر ولكنه لم يلق الا اقل الجزاء على عمله ونعرف ان زواجه من جوليا العابثة والذى فهم منه تيبريوس أن الغرض منه هو ان يكون وصيا على حفيدى اوغسطس من اجريما ثم سلوك جوليا المشين كان صدم تيبريوس ووضعا حدا لصبره فتخلى فجأة عن مسئوليته فى الاضطلاع وفى سن السادسة والثلاثين وقد تملكه شعور من الإشمئزاز والمراره فاختار حياة العزله فى جزيرة بقى ثمان سنوات دارسا ومتأملا و ستطاع ان يتابع دراساته فى الادب والفلسفة حتى انه ليعد من القلائل الذين جمعوا اقدم ما فى الحضارتين الإغريقية والرومانية وكان شغوفا بالرسم والنحت واتخذ مكانه من الشعراء وعلماء الرياضة واهديت له المؤلفات والأشعار ووقع تحت تأثير اسيللوس Thrasyilus الذى جمع بين دراسة الفلك والفلسفة وتعرف ان حفيدى اوغسطس لبثا ان ماتا فاقدم الامبراطور على تبنيه والزمه فى الوقت نفسه يتبنى جرمانيكوس ابن دروسوس Drusus وشقيق تيبريوس وكان على تيبريوس بعد ذلك ان يخوض حربا استمرت ثمان سنوات فى المانيا وبانونيا حتى ٢١ اكتوبر من عام ١٢ م عندما عاد الى روما وسمح له اوغسطس ان يحتفل بالنصر الذى احرزه طوال هذه السنوات .

بعد وفاة اوغسطس كان تيبريوس قد بلغ سن الخامسة والخمسين شخصا بائسا متعبا وكان فى الوقت نفسه متحلى بصفات القائد فى الخبرة والكفاءة وعلى علم دقيق بما تحتاجه

الامبراطورية ولكنه لم يعتد مركز القيادة العليا اوالزعامة ذلك لقد كان يمارس سلطاته بوصفه تابعا اومنفذ السياسة غيره (قيص) .

وبالرغم من أن تيبريوس كان قائدا حذرا ماهرا الا انه لم يكن يشعر بالاطمئنان وهو يتعامل مع مجلس الشيوخ او عندما ينزل الى خصم الحياه المدنية ليعيش كغيره من الناس كانت تلك السنوات الطوال التى قضاها يباشر سلطات بتوجيه شخص اقوى منه قد جعلت انسانا حيي خجولا كثير النقد لنفسه فاذا طلب منه مواجهة موقف طارىء او ليفصل فى وضع لا سابقة له يتردد ولا يستطيع بسهولة ان يصدر قرارا حاسما وقد اتخذ لنفسه قلة من الاصدقاء الذين وثق بهم ثقة كبيرة وهم تراسلوس لنجدس Lengos وسيانوس Seian وكان فى صحبة غيرهم يبدو وتحفظ تنقصها اللباقة كما كان غير راغب فى أن يشارك فى بذخ النبلاء واسرافهم وعرف عنه القدرة على التحكم فى نفسه بدرجة يبدو فيها هذا التحكم عملا غير انسانى وغير محتمل وكان يشعر بانه غير محبوب على عكس جرمانكوس مثلا الشاب الوسيم الشجاع الذى كسب قلوب الرومان بصفات كان يفتقدها تيبريوس ولذلك كان موقف تيبريوس يبدو حرجا عندما بدأت الدوائر الحاكمة فى روما تفكر فى اختيار خليفة لاوغسطس كان أول عمل به هو الاعداد لجنازة اوغسطس وضمان عودة الجهاز الحكومى للعمل ورفض مناقشة كل ما يتصل باختياره حاكما للأمبراطورية وتولى دعوة مجلس الشيوخ الى الانعقاد بوصفه متقلدا لسلطة التريبيونيه ولعل ثمة محاولات قد بذلت لاقناعه بقبول مركز القيادة فى الامبراطورية ولكنها كلها باءت بالفشل وقد قرأ فى ديوكاسيوس ان الوصية التى كانت محفوظة لدى عذارى معبد فستا قد احضرت وفحصت اختامها ثم قرأت فى اجتماع مجلس الشيوخ ونصت الوصية على أن يرث تيبريوس ثلث تركة اغسطس وأن ترث ليفيا (زوجة الامبراطور الثلث الآخر كما أنه اوصى بمنح مالية لطائفة من الاشخاص الذين ارتبطوا به فى حياته من هؤلاء بعض الشيوخ وبعض الفرسان بل وبعض الملوك التابعين للامبراطورية وترك للشعب الرومانى مبلغ ٤٠ مليون ستريوس وترك مبالغ اخرى للحرس البيرتورى وقد استمع تيبريوس للجملة الافتتاحية للوصية والتى يقول فيها اوغسطس (حيث ان القدر القاصى قد حرمنى من ولدى جايوس ولوكيوس فليكن تيبريوس قيصر وريثى)

وبعد أيام احرق جثمان اوغسطس وأطلق نسر ليلحق عاريا فى السماء رمزا لارتفاع اوغسطس ليحتل مكانه بين الخالدين .

ثم اجتمع مجلس الشيوخ فى ١٧ سبتمبر واعلن ان اوغسطس اصبح خالدا وعين للاشراف على عبادته جماعة من الكهنة وجعل من ليفيا التى أصبحت تدعى جوليا واوغسطس كاهنة لهذه العبادة الجديدة وسمح لها بأن يكون لها لبيكتور (هو حامل عصبة له عندما تمارس مهام وظيفتها المقدسة .)

وبذلك أصبح اوغسطس يعرف باسم اوغسطس المؤله (دفيوس اوجستوس (Divus Augustus وقد مضى الان اربعة اسابيع على وفاة اوغسطس ولايزال منصب المواطن الأول شاغرا ولم يتحدد بعد شكل الحكومة الجديدة وكان اوغسطس قد منح تيبريوس السلطة البروقنصلية التى تساوى سلسلته هو وفى وصيته خلع عليه لقب اوغسطس فبرز تجاه بين اعضاء مجلس الشيوخ بانتخابه مواطنا أول تماشيا مع روح الوصية ، فأقسم القنصلان قسم الولاء لتيبريوس وجعل مجلس الشيوخ والفرسان والشعب يقسمون هذا القسم - قد لا تكون له دلالة دستوريه ولكن له تأثيرا ادبى كبير دون شك .

ومن ناحية اخرى كان تيبيريوس قد عرفناه ذلك الشخص المتردد الذى لا يجرؤ على النهوض بالمسئولية بهذه السهولة يحرص على أن يختار مجلس الشيوخ والشعب الرومانى بحرية تامه وهذا ما حدث بالفعل بالرغم من أن تاكيتوس لا يعطينا تفضيلا لعملية اختيار تيبريوس مواطنا أول لذلك يفترض ان القنصلين تقدما الى مجلس الشيوخ بأقتراح مؤداه انه يجب اختيار تيبريوس برنكيس سنتاتوس P . senatus ليحل محله اوغسطس المؤله Divus Augustus مع حقه فى الاحتفاظ لمدى الحياة بسلطتى البروقنصل والتربيونيه ، وأن يفرض كافة السلطات التى تمكنه من حماية الدولة ، تلك السلطات التى كانت لأوغسطس من قبل وقد عارض تيبريوس هذا الاقتراح ثم بعد الحاح شديد قبل ان يكون الحاكم الجديد للإمبراطورية .

وكان تيبريوس يمثل بقايا الاخلاق الرومانية القديمة المتمثلة فى شدة الشعور بالمسئولية والنهوض بالواجب وكان يرى انه بالرغم من كل شىء يجب أن يكون الى جانب مجلس الشيوخ حاكم قوى تعلو سلطاته سلطة هذا المجلس ولذلك عندما قبل ان يكون امبراطورا اعرب عن امله فى أن يأتى اليوم الذى يستطيع فيه مجلس الشيوخ عندما تتقدم به السن ان يعفيه من منصبه ويمنحه الخلاص من المسئولية وليخلوا الى الراحة وقد ترك هذا التردد تأثيرا عميقا فى المعجبين به وفى الكارهين لشخصيته بالمعجبون اعربوا عن تقديرهم لتواضعه اما الاخرون فقد رأوا ان

تيبريوس يمثل مهزلة مخزية ويعدو نموذجا سيئا للنفاق والرياء ، أما مجلس الشيوخ فقد فهم أن
تيبريوس انما ان ينصب سباكا لم يجرؤ على منافسته لمركز المواطن الأول ولذا فان العلاقات
بينه وبين المجلس لم تكون علاقات طيبه .

سياسة تيبيريوس الداخلية والخارجية وعلاقته بمجلس الشيوخ

تابع تيبيريوس لسياسة اوغسطس والتقاليد التى وضعها لنظام الحكم فى الامبراطورية ولذلك فأن كل ما أصدره تيبيريوس من قرارات وما اتخذ من اجراءات تشهد بصدق على احترامه الضقيق للتقاليد الاوغسطسية .

وحقق تيبيريوس نجاحاً ملموساً لستمر عدداً من السنين وكل المصادر تتفق فى الاقرار بأن الفترة الاولى حتى سنة ٢٦ كانت فترة طيبة على عكس الفترة التالية لذلك العام عندما انسحب تيبيريوس من روما وترتب على ذلك نتائج خطيرة فهذه الفترة الاولى بالنسبة للسياسة الداخلية اظهرت قوة الوسائل التى اتبعها وكشفت فى الوقت نفسه عن نواحى الضعف فيها والاخلاص لمبادىء اوغسطس تعنى التعاون الصادق مع مجلس الشيوخ بأن هذا المجلس يجب أن يكون شريكا فى الحكم على نحو ما رسم اوغسطس ولا نزاع فى أن اعضاء الشيوخ اكتسبوا خبرة وتجربة عن طريق ادارة الولايات التابعة للمجلس .

وقد اضاف اوغسطس اليه ايضاً اختصاصات تشريعية وقضائية جديدة بالنسبة لإيطاليا وبالنسبة للولايات وكان المجلس يفصل فى القضايا الجنائية الهامة وخاصة اذا كان المتهم فيها شخصية كبيرة ذات نفوذ – وهكذا ازدادت أهمية مركز الشيوخ فى بداية عصر تيبيريوس وأصبح يزداد قوة يوم بعد يوم سيما وأن تيبيريوس حول الى المجلس سلطة انتخاب الموظفين بعد أن كان هذا الانتخاب من حق الجهة التربيوتية (كوستيا كورتتريانا) وان كان بعض المؤرخين يرى أن تيبريوس لم يفعل غير تنفيذ ما كان اوغسطس قد قرره قبيل وفاته .

وعلى أى حال اصبح مجلس الشيوخ هو الهيئة الإنتخابية ذات الأهمية ولم يكن فى إمكان الشعب أن يرفع صوته لاحتجاج فى معظم الأحوال وكان تيبريوس مواظباً على حضور جلسات المجلس وكان يدخل الى قاعة الاجتماع متواضع تام وفى غير صحبة الحرس وكان ينهض لتحية القنصليين لافساح مكان له .

واذا كون لجنة لبحث اى مشكلة نأنه كان يضم اليها كثيراً من أعضاء المجلس أو يجعلها مقصورة على هؤلاء الأعضاء وعندما اراد ان يمنح ابنه دروسوس سلطة تربيوتيه فى سن ٢٢ تقدم لمجلس الشيوخ يطلب منه الموافقة على هذا الإجراء وذلك جريا على سنة اوغسطس .

وقد أصدر المجلس فى السنوات الاولى من حكمه عدداً كبيراً من القرارات يتفق بعضها مع أراء الإمبراطور او مع الإراء التى يميل اليها من ذلك مثلا تلك القرارات التى تقضى بإتخاذ عقوبات رادعة ضد محترفات البغاء من الطبقة العليا فى المجتمع اليونانى او تلك التى تعطى المتهم الذى ادين فى إحدى الجرائم مهلة عشرة أيام قبل تنفيذ العقوبة فيه .

وكانت تيبريوس يعطى لمجلس الشيوخ مكانتة اللائقة به مع إظهار إحترامه الكامل بشتى الوسائل وكان يستشيره حتى فى المسائل الصغيرة التى لم تكن لها أية أهمية مثل تجنيد الجنود او تسريحهم وهذا أمر لم يسبق لمجلس الشيوخ أن بحثه من قبل كل ذلك مع حرصه على اطلاق حرية الرأى والتعبير فكان لا يتصرع فى ابداء رأيه حتى لا يتأثر به المجلس وهو بسبب حث فى مسأله معروضة عليه .

كذلك كان يستشير المجلس فى المسائل الدينيه وكان غيوراً على دين الدولة وكثيراً ما كان يعارض فى الأديان الأجنبية التى ازداد تسللها الى المجتمع الرومانى .

مثلا فى سنة ١٩ حدثت فضيحة تتصل بعبادة الربة المصرية ايزيس فأصدر أحكاما بصلب كهنتها والتى قامت فى نهر التيرودور معبدها وأرغم اتباعها على حرق ملابسهم ومثال ذلك أن بعض اليهود احتالوا على سيدة رومانية فأستولوا على اموالها فأقنع مجلس الشيوخ بإصدار قرار بطرد اليهود من كل ايطاليا .

ولم يكن تيبريوس يبدى اهتماما كبيراً بالحفلات والمباريات لأنه كان يكره التبذير رغم يكن يحب الشعب ولما رفعت الشكاوى لمجلس الشيوخ من تصرف بعض الممثلين امر الامبراطور بطرد الممثلين من ايطاليا سنة ٢٣ وحدد عدد المصارعين الذين يسمح لهم بعرض العابهم وكذلك قلل من انتهاء المسارح الدائرية حتى ان المصارعين تظلموا من عدم اعطائهم الفرصة لإظهار قوتهم ومن الطبيعى ان كل هذه الأعمال لا تجعل منه شخصا محببا لدى الجماهير الرومانية .

وكان عليه ايضاً أن يواجه المشاكل التى ترتبت على تنفيذ قوانين اوغسطس خاصة بالتنظيمات الاجتماعية لأن اوغسطس كما نعرف كان حريصاً على أن يؤكد نقاء سكان ايطاليا الحرار مع مراعاة الفوارق الطبقية وعدم اغراق ايطاليا بالدم الآجنبى كما انه اهتم بمسألة العبيد المحررين .

ظهرت نتيجة لتطبيق هذه القوانين طائفة من المخبرين والذين كانت تصرف لهم مكافأة سخية واستفحل شر هذه الطائفة حتى ان الشعب اليونانى ضاق بهم زرعا وساد شعور بعدم طمأنينه فتدخل تيبريوس وأمر بتشكيل لجنة خاصة من أعضاء الشيوخ لوضع حد لمفاسد هذه الطائفة وادخال التعديلات المناسبة على القوانين والاجراءات المترتبة عليها وقصد الامبراطور أيضا معالجة المشاكل التى نتجت عن ظهور طبقة العبيد المحررين واحدث بضرورة اصدار تشريعات جديدة لتنظيم الأوضاع القانونية الخاصة بهذه الطائفة ذلك لأن العبد المحرر الذى لم يكن قد ولد حراً كان لا يطمع الى شغل الوظائف سواء فى البدايات او فى روما ولكن طبقة العبيد المحررين كانت تمثل طائفة نشطه قادرة على ادارة الأعمال ويتحتم تشجيعها فأصبح من حق الأمبراطور منح أحد افراد هذه الطبقة قراراً بأنه ولد حراً .

ويصبح من حق هذا الشخص أن يلبس خاتماً ذهبياً ولكن لما زاد عدد الذين حصلوا على هذا الحق وخاصة اولئك الذين اكتسبوه بوسائل غير قانونية اضطر مجلس الشيوخ ان يصدر قراراً ليحدد عدد اولئك الذين من حقهم اتخاذ هذا الخاتم الذهبى وجعله قاصرا على اولئك الذين يستطيعون اثبات انهم ولدوا احراراً وان اجدادهم لمدة جيلين على الاقل كانوا احرارا وانهم يستوفون الشروط الواجب توافرها فى طبقة الفرسان – ولكن هذا القانون وهذا القرار لم يكن واضحا ووصف بأنه قرار رجعى وبالفعل ادى الى مزيد من الاضطرابات ومن ثم اصدر فى العام التالى احد القنصليين قانون اسمه ليكس فيسليا Lex. vicellia الذى ينص على منح حقوق المواطنة الرومانية لكل اولئك الذين حرروا بناء على قانون ليكس جونيا . هذا القانون ينسب الى عسطس فينص على تحرير كل اولئك العبيد الذين فازوا بحريتهم بطريقة غير رسمية وكان وضعهم القانون يشبه وضع سكان المستعمرات اللاتينية ولذلك عرفوا باسم لاتينيتاس جونيانا L gonicna واشترط القانون الجديد ان يكون العبد المحرر بمقتضى قانون ليكس جونيا قد خدم فى جماعة الشرطة الليلية ورجال المطافى جماعة Vigilex لمدة ستة سنوات على الأقل من القانون ايضا على عدم الاعتراف لاى عبد محرر لا يستطيع ان يثبت انه حر المولد من مناصب الدولة ومناصب البلديات (ما لم يكن الامبراطور قد منحه حق اتخاذ الخاتم الذهبى) .

بهذه المسائل كان تيبريوس يعمل بانسجام تام مع مجلس الشيوخ وكان بالتزامه الحكمة والتروى والاعتدال مثلا طيبا للحاكم الذى يستطيع تجنب الوقوع فى الخطأ وكان ايضا حريصاً

على تجنب اكتساب سلطات غير عادية او اتخاذ القاب او قبول اى تكريم وذلك ليستطيع ان يمضى بالدولة بكل سهولة ويسر فى ظل قوانين اوغسطس وتشريعاته ورفض ان يجدد له قسم الولاء كل سنه وفى الفترة التى حكمها لم يشغل منصب القنصلية غير ثلاث مرات وكانت مدة قنصلية فى كل مرة لاتتجاوز نصف عام وكان يشغل هذه الوظيفة لتنفيذ اغراض معينه وهى تتعلق اصلا بمنح وريث او شريك له فى الحكم بعض سلطات :

وهذه المراحل الثلاث هى :

١ - فى سنة ١٨ بالنسبة لابن اخيه جرمانيكوس .

٢ - فى سنة ٢٩ بالنسبة لابنه هوتيريوس (دروسوس) .

٣ - فى سنة ٣١ بالنسبة لمساعدة المفضل عنده سيجانوس .

وكان الامبراطور عند ممارسته سلطاته القضائية يدعو الى مشاركته النظر فى القضايا عددا من اصدقائه الذين يكونون مجلسا يسمى مجلس الامبراطور ولم يستخدم تيبريوس لقب الامبراطور كأسم اول له كما فعل اوغسطس ورفض لقب ابو الشعب (باتنيباترايا) ولم يسمح لغيره عبيده بمخاطبته بلقب المولى او السيد وقال (أنا دومنيوس " سيد ") لعبيدى وامبراطور لجنودى ونقيب لبقية الناس .

الشئون الخارجية على عهد الامبراطور تيبريوس:

صحب ارتقاء الامبراطور العرش حركتان خطيرتان :

أولهما : حركة عصيان قام بها الجيش الرومانى العسكرفى اليريكوم وكانت الاسباب التى ادت الى هذا العصيان تنحصر فى فشل الامبراطور فى ايجاد نظام لتسريح الجند الذين اكملوا مدة الخدمة العسكرية وترجع ايضا الى قوة الخدمة العسكرية نفسها فعهد الامبراطور الى ابنه " دروسير " لقمع حركة العصيان هذه ونجح هذا الابن الى حد كبير فى تهدئة ثائرة الجند .

ثانيهما : كانت حـركة عصيان الجند ايضا للاسباب المتقدمة فى جهة الراين فبعث بابن اخيه جرمانيكوس الذى استطاع ايضا ان يلزم جيش الراين بالطاعة للامبراطور غير انه عالـــج للموقـف بطريقة قضى بها على حياة الجند الرتيبه فى معسكراتهم دون ان يحـصــل على اذن من الامبراطور بالموافقة على القرار الذى اتخذه ونفذه بالفعل وهو عبور نهر الراين والقيام بحملات عسكرية فى جرامانيا وهذا كما نعلم يخالف السياسة التى رسمها اوغسطس .

- وكان لجرمانيكوس وضع خاص فهو زوج لجريننا ابنه جوليا واجرينا وتبناه تيبريوس بامر من اوغسطس فى سنة ٤ فهو اذن يعتبر وليا للعهد فضلا عن انه كان يتمتع بشخصية كبيرة بين اعضاء الشيوخ ويزيد عن دروسوس ابن الامبراطور كفاءة وذكاء هذا ما اوقع الحسرة فى نفس الامبراطور ويبدو ان جرمانكوس كان يفى الى حقيقة وضعه فتصرف هذا التصرف وقابلته القبائل الجرمانية بكل عنف اذ لا تزال هذه القبائل متحالفة فيما بينهما منذ هريمانـاروس ولا يزال ارسنيوس رعيما لها ومع ذلك فأن جرمانيكوس استطاع بفضل حملات ثلاث فى الفترة مابين سنة ١٤ الى سنة ١٦ أن يوقع عدم هزائم شديدة بالجرمان ولكنه تعرض بعد ذلك لخسائر فادحة وتعرض احد جيوشه لنفس المصير الذى لقيه فاروس غير انه استطاع ان ينجو بمعجزة من الكمين الذى نصب له وكذلك تعرض الاسطول الرومانى فى بحر الشمال لخسائر كثيرة بسبب العواطف والانواء لذلك بادرتيبريوس باستدعاء جرمانيكوس وفضل ان يحل الموقف فى جرمانيا ومنطقة الغال بالطرق السياسية العادية فجعل من ولايات الغال الثلاثة ولاية واحدة .

واستحدث على الضفة اليسرى لنهر الراين منطقتين ادرايتين جديدتين واحدة باسم المانيا العليا والثانية باسم المانيا السفلى ويحكم كل منهما موظف برتبة قنصل ومن حسن حظ الامبراطورية ان القبائل الجرمانية دخلت فى صراع عنيف مع قبائل الماركومانى Marcomani واستطاع ارمنيوس ان يوقع بها الهزيمة ولكنه هو نفسه سقط صريعا ضحية لغيرة زعماء القبائل فى سنة ١٩ .

وفيما عدا هاتين الحركتين تعرض السلام الرومانى للخطر مرة اثناء ثورة لم تستمر فى بلاد الغال طويلا فى سنة ٢١ ومرة اخرى فى نوميديا عندما تزعم الثورة ضد الحكم الرومانى زعيم نوميدى لوليبى يدعى تاكفوريناس Tacfornres وكان ضابطا فى الجيش الرومانى واتقن اساليب

الحرب التى يطبقها الرومان فى معاركهم ولذلك استقرت ثورته فترة طويلة من سنة ١٧ الى سنة ٢٤ وعمت كل اقليم نوميديا ومنطقة قبائل الجرامنتس Gremantis فى منطقة فزان فى جنوب ليبيا.

الموقف بين (تيبريوس) و (جرمانيكوس) :

بعد ان انتهى جرمانيكوس من مهمته فى بلاد الغال او فى جهة الراين ارسله تيبريوس لتسوية بعض المشاكل فى الشرق وفرضه مجلس الشيوخ بسلطة مايوس ابيريوم التى تفوق سلطة حكام الولايات وكانت المشكلة الاساسية هى وضع حد للمنازعات على عرش ارمنيا و عادة النفوذ الرومانى الى هذه المنطقة وبعد ان نجح فى مهمته نفوذا تحمل صورته وهذا عمل لا يقره الامبراطور ثم تحدى الامبراطور مرة ثانية عندما دخل مصر بدون موافقة مخالفا لتعليمات اوغسطس .

ثم جاء المشكلة الثالثة عندما وقع الخلاف بينه وبين بيسو Bisso حاكم سوريا و سبب هذا الخلاف هى :

أولاً : ان هذا الحاكم رفض ان يمد جرمانيكوس بقواته لاتمام مهمته فى ارمينيا .

ثانياً : عملت زوجة بيسو على الاتصال بالجند لتحدى ارادة حرمانيكوس ويبدو انه اصدر امـراً بإبعاد بيسو عن ولاية سوريا وان كان الموقف قد صور ان برجو اراد ان يغادر سوريا جرمانيكوس بمقتضى السلطة الممنوحة له على هذا الطلب فى حين ان مغادرة اى حاكم لولايته يجب ان تكون بموافقة الامبراطور الشخص .

• وبعد ذلك بقليل فاجأ المرض جرمانيكوس فى مدينة انطاكيا ويرجع انه اصيب بنوع من الحس ولكنه كان يعتقد ان " بيسو " حاكم سوريا قد دس له السم وبهذا الاحساس يضرع زوجته اجريبنا بان تنتقم لمصرعه وما أن مات حتى عجلت اجريبنا بحرق جثمانه وحملت رماده فى سفينة الى روما بالرغم من موسم الشتاء ولم يقتصر الامبراطور على ذلك فأمر بأن يصحب الرماد الى روما كتيبتان من الحرس البريتورى .

وفى رأى كثير من المؤرخين ان موت جرمانيكوس لا يعتبر فى الواقع خسارة فادحة للامبراطورية لانه اذا جرد من شعبيته ومن شخصيته الجذابة ومن حب اصدقائه الذين قارنوا موته فى سن الشباب الغض بموت الاسكندر الاكبر فان جرمانكوس يعتبر شخصا عاديا متواضع الذكاء والكفاءة .

ولكن بفضل دروسوس ابن الامبراطور دون شك وكل هذا لم يمنع ما شعرت به روما والولايات من حسرة واسى – والذى يهمنا ان موت جرمانيكوس المبكر افسد العلاقات بين تيبريوس اجريبنا .

واضطر الامبراطور آخر الامر الى استدعاء بيسو الى روما لمحاكمة امام مجلس الشيوخ بأنه دس السم لجرمانيكوس وكانت اجرينيا تتهم الامبراطور بأنه دبر هذه المؤمرة للتخلص من جرمانيكوس واستند بيسو بأن شعبيته جرمانيكوس ستحول دون برائه فآثر الانتحار وكانت اجريتيا تتهم الامبراطور بدافع من غيرته بأنه مسئول عن موت زوجها ودبرت مؤمرة مكشوفة للقضاء عليه ولتضمن العرش لولديها نسيرون ودوروسوس ولكن هذه المؤامرة عجلت بنهايتها ونهاية ولديها فى سنة ٢٣ فحدث ان مات درووسوس الذى كان من المتوقع ان يتولى العرش بعد ابيه وخاصة منذ وفاة جرمانيكوس وستتبين فيما بعد ان سيانوس Seyanus قائد الحرس البريتورى فهو الذى دس السم وكان تيبريوس حزينا لوفاة ابنه منزعجاً لسلوك اجريتيا وخاصة انها لم تعدل عن موقفها بعد ان اصبح لحد وليديها (نيرون ودروسوس) هو المرشح لعرش الامبراطورية ومن ثم انسحب فى سنة ٢٦ ليقيم فى جزيرة تايرى فى خليج نابولى .

ومن هنا تبدأ الفترة الثانية من حياة تيبريوس وبدأت العلاقات تسوء بينه وبين مجلس الشيوخ واستغل سيانوس ابتعاد الامبراطور عن العاصمة ليمضى فى مؤامرته التى رسمها ليستوى بنفسه على منصب المواطن الاول فيمد ان نجح فى اغتيال دروسوس ابن الامبراطور بدأ يدبر لتخلص من ولدى اجريبنا اى من فرع جرمانيكوس فاتهم اجريبنا وابنها نيرون بالخيانة فصدر الأمر بنفيهما خارج ايطاليا ثم حمل نيرون على الانتحار وصدر الأمر بسجن دروسوس فى روما الذى مالبث ان مات فى سجنه واستطاع سيانوس ان يصل الى منصب القنصلية كشريك لتيبريوس ومنحه مجلس الشيوخ السلطة البروقنصلية فى الولايات واراد ان يوافق الامبراطور على زواجه

من حفيدته جوليا ولن هذا الطلب بدأ يثير الشك عند الامبراطور في حقيقة نواياه فأثر ن يعمل ببطء وفي صمت حتى تأكدت شكوكه وأن سيانوس دس السم لابنه دروسوس ثم تتابعت الادلة الادلة على تآمر سيانوس على سلام الامبراطورية رامنها فالقى القبض عليه وعلى طائفة من أصدقائه اللذين اعدموا وتركت اجريبنا لتموت في منفاها .

وهكذا وجد الامبراطور نفسه بعيدا عن اصدقائه بعد ان فتح في سيانوس وبعيد عن هله مما اثر في قواه العقلية وبدأ تنفيذ قانون الخيانة ليكس دى مايتاس Lex de Maistes بكل عنف وصرامه ولقى الكثيرون حتفهم وعاش مجلس الشيوخ في خوف دائم من المبلغين او مخبرين ولذلك شعروا بكثير من الإطمئنان عندما وصلتهم انباء موت الامبراطور في ٦ مارس ٣٧ وكان عمره ٣٨ وقد جعل مؤرخين مثل تاكيتوس سبتنيوس من تيبريوس من سنين حكمه الاخيرة طاغية عنيفا عربيدا وبذلك حجبت هذه الصورة العاتمة خدماته الحقيقية للامبراطورية بوصفه حاكما يشعر بمسئوليته واداريا ناجحا في ادارة الشئون المالية للدولة وان كان تبذيرة في الأموال العامة قد جعل منه شخصا غير محب بالنسبة لغوغاء المدينة ولكنه في الواقع كان بالنسبة لاهل الولايات بركة ورحمة .

الامبراطور جايوس (كليجولا من ٣٧ - ٤١

•••••••••••••

لوصى الامبراطور تيبريوس بأن يتولى شئون الامبراطورية من بعده جايوس الابن الوحيد لجرمانيكوس الذى بقى على قيد الحياة وكان حفيدا لتبيريوس بحكم التبنى وتيبريوس جمليوس Gomellus ابن دروس وهو الحفيد الحقيقى للامبراطور بحكم الدم .

ولكن مجلس الشيوخ رأى ان يقصر منصب البرنكبس (المواطن الأول) على جايوس الذى كان قد بلغ من العمر ٢٥ سنة على أن يتبنى جابوس تيبريوس ووافق جايوس على ذلك ثم بعث ثم امر بإعدامه وبدى للشعب الرومانى كما لو كانت الأشهر الأولى في حكم جابوس انما هى بشيرا للعصر جديد على حكم تيبريوس فقد امر الامبراطور بالعفو عن المذنبين السياسين ونفى المبلغين

(المخبرين) وخفض الضرائب وعرض العامه عن تقصير تيبريوس بالاتفاق بسخاء على الحفلات العامه وكان من أثر هذه السياسة ان اصبح صديقا لمجلس الشيوخ والجيش ولنعمه ولكنه من ناحية اخرى كان يعطل الصحة وسقيم اليدين مختل العقل وكان يعانى من مرض خطير يسببه له افراطه الشديد فى شهواته التى اسلمته الى نوع من الخبل وعدم الاتزان .

وقد نشأ الامبراطور فى بيت انطونيا (جدته) ابنه ماركوس انطونيوس من اوكتافيا فى رفعة امراء شرقيين مثل هيرود اجريبا مما جعله ينظر الى وظيفة الرتكبس (المواطن الأول) وحكومته على أنها نوع من الاتوقراطية ذات الطابع الهلينستى ولكن جنونه وخبله جعل من هذه الحكومة حكومة استبدادية وتطرفة تثير السخرية من شخص الحاكم ولم يصنع بأن يطالب لنفسه ولشقيقاته باعتراف الدولة باليهم بل اعتبر الآله جوبتراظ له واقام جسرا بين تلى البلاثيين Ppatins والكابتول Capitol ليتسنى له الاتصال بجوبتر Gopiter وحس على أن يخاطب بلقب دومنيوس (السيد) ودبوس (الآله) وأقام علاقات غير مشروعه مع شقيقاته وتزوج من واحده منهن وذلك تقليدا لما جرى عليه ملوك البطالمة .

فى مجال السياسة الخارجية قام ببعض العمليات الحربية عبر نهر الراين وكان يريد الحرب لغزو بريطانيا فوصل بالزحف الرومانى حتى مضيق دوفر .

وفى شمال افريقيا تدخل فى الشئون الداخلية لمملكة موريتانيا وأمر بأعدام ملكها بطليموس (لحد احفاد كليوباترة) وذلك للاستيلاء على خزائنه واعتبر مملكته ولاية رومانية وبضم موريتانيا اصبحت الامبراطورية الرومانية تحيط بالبحر الابيض احاطة كاملة وادى اسراف هذا الامبراطور الى أن تنضب الخزانة له الامبراطورية التى تركها تيبريوس عامرة بالمال وليوفر للدولة موارد جديدة امر بزيادة الضرائب فى روما وايطاليا والولايات وباسم القانون امر القتل فى الاغنياء وصادر املاكهم وحمل الكثير منهم على ان يوصوا له بجانب كبير من تركاتهم وقد ادى الخوف من حكمه وعنف اساليبه الى تنظيم المؤتمرات لاغتياله .

وفعلا فى يناير سنة ٤١ لقى مصرعه على يد تريبون من الحرس البريتورى الذى لقى أشد الاهانات من الامبراطور وانضم الى هذا التربيون متآمرون اخرون كانوا فى خوف من أن يذهبوا بدورهم ضحايا لنزواته وأكد المتامرون مصرعه للشعب الرومانى الذى لو يكن يصدق أن ينتهى الامبراطور على هذا النحو بقتل زوجته وابنته الطفلة .

الامبراطور كلوديوس
من ٤١ - ٥٤

••••

حدث فى روما بعد مصرع جايوس نوع من البلبة واختلف اعضاء الشيوخ فى الطريقة الت يجب ان يعالج على اساسها مشكلة الحكم فى روما فكان الرأى السائد انه فى امكان اعضا المجلس الان اعادة الجمهورية وانعوا فى هذا الاتجاه حتى تبين لهم انهم لا يستطيعون وحده التحكم فى الموقف لان هناك الحرس البريتورى الذى لا يرضى بأى حال بعودة الجمهور واكتشف بعض ضباط الحرس كلوديوس السن مختفيا فنادوا به امبراطور ووجد مجلس الشيو نفسه مضطرا ا لى ان يمنحهم لقب اوغسطس مع تفويضه سلطات المواطن الأول وكا الامبراطور الجديد الحرس البريتورى سخية فأوجد بذلك سابقة لو عرف الامبراطور النتائج الت ستسفر عنها مستقبلا لندم وكان كلوديوس قد نيف على الجيش عاما من عمره ولم يكتسب ف حياته الطويلة اى خبرة عن الحياة السياسيةالعامة وتسبب مظهره المنفر والشعور بالعجز الذ اوجده حوله باعتباره شخص غير كفء لمنصبه مما جعله بالفعل خاضعا لسيطرة من هم اقو منه ارادة وخاصة المحررين من عبيدة وازواجه الاربعة .

كان كلوديوس يعتبر من أكثر الرومان تعسفا فى دراسة التاريخ الرومانى ولعل هذا جعل يميل الى أن يكون محافظا فى سياسته العامة والى ان يحكم الامبراطورية على نسق يوليو- قيصر وليس كما حكمها اوغسطس اوتيبريوس واظهرلمجلس الشيوخ احتراما لا مزيد عليه وبذ كل مافى وسعه ليدفع هذا المجلس أن يقوم بدور فعال فى الشئون الإدارية والحكومية .

ومن ناحية اخرى بذل جهدا كبيرا فى وضع حد لمساوىء تطبيق قانون الخيانة ومساوئ المخبرين الرسمين وبالرغم من ذلك فان كثيرا من أعضاء مجلس الشيوخ ومن طبقة الفرسان لق حتفهم لاتهامهم بالخيانة العظمى وكان هذا الاتهام حيا بالنسبة لاولئك الذين انغمسوا ف المؤتمرات فى حين ان اعدام البعض كان نتيجة لوشاية عبيد الامبراطور المحررين ووشاية زوج مسلينا Mieseslins اجريبينا Agtrippins وقد استطاعت هاتان الزوجتان على التوالى من سخ المحكمة الامبراطورية فى التخلص من كل من تحدثه نفسه بالوقوف فى طريقها .

فى سنة ٤٧ تقلد الامبراطور لقب الكينسور (رقيب) الذى عزف اوغسطس عن شغله وحرص على ان ينتخب معه فى هذا المنصب زميل آخر احتراما للتقاليد الجمهورية وهذا المنصب يجعل من شاغله بطريقة تلقائية عضوا فى مجلس الشيوخ اعفى الامبراطور مجلس الشيوخ فى ادارة خزانة الامبراطورية والاشراف على الطرق العامة والموانى سواء فى ايطاليا او فى الولايات وكان الامبراطور حريصا اشد الحرص على أ، يضمن تزويد روما بالقمح لذلك انشأ ميناء جديد ا فىاوستيا Ostis ميناء روما على البحر الأبيض عند نهاية التير عند منصبه .

وقد استحدث الامبراطور نظاما اداريا هاما هو نظام السكرتارية المزودة بالموظفين الاكفاء التابعين له شخصيا بمعنى انهم ليسوا بموظفين فى الدولة واختارهم من بين عبيدة المحررين وكان من الطبيعى ان يشغل الوظائف الحساسة فى الدولة نفر من هؤلاء المحررين الموحين ومن هؤلاء مثلا شخص يدعى بالاسير Psllssir الذى اصبح سكرتيرا للخزانة الامبراطورية وفسكوس Fiscus الذى كان يستقبل كل الايرادات العامة التى يتم تحميلها عن طريق الامبراطور وموظفيه وكان هناك ايضا فاركسوس Farcisus الذين عين سكرتير للمواصلات الامبراطورية Epistula (رسالة Epistuls) وكان هناك ايضا موظف مشرف تلقى الالتماسات التى ترفع للامبراطور (مكتب الشكاوى) Lipellis وعين من عبيدة سكرتيرا خاصا ليشرف على التحقيقات القضائية Congintio nious وكذلك كان هناك سكرتيرا على المكتبة الامبراطورية Stillius وبذلك اصبح لعبيد الامبراطور المحررين وخاصة من يشغل منهم الوظائف الاربعة الاولى نفوذ كبير فى كل ما يصدر من الامبراطور من قرارات وتصرفاتهم ولكنهم كانوا يفتقدون الصفات الاساسية التى كانت لطبيقة النبلاء الرومان الذين مارسو لمدة اجيال متعاقبة الوظائف العامة فى الدولة ولذلك عرفان كثيرا من هؤلاء العبيد المحررين كونوا الثورات الضخمة لعدم تصرفهم وعن طريق بيع ذممهم وعين بعض هؤلاء العبيد فى وظيفة بروكروتور Precuratur (الوكلاء) بل ان بعض هؤلاء الوكلاء كانوا يتمتعون فى الولايات بسلطات قضائية فى كل ما يتصل بمصلحة الخزانة العامة .

اهتم الامبراطور بتنفيذ مشروع ضم بريطانيا الى املاك الامبراطورية الرومانية وفى عمله هذا كان مقلدا ليوليوس قيصر وربما دفعه الى هذا العمل (غزو بريطانيا) .

ما ذكره عن موارد الجزيرة البريطانية وأن كان تقدير مواردها جاء بطريقة مبالغ فيها كثير ولكن كان الدافع الامبراطورى أيضاً لغزو بريطانيا وأن بعض القبائل البلجكية المقيمة فى الجزيرة كانت كثيرا ما تغير على سواحل بلاد الغال – على أى حال فى سنة ٤٣ قام ثلاثة من القادة الرومان من بينهم فلافيوس فسياسيانوس F. vespasiesnus بغزو بريطانيا ونجحوا فى الوصول الى نهر التيمز وكان الامبراطور شخصيا صاحب القيادة الاسمية للجيوش الرومانية وعندما عبرت هذا النهر واحتلت مدينة كومولودونيوم Komolodonium (كليستر Kleister) الحالية مركز الحكم الملكى البلجكى وقد حولت الى مستعمرة رومانية (كولونيا – Kolonia) وأصبحت عاصمة لولاية بريطانية – دخلت العبادة الامبراطورية لبريطانيا بانشاء معبد لروما وأوغسطس فى تلك المدينة وبعد عودة الامبراطور الى روما امتدت السيادة الرومانية لتشمل مناطق وسع فى الجزيرة البريطانية .

أما فى شمال افريقيا فقد وجد الامبراطور ان عليه مواجهة ثورة للقبائل الوطنية فى موريتانيا تلك القبائل التى ارادت ان تعود ببلادهم الى وضعها السابق كمملكة مستقلة وبعد سنتين من حرب عنيفة احمدت مقاومة الاهالى وقسمت موريتانيا الى ولايتين امبراطوريتين وذلك فى عام ٤٢ وهما :

١ – موريتانيا القيصرية فى الشرق .
٢ – موريتانيا تنجانيا فى الغرب .

فى سنة ٤٦ بعد وفاة ملك تراقيا الذى كان تابعا لروما ضمت بلاده الى الامبراطورية وكذلك ضمت مناطق كبيرة من أرض يهوذا (فلسطين) فى سنة (٤٤) بعد وفاة الملك هيرود جريبا وأصبحت تابعة لوكيل الاعمال الامبراطورية بركيور ايتور فى كل الولايات الرومانية بصفة عامه نشط الامبراطور الى انشاء المستعمرات فى الرقى بمدن للولايات الى مرتبة البلديات الرومانية أو اللاتينية واستطاع الامبراطور أن يدافع بكل قواه امام مجلس الشيوخ فمن حقه بوصفه كنسور (رقيب) فى منع الحقوق الرومانية لغير الايطاليين واستطاع بذلك از يدخل فى طبقة اعضاء الشيوخ بعض النبلاء من الغال واستطاع ايضا ان يفتح ابواب الوظائف العامة فى بلاد الغال امام كل المواطنيين الرومان وبذلك (هذا يعنى) انهم اصبحوا يعاملون على قدم المساواه مع الرومان المقيمين فى ايطاليا ومن حقهم ان يكونوا اعضاء فى مجلس الشيوخ (طبقة

الشيوخ) وفى تعداد سنة ٤٧ – ٤٨ (Sint) تبين ان عدد المواطنين الرومان مبلغ ٦٩٤,٠٠٠ مواطن اى بزيادة مليون تقريبا عما كانوا عليه ايام اوغسطس .

واهتم كبوديوس اهتماماً كبيراً بالمسائل المتصلة بإدارة الولايات واظهر نفسه بمظهر الحاكم الكفء الذى كان كل همه ان يكون مرؤسيه فى الولايات على درجة كبيرة من الكفاءة والامتياز (راجع رسالة الامبراطور كلوديوس لمواطنى الاسكندرية كنموذج واضح عن كفاءة هذا الامبراطور) .

نهاية الامبراطور :

فى سنة ٤٨ حدثت ازمه فى نيتكلود بوس ذلك ان زوجته مسالينا Missalina تعلقت بحب نبيل شاب هو جايوس سيليوس Gaussilus وشك فى انهما يدبران مؤامرة ليستولى العشيق على منصب البرينكيس Principa وقطن عبيد كلوديوس المحرون الى خطورة المؤامرة اذ تمت لذلك كان من مصلحتهم ازلحة الامبراطور من الطريق فأوعز ناركسوس Narcisus الى الامبراطور بإصدار حكم بإعدامها واستجاب لنصح باللاسفى الزواج من اجيرينا ابنة جرمانيكوس وكان له من زوجته مسالينا Masselina ابنا عرف بإسم بريتاكيوس Britsncius وابنه هى ستافيا وصمت اجرينا على أن تحرم ابن الامبراطو من حقه فى العرش ليؤل الى إبنها دومتيوس Domitus زوجها الأول

وفعلاً فى سنة ٥٠ جعلت الامبراطورتين ابنها باسم نيوروكلوديوس قيصير Neraclodus ثم منحه فيما بعد عندما بلغ من العمر ١٣ عاما لقب زعيم الشباب ثم منحة سلطة الامبريوم البروقنصلية خارج روما وهكذا اصبح معروفا من الذى سيخلف الامبراطور وفى سنة ٥٣ تزوج نيرون من اكتافيا ولم ييأس ناركسوس من مقاومته لاطماع اجريبنا التى خشيت ان ينجح فى الدس لها لدى الامبراطور لذلك عجلت بدس السم للامبراطور نفسه لتجنب اى اخطار بالنسبة لإبنها فى المستقبل .

الامبراطور نيرون من ٥٤ الى ٦٨ .

كان من المعروف أن نيرون سيتولى عرش الامبراطورية لذلك لم يصادف تعيينه فى منصب البرنكيس اى معارضة ولم يحدث اى تأخير وأن كانت اجريبنا قد اهتمت بالحصول على ضمانات بولاء الحرس البريتورى وذلك مقابل منح سخيه لافراد هـذا الحرس وينبغى ان نذكر ان نيرون كان لايزال شابا لم يتجاوز عمره ١٦ سنة فكان من لطبيعى ان يقوم بإدارة شئون الدولة جماعة من المستشارين على رأسهم بروس Burrus قائد الحرس البروتورى وكان اصلا من بلاد الغال .

وكان من بين مستشاريه ايضا الكاتب الفيلسوف لوكيوس انيايوس (سنيكا) Seneca وهو من اسبانيا وقد اختارته لجريبنا ليكون راعيا واستاذ لابنه نيرون سنة ٤٩ وكانت الحكومة الرومانية تتميز فمن السنوات الخمس الاولى من حكم نيرون بالكفاءة والحرص على ارضاء مجلس الشيوخ داخل الولايات وأن كانت ذات طابع اتوقراطى وكانت اجريبنا هى الرأس المفكرة وراء كل ذلك ولم تعتقد انها ستحل يوماً على التخلى من ممارستها سلطة الحكم او النفوذ الذى اكتسبته فى السنوات الاخيرة من حياة الامبراطور كلوديوس ولكن نيرون كان على رأس المعارضين لتدخلها وانحاز الى جانب مستشاريه الذين رأوا أنه يجب على اجريبنا أن تترك لهم مسئولية الحكم وذلك ليضمنوا استمرار سيطرتهم على شخص الامبراطور .

ويبدو أن هذا الامبراطور قد تعرض كثير من الاضطرابات الجديدة فى حكمه فى سنة ٥٥ قد دس السم لأخيه بالتبنى بريتاكوس ابن الامبراطور كوديوس الصغير ثم وقوعه تحت تأثير عشيقته سابينا Sabina التى كانت زوجة لقائد رومانى أما العمل الثالث فكان اقدامه على قتل امه سنة ٥٩ ثم اقدامه على الطلاق لزوجته اكتافيتا التى امر بنفيها ثم قتلها وبذلك خلى له الجو وتزوج سابينا .

وما أن بلغ نيرون سن ٢٢ حتى عمل على تجميع كل السلطات فى يديه وخاصة بعد وفاة بتروس فى سنة ٦٢ وتخلصه من تأثير سنيكا Senece واتخذ لنفسه مستشارا فى شخص تيجلينوس Tegiliinus قائد الحرس البريتورى مع أنه كان شخصية تافهة لاقيمة لها بالنسبة لفيلسوف مثل سنيكا . وكان بروس وسنيكا حريصين كل الحرص على ارضاء مجلس الشيوخ ولكن نيرون قلب الأية واصبح عدو للمجلس الذى جرد من كل سلطان وكذلك أصبح خزانة خاوية نتيجة لا سرافه الشديد الذى لم يعد يخضع لاى قيد كان كل همه ان يرضى نزواته الشاذه مهما كلفه ذلك من امر والذى يقرأ تاكيتوس يجد انه بصدد امبراطور يعتبر نفسه رسولا للهلينية يريد ان يدخل تقاليد هذه

الحضارة الى روما ولعل ابرز محاولته فى هذا السبيل ادخال الجمنازيوم ونظم التعليم المتصلة به وتقليد المباريات التى تدور فى حليته وتقليد المدارس الفنية ذات الطابع الهلينتى .

ونستطيع ايضاً ان نحس بأن نيرون كان يظن نفسه ملكا لمواهب فنية متعددة الجوانب جديرة بالإعجاب اذا اما عرضت على الشعب الرومانى وفعلا فى سنة ٦٥ ظهر على المسرح ممسكا بقيضارتنه منشدا ومغنيا وعازفا وكان من الطبيعى أن يجر عليه هذا التصرف السيء احتقار الطبقات الراقية فى المجتمع الرومانى بل انه كان شغوفا بان يكرر عرضه الفنى فى بلاد اليونان التى تستطيع وحدها فى رايه ان تقدر فنه فقام فى سنة ٦٦ بزيادة كريت واستعرض مراهبه الفنية فى المباريات الاولمبية والبوثية والكونثية واعلن الامبراطور منحه الحرية للمدن الاغريقية مكافأة لها عن استقبالها العظيم له فيها ، (دور المرسيس الحوريات Muses) .

حريق روما سنة ٦٤ .

فى سنة ٦٤ شب فى روما حريق استمر ايام متتالية وبعد ان تخمدت النار عادت مرة اخرى الى الاشتعال ودمرت اجزاءاً كبيراً من المدينة واتهم نيرون انه المدبر لهذا الحريق ولكن لم يكن ثمة دليل على ذلك .

ذلك أن نيرون كان كثيراً ما يردد انه غير راضى عن تخطيط المدينة اذا كانت تبدو قبيحة اذا قورنت بأى مدينة يونانية التى يقوم بتخطيطها على اسس ثابتة ولكن هذا لا يثبت ان نيرون دبر هذا الحريق ليعيد تخطيط روما من جديد بالفعل انه افاد من هذا الدمار الذى لحق المدينة فجدد ما تقام من مبانيها وخطط شوارعها واحيائها على اسس جديدة وتخلص من الاحياء التى كان يعتقد انها معادية له ولسياسته واقام قصره الذهبى الشهير على تل الاسكويلينى Esquiline والحق بالقصر بستانا ضخما ولكن الرأى العام كان لا يزال يلح فى طلب محاكمة المسئول عن هذا الحريق ولم يجد الامبراطور غير المسيحين يقدمهم كبش الفداء ناتهمهم بانهم وراء الحريق وقدم عدداً كبيراً منهم للمحاكمات وكانت المحاكم تحكم بادانتهم بسبب ما ثبت لديها من نزعتهم الفوضوية وكان هذا هو اول اضطهاد للمسيحية تنظمه الحكومة الرومانية الامبراطورية .

السياسة الخارجية للامبراطور نيرون

أولاً : مشكلة ارمينيا : الفترة من سنة ٥١ : ٦٧ :

فى سنة ٥١ استطاع بولوجاسيس Pqiogasis وهو رجل طموح ان يقوم نفسه ملكا على عرش بارتيا (فى اعالى الفرات) ومن اخيه تريارانيس Thridites ملكا على ارمينيا وكان هذا العمل عند اول تولى نيرون عرش الامبراطورية .

وكان على الامبراطورية أن تؤكد هيبتها لذلك بادرت روما الى مقاومة مشاريع هذا الملك واستطاع الجيش الرومانى ان يقيم عرش ارمينيا ملكا ترضى عنه روما ولم يستطيع ملك بارقيا ان يفعل شيئا اذ شغل بثورة خطيرة فى بلاده واراد ان يصل الى التفاهم مع روما عن طريق المفاوضات ولكنه ما قوبل بعدم الترحيب من الجانب الرومانى وفشلت المفاوضات قاد حملة قوية لغزو ارمينيا وحاصر حاكم كباوشيا الرومانى الذى قبل اخلاء ارمينيا وتسليمها له مقابل فك الحصار عن الجيش الرومانى المحاصر وذلك فى سنة ٦٢ وتقدم حاكم سوريا الرومانى ووقف فى وجه ملك بارتيا وجعله على قبول شروط روما اذا اراد ان يعيد تنصيب أخيه ملك أرمينيا وقبل الملك هذه الشروط التى تتلخص فى اعتراف ارمينيا وسيادة روما وبالفعل قدم هذا الملك الى روما وتسلم التاج من يد الامبراطور .

وذلك فى رأى البعض كان نيرون عن طريق مستشاريه وبفضل حنكه قواده مرفقا فى حل هذه المشكلة .

ثانيا : الموقف فى بريطانيا

فى عهد الامبراطور كلوديوس كان الرومان قد مد وسيطرتهم فى بريطانيا الى نهر الهمبر Himber والى الغرب من اقليم كونوول منطقة ويلز نشبت بين القبائل البريطانية وخاصة قبائل ايكين وقبائل ترينوفانتيس Frinovantes وكانت تعيش بالقرب من نهر التيمز وذلك بسبب قسوة الحكم الرومانى واستطاعت جاه الضرائب فى تحصيلها وتزعمت الثورة السيدة بودكا Boudicca

ملكة قبائل ايكينى Icini ونجحت الثورة فى مراحلها الأولى ودمرت المدن الرومانية وهى كولود ينوم العاصمة (كنشتر) ومدينة لوتدنيو Lundinun (لندن حاليا وذكر ان ٧٠ الف من الرومان لقو حتفهم ولقيت فرقته رومانية بأكملها هزيمة قاسية على يد الرومان فاضطر الحاكم الرومانى ان يجمع شتات القوات الرومانية وللولها وأن بكر على قوات الثوار مدعما بامدادات جديدة وبذلك انقذ ولاية بريطانيا من الضياع .

مؤامرات ضد نيرون

مؤامرة بيسو " Bisso "

حوالى سنة ٦٢ كانت روما تتجه للحكم القائم على الارهاب والبطش قد تعرضت لاعمال الخيانة والمؤامرات التى كانت تدير للتخلص من حكم الامبراطور نيرون ولعل السبب الأول هو الشك الذى بدأ يخيم على دوائر الحكم والخوف الذى كان من الطبيعى ان يلازم هذا الشك .

ويمكن أن تفسر هذه الحركات برغبة المتآمرين فى التخلص من نيرون الذى كان طامعا فى الاستيلاء على املاكهم بأن طبقة اعضاء مجلس الشيوخ لم يعوداوا فى مأمن من غدر الامبراطور حتى انه ليقال أن الكثير من أعضاء المجلس قتلوا غدرا أو حملو على الانتحار .

ومن أبرز المؤامرات تلك المؤامرة التى نظمها بجايوس كليورنيوس G . C . biso عضو مجلس الشيوخ ومن سوء حظه ان المؤامرة اكتشفت وذلك فى سنة ٦٥ وادين عدد كبير من الشخصيات البارزة فى المجتمع الرومانى وكان من بين الذين لقوا حتفهم الشاعر لوكان L::qan عم الفيلسوف سنيكا وكذلك اجيرنسنيكا على الانتحار وقتل اثنان من اعضاء مجلس الشيوخ الرواقين الذين اعتبر نيرون صمتها وعدم التحدث عن سياسته دليلا صارخا على معارضتها لازادته .

ثورة القائد فنداكس Vindex سنة ٦٨ :

قام القائد الرومانى جايوس بوليوس فيندكس بثورة عنيفة فى بلاد الغال متحديا ارادة الامبراطور ومعلنا عن معارضته لسياسته وايده فى ثورته اهل ولاية لوجدوتشيس (شمال غرب فرنسا) الذين ضاقوا ذرعا بشدة الحكم الرومانى ورقه الضرائب وانضم القائد سلبيكرس جاليا (Selbecus) Galba حاكم ولاية اسبانيا وبعض القادة الاخرون وهزم ضد اكس على يد روفوس القائد الرومانى لمنطقة جرمانيا ولكن لم يستطيع هذا القائد ان يوقف الثورة التى امتدت الى جنو واخيراكتب نيرون نهايته بجهنه وخيانة الحرس البرويتوى وانتحر ولم يتم عملية الانتحار فتقدم احد محرريه فساعده على اخماد الخنجر فى رقبته .

وبصرع نيرون انتهى حكم فرع الاسرة البولية الكلودية وبعد ذلك اتى على روما عام يعرف باسم عام الاباطرة الاربعة ٦٨ / ٦٩ اذ شهد هذا العام تولية اربعة اباطرة اختا كل منهم طائفة من رجال الجيش .

عام الاباطرة الاربعة ٦٨ / ٦٩ :

أ – جاليا سنة ٦٨ ساتو Otto من يناير الى ابريل سنة ٦٩ .

ب – فيتللوس Vitallius من ابريل الى ديسمبر سنة ٦٩ .

جـ – فسيا سبانوس ديسمبر سنة ٦٩ اعترف بمجلس الشيوخ ودخل روما فى سنة ٧٠ واهية هذا العام انه ابرز حقيقة هامة وهى ان الحرس البريتورى لم يعد وحده العامل المؤثر فى الوقف بل اصبح فى امكان جيوش الامبراطورية حينما تعسكر ان تعلن تأييدها لامبراطور معين ينتزع السلطة من الامبراطور الحاكم فى روما كما أن اختيار الاباطرة الجدد يظهر انه ليس بالضرورة ان يكون الامبراطور من ابناء روما نفسها .

فسباسيان وابنه الامبراطور تيتوس من ٦٩ / ٨١ .

(حكم اسرة الفلافين) نسبة الى عشيرة فلافيوس

أولاً : الامبراطور فسباسيان :

لم تكن مهمة حكم روما بعد الاضطرابات السابقة حكما سهلا فقد ورث فسباسيان ازمتين خطيرتين اولهما ثورة قامت فى بلاد الغال والثانية ثورة اليهود فى بهوذا (Jodio) ولكن فسباسيان بما اوتى من صفات وكفاءة استطاع ان يتخلص من النتائج التى ترتبط على هاتين الثورتين واعداد النفوذ الرومانى وهيبة روما الى بلاد الغال والمانيا وترك لابنه تيتوس عملية اكمال حصار اورشليم ونجح تيتوس بالفعل فى مهمة فى سنة ٧٠ ق . م وشيد فى روما قوس بسجل تيتوس على بهوذا .

نجاح فسباسيان فى ادارة الامبراطورية :

كان أول امبراطور لا ينتمى الى أسرة النبيلة القديمة فهو مواطن لمدينة ريتاى (Reate) وهى بلد من البلديات الايطالية وكان ابواه من طبقة الفرسان ولكنه استطاع ان يصل الى عضوية مجلس الشيوخ واتخذ لقب قيصر الذى اصبح يدل على ان صاحبه يشغل منصب الامبراطور اكثر منه دلاله على اسم اسرة بعينها (وذلك ليوجد نوعا من الصلة مع الاسرة اليولية الكلوديه التى تنتمى بالفعل الى اسم قيصر) وفضلا عن ذلك سن تقليدا جديدا باضافة لقب امبراطور فى اول الاسم الامبراطورى وكان خلفاء اوغسطس باستثناء نيرون قد تجاهلوا استعمال هذا اللقب ولم يكن فسباسيان بالعبقرى ولكنه رجلا متواضعا عاملا مجدا واسع الصدر قائد اكفا يحترم مهنة الجندية وكان فى نفس الوقت خبيرا فى الشئون المالية وتقلد منصب الكينسور (الرقيب) فى سنة ٧٤ واشرك ابنه معه فى هذا المنصب (تيتوس) وفى هذه السنة امر بإصدار احصاء عام فى الامبراطورية (تعداد سكان) ويلاحظ ان الامبراطور اهتم بتعيين اعضاء جدد فى مجلس الشيوخ بدلا من اولئك الاعضاء الذين قتلوا فى فترة الصراع على السلطة كما أنه توسع فى منح الحقوق الرومانية للشخصيات الممتازة فى الولايات وجعل من حقهم ان يختاروا اعضاء فى مجلس الشيوخ الرومانى وكذلك توسع فى منح الحقوق اللاتينية للعناصر غير الرومانية فى اسبانيا وذلك تمهيداً لاستكمالهم الصبغة الرومانية فيما بعد .

ولم يشأ فسباسيان ان يقلل من شأن مجلس الشيوخ فاحتفظ باختصاصاته القضائية ولكن فى الوقت نفسه اشعر المجلس ان الامبراطور السيد الحقيقى للدولة وعمل على ان يعود الاطمئنان الى نفوس اعضاء المجلس وقف عمليات التبليغ والوشايات ومقاومة المبلغين (المخبرين) وعود المجلس نفسه على تقبل الوضع الجديد بحيث أنه يمكن ان يقال ان بعض اعضاء المجلس ليس الامبراطور كانوا مسئولين عن اى خلاف حدث من المجلس وبين الامبراطور وحدث ان احد اعضاء المجلس وهو برسكوس Priscus وكان رواقى المذهب نظم عبادة لكل من بروتس وكانوا الصغير (من زعماء روما فى عصر الجمهورية) وذلك رغبة فى احياء بعض المظاهر التى تذكر الناس بعصر الجمهورية وقف من فسباسيان موقف عدائيا وتطرف في عدائه له متعمدا سبه واهانته فى المناسبات العامه مستغلا صبر الامبراطور وعدم رغبته فى اصدار احكام الاعدام واخيرا اضطر الامبراطور الى نفيه خارج ايطاليا ولما لم يتوقف عن تآمره لم بإعدامه .

وارد ان يحمى المجتمع الرومانى مقام الاتجاهات غير المقبولة عند الفلاسفة من اصحاب المذهب السلبى وكان هؤلاء الفلاسفة لايرحبون بوجود اى حكومة منظمة قوية وفعلا اصدر الامبراطور امرا بنفيهم وبنفى المنجمين منهم .

وكان على الامبراطور أن يعالج عدد من المشكلات الهامة تاتى على رأسها دون شك المشكلة المالية التى نشأت عن سفة الاباطرة السابقين واسرافهم الذى لا مبرر له مما ادى الى ن تنضب مواد الخزانة والى ارهاق الولايات وذكر ان الامبراطور كان فى حاجة الى مبلغ يساوى ما قيمته الفامليون من دولار (٢٠٠٠ مليون دولار) وهذا المبلغ كبير دون شك ويحتاج الى تفسير ولكن هناك من معلومات كافية تسمح بمناقشة هذا القول والذى يهمنا فى الامبراطورية عمد الى فرض ضرائب جديدة مع الاقلال ما امكن عن المصروفات الدولة ونجح فعلا فى انقاذ الخزانة كما أنه اتفق مبلغ طائل فى انشاء مبانى ضخمة فى ايطاليا والولايات واعاد بناء معبد الاله جوبتر الكابيتولينى الذى كان قد دمر فى فترة الصراع مع فيتلليوس ووجد ان من مهمة الدولة الاتفاق فى مجال التعليم فرتب رواتب لمعلمى الخطابة من الاغريق فى روما .

المشكلة الثانية :

وهى اعادة النظام والطاعة الى صفوف الجند وقد لمس الامبراطور أن ولاء الفرق لمساعدة امر غير مأمون العواقب كما تبين ذلك فى ثورة الفرق المرابطة فى المانيا لذلك رأى الامبراطور ان يقتصر اختبار الجند على جماعات المواطنين فحل صرح الفرق الاربعة فى جهة الراين واستبدالها بفرق جديدة وكذلك فعل بالنسبة للحرس امبريتورى فاعاد تكوينه علىاساس اختيار جند من العناصر الايطالية بدلا من الاعتماد على جند الفرق وعين ابنه تيتوس قائد او (بربتكتوس) لهذه الحرس .

المشكلة الثالثة :

تنظيم الولايات والاهتمام بالحدود :

تمثلت كفاءة الامبراطور وامانته فى طريقة اختيار الموظفين الذين عينوا لمباشرة الحكم والعمل فى الولايات اذ ان الامبراطور شعر بان عملية مسئولية قبل سكان الولايات والحد من المظالم التى طالما اشتكى منها سكان هذه الولايات وفى رايه ان نيرون تجاوز حدوده عندما منح بلاد اليونان حريتهما فاعادها مرة اخرى كولاية تابعة لمجلس الشيوخ وكذلك اخضع سردينيا وكورسكا لحكم الامبراطور المباشر وأنشأ ولاية جديدة فى اسيا الصغرى ويبدو ان هدفه من ذلك التنظيم الدفاع عن حدود الامبراطورية وفى عهده نجح الرومان فى ان يدمجوا حكمهم فى بريطانيا بالتقدم الى شمال نهر الهمبر والتوسع فى جنوب ويلز .

ونتيجة لسياسة الامبراطور الجديدة زاد اقبال القبائل الجرمانية على اصطناع بعض العادات الرومانية وضم الى الامبراطورية المناطق الواقعة بين نهر الراين والى الدانوب وذلك ليسهل عملية الاتصال بين الجيوش الرومانية المرابطة فى المانيا وفى ولايات الدانوب .

وفى الشرق دعم جهة نهر الفرات امة ولاية جديدة وتوزيع الحاميات فى المواقع الاستراتيجية على الطريق المؤدية الى ارمينيا ووسع من حدود ولاية سورية وجعلها تمتد شرقا لتضم مناطق جديدة من بينها بالمسير (تدمر) مركز التجارة والقوافل .

وكذلك بسط الأمن والسلام فى شمال افريقيا بقمعة ثورة قبائل الجرمانتيز (الجرمانيين) فى جنوب ليبيا كما نجح نتيجة لهذا العمل فى أن يبسط السلام فى المناطق الواقعة فى جنوب خليج سرت (فى ليبيا) .

ثانيا : الامبراطورتيتوس من ٧٩ - ٨١ :

عندما توفى فسباسيان كان تيتوس قائد للحرس البرتورى ومتقلدا لسلطة الاميرية والسلطة والتربيوتيه كزميل لوالده ولذلك كان من السهل اتخاذ الاجراءات المناسبة ليخلف والده على عرش الامبراطورية واظهر فى الواقع كفاءة ممتازة فى تلك المدة القصيرة ويبدو انه كان مستقلا عن سياسة والده اذا استمر ينسج على منواله فقاوم اعمال المخبرين ورفض عتاب المتآمرين ضده وكان كريما غير انه كان متهما بامر الخزانة ومالية الدولة .

وفى عهده حدثت كارثتان :

اولهما سنة٧١ عند ماثار بركان فيزوف الذى دفن مدن بومبى Pompei وميركولانيوم Merca lonus وستابى Stapi بالقرب من خليج نابلى تحت كثيفة من (الرماد والحمم البركانى " للافا ") .

اما الكارثة الثانية : فهى الحريق الذى اصاب روما مرة اخرى واستمر ثلاثة ايام دمرت اثناءه كثير من المبانى وخاصة معبد فسباسيان الجديدة الذى اقامه للالهة جوبتروميات الامبراطور بالحمى فى سبتمبر سنة ٨١ وحزن عليه العالم الرومانى كله حزنا عميقا وخلدت ذكراه بوصفه الامبراطور المثالى والحاكم الذى بذل كل ما يستطيع لرفاهية الامبراطورية وقد امر مجلس الشيوخ بتاليهة كما فعل بالنسبة لوالده فسباسيان .

فتزويد روما بالمياه النقية وفى الوقت نفسه اعاد تشييد المبانى التى دمرت فى الحريق من بينها معهد جوبتر والمكتبات العامه التى كان يهتم بها اهتماما شخصيا .

وبالرغم مما قيل عنه فأنه كان حاكما كفأ كفل لها جهاز اداريا قائما اساسا على الكفاءة ومع الاهتمام بامر الخزانة التى لا شك كانت قد ارهقت اكثر اعمال البناء الذى قام بها الامبراطور ومن قبله الامبراطور فسباسيان وتيتوس .

تابع الحديث عن الامبراطور دومتيانوس (بعض ملامح من سياسته الداخلية) لم يكن هذا الامبراطور مثل فسباسيان مقترا فى النواحى المالية ولكنه مع ذلك اولاها اهتماما كبيرا ومما يعرف عنه انه امر بالتجاوز عن ضرائب امتنع اصحابها عن دفعها لفترة خمس سنوات ولكنه اصدر اوامر بوجوب تحصيل الضرائب كاملة فى المستقبل مهما كانت الظروف - الامر الثانى ان الامبراطور اتهم بان الحافز له على اضطهاد اعضاء مجلس الشيوخ هو الرغبة فى مصادرة املاكهم ولكن ليس هناك من دليل على ان هذا هو السبب الحقيقى فى اضطهاده لاعضاء هذا المجلس .

ثالثاً : تميزت القوانين والتشريعات التى صدرت على عهده بانها كانت مزيجا من القوانين الرومانية القديمة التى لم تعد تلائم مقتضيات العصر ومن القسوة البالغة التى لامبرر لها فيكون دومتيان بذلك قد سار على نهج بعض الاباطرة الذين يتعلقون بأهداف الماضى .

رابعاً : حاول دومتياس ان يخلص المجتمع الرومانى من كل مظهر لا يتفق مع الفضيلة وإن كان هو شخصيا متهم فى سلوكه الخلقى لذلك امر باتخاذ اجراءات معينة من بينها مثلا منع العروض المسرحية التى تمثل الشخصيات بطريقة هزليه وتستخدم فيها النكات الخارجية عن الذوق العام - وأمر باعدام كل من شرط فى عزريتها من الكاهنات عن عزارى الربه فستا وهى ربه الناس وكذلك حد من عملية تحرير العبيد حرصا على المجتمع الرومانى بأن وضع قيودا شديدة تجعل عتق العبد عملية صعبة

خامساً : بالرغم من أنه اعتمد على جهاز من الجواسيس او المخبرين التابعين له شخصيا الا أنه لا يتسامح على الاطلاق مع اى مبلغ يرفع اليه وشاية كاذبة . وهكذا استطاع ان يوفر بعض الضمانات للمواطنين واصبحت العدالة تسير سيرا طبيعيا ولا يقع القضاء تحت تأثير الرشوة او الحزبية .

سادساً : اتخذ بعض الاجراءات لانصاف صغار المزارعين بمنحهم نصيبا من الارض التى لا يمتلكها احد .

سابعاً : اراد ان يكثر من الاراضى التى تزرع القمح وذلك بالحد من التوسع فى زراعة الكروم ولكن فى راى الخبراء الزراعيين فى عهده ان هذه العملية غير مرسسة على

اساس سليم .

السياسة الخارجيه :

أولاً : استمر دومتيانوس فى السياسة التى وضع اسسها فسباسيان (والده) وهى انعاش الولايات عن طريق اختيار اكفأ العناصر لحكمها وكذلك نفذ سياسة ابيه فيما يتعلق بنشر الحضارة الرومانية عن طريق توفير الأمن والاطمئنان لسكان هذه الولايات .

ثانيا : فيما يتعلق بمشكلة الدفاع عن الحدود لم يخرج دومتيانوس كثيرا عن القواعد التى سنها اوغسطس وهى تتلخص فى المحافظة على الوجود الرومانى فى مناطق الحدود التى ينبغى ان تتفق مع الحدود الطبيعية الى جانب عدم التوسع لذلك فأنه اتبع سياسة تتلخص فى المحافظة بكل قوة على حدود الامبراطورية ودفع الخطر عنها مهما كلفه ذلك من تضحيات وقد يتهمه خصومه بأنه كان يريد ان يحقق نجاحاً عسكرياً يسند به حكمه اوتوقراطى ولكن ايضاً هذا الاتهام غير دقيق .

١ - فى افريقيا :

فى شرق ولاية طرابلس (ليبيا الحالية) كانت هناك قبائل قوية تعرف بأسم نساموتس Nasamones وكانت لا تقيم فى منطقة بعينها بل تتنقل حسب المواسم فمرة تذهب الى الدواخل وتارة تعيش على الساحل وكانت تشكل خطر على السفن التى تسير حذاء الساحل وعلى القوافل التى تسير فى الداخل والنتيجة انهم شكلوا خطراً على حدود الامبراطورية وهددوا بعزل مناطق النفوذ الرومانى فى منطقة ليبيا - وكذلك ضاقت هذه القبائل بالقيود التى وضعها جباة الضرائب على تنقلاتهم لأن جباة الضرائب من مصلحتهم ان تستقر هذه القبائل فى مكان ثابت ومن ثم ثارت على الحكم الرومانى فأرسل الامبراطور جيشاً قوياً استطاع ان يقضى عليهم فى عام ٨٥ : ٨٦ م وكذلك شدد الامبراطور الهجوم على القبائل الرعوية فى مورتانيا التى قاومت سياسة الادارة الرومانية فى الإكثار من الغابات على حساب الراعى .

٢ - في بريطانيا :

كان الهدف من التوسع العسكرى فى بريطانيا هو تامين سلامة الولاية الرومانية ولكن القائد الرومانى اجريكولا الذى حكم هذه الولاية من عام ٧٧ : ٨٤ استطاع ان يمد الزحف الرومانى الى اسكتلندا وقبل ان يقدم على غزو ايرلنده استدعاه الامبراطور الى روما .

٣ - جهة الدانوب والراين :

ادرك الامبراطور انه لا بد ان يشدد قبضة الرومان على منطقة الحدود فى هذه الجبهة وكان مصدر الخطر هم قبائل الشمالية ، وقاد الامبراطور جيشا عبربه نهر الراين ووفق الى حد كبير فى معاركة ضد هذه القبائل واحتل منطقة لا يأس ،، بها تقع بين نهرى لان Lahn والماين والتى تمتد حتى جبال تاولس واتبع ذلك فى اقامة سلسلة من الحصون وابراج المراقبة لحماية المنطقة وذلك فى عام ٨٣ ميلادية ولكن هذه القبائل انتهزت فرصة ثورة القائد الرومانى ساترنينس Saturninus ضد الامبراطور فجددوا نشاطهم وما ان اخمدت الثورة فى عام ٨٩ حتى عادت الجيوش الرومانية للسيطرة من جديد على منطقة الحدود واضطر دومتيانوس حرصا منه على عدم تكرر تجربة هذا القائد ان يضع اكثر من فرقة عسكرية فى المعسكرات الدائمة التى تنام فى منطقة الحدود .

ولضمان استقرار اكثر فى منطقة الحدود فصل الادارة المالية للولايتين الرومانيتين عن ادارة ولاية جاليا بلجكا وكذلك اقام خطا من المراكز الحصينة فى المنطقة الممتدة من أعلى الراين حتى الدانوب وذلك ليقصر من عملية المواصلات وتدعيم الدفاع عن الجهة وعبر الدانوب الاوسط والادنى مجموعة من الشعوب القوية لم يصادف دومتيانوس نجاحا كبيرا فى مواجهتها وهى قبائل ماركومانى Marccmamini وقبائل الكيادئ Qiadi وهى قبائل جرمانية تعيش فى اقليم بوهيميا ثم هناك قبائل الازاجوس Lazxgus بين الدانوب ونهر زايس thies وشعوب الداكيين وكانت هذه الشعوب الاخيرة اشد القبائل المقيمة على حدود الامبراطورية خطورة واكثرها نظاما وكن

يحكمها ملك قوى استطاع فى عام ١٨٥ ان يعبر نهر الدانوب فى ولاية ماليزيا Maelze حيث قتل الحاكم الرومانى واضطر الامبراطور ان يأتى بنفسه ليعد هذا الهجوم ونجح فى دفع القبائل الى ما وراء نهر الدانوب ولكن الجيش الذى ارسله لتعقبها فنى مع قائده وفى عام ٨٨ امكن للجيش الرومانى ان يستعيد مكانته فى منطقة هذه القبائل ولكن لشعوب الا رى وهى السالفة الذكر تحالفت ضد رسيا فجاء الامبراطور مرة اخرى واوقع بهم الهزيمة واخيرا ايقن انه يستطيع عن طريق التفاهم والدبلوماسية ان يتخلص من التهديد الذى يأتيه من منطقة نهر الدانوب فعقد صلحاً مع ملك اكيين وتسلم الاسرى الرومان مقابل اعتراف الملك بسياقة الرومان رسمية على اى حال فان الامور لم تعد الى وضعها الاول من الهدوء الا فى عام ٩٣ وستثبت الاحداث المقبلة ان تسوية دومتيانوس لم تضع حدا لخطورة القبائل التى ستصبح خطرا مسلحاً يهدد حدود الدولة الرومانية . على أى حال فان موليزيا قسمت الى ولاتين العليا والسفلى .

مصرع دومتيانوس اشتدت حركة العداء ضد الامبراطور خاصة آخر ايامه وكثر اتهام المواطنين بانهم يكنون له البعض والكراهية وطبيعى فى مثل هذه الظروف أن يعمل بعض خصومه الى احاله المؤامرات للفتك به من قبيل الدفاع عن النفس ومكان من بين المؤامرات مؤامرة دبرتها زوجته دونيتيا – وقائد الحرس البريتورى ٦ سبتمبر عام ٩٦ سقط الامبراطور نتيجة طعنة خنجر من قاتله وراحت تلاحقة لعنات مجلس الشيوخ الذى امر بعدم تخليد ذكره بل امر يرفع اسمه على المبانى العامه وما اليها .

تقد نظام البرنكبس
نظام البرننكبس بين النظرية والتطبيق العلم (نقد النظام)

====================

عند وفاغة دومتتانوس كان قد مضى على نظام حكم البرينكبس (المواطن الاول) ١٢٣ عاماً وخلال هذه الفترة باستثناء فترات من عامى ٦٨ ، ٦٩ (عام الاباطرة الاربعة) كان منصب البرنكبس وقف على اسرة اليوليين الكوليين (يوليوس كلوديوس) التى ضمنت سلالة اوغسطس القرابة او التبنى او الفلافيين وهى الاسرة التى اسسها فسباسيانوس وهذا يعكس مدى

التماسك الاسرى التى يجمع افراد الاسرة على الولاء لشخص الامبراطور – كما يعكس من ناحية رغبة البرنكيس فى أن يخلفه فى الحكم بعض ابناءه وبذلك يستطيع ان يؤسس اسرة حاكمة وقد تكون هذا هو عبر عنه فسباسيان بقوله اما ان ينتهى منصب البرنكيس الى ابنائه واما لا يخلفه من لحد فى هذا المنصب – وازاء هذه الاتجاهات يصبح البحث عن حق مجلس الشيوخ فى ممارسة سلطته فى لختيار شخص البرنكيس غير ذى موضوع لذلك فان دور مجلس الشيوخ لم يتعدى منح الامبراطور السلطات القانونية وخلع القاب الشرف عليه فى حين ان الامبراطور كان من اختيار قوة خارجة عن سيطرة المجلس ولكن الاخذ بمبدأ الوراثة او الاصرار على ان يكون الحكم من اسرة يعنيها رفع عرش الامبراطورية اشخاصا غير جديرين بالمنصب مثل جايوس ونيرون ودومتيانوس الحاكم الاوتوقراطى النزعة بالرغم من أن نيرون كان امبراطورا مرهف الحس محبا للجمال مقدرا لاهمية الثقافة والحضارة وثمة نقطة ضعف لخرى خطيرة فى نظام البرنكيس هو عدم وجود طريقة دستورية للتخلص البرنكيس اذا اساء التصرف ذلك ان سلطاته كانت لمدى الحياة وطالما انه متمتعا بتأييد الحرس البريتورى والاجهزة العسكرية فى الدولة ففى استطاعته الاحتفاظ بمنصبه وتحدى خصومه وهذا يفسد تلك المؤامرات الكثير التى استهدفت القضاء على شخص الاباطرة .

ان الفرق العسكرية كما حدث فى عام ٦٨ / ٦٩ خاضت تجربة فى محاولتها فرض حاكم بعينه على الامبراطورية الرومانية حتى ان أى رومانى يحس بالمسئولية كان عليه أن يفكر أكثر من مرة قبل الإقدام على تجربة مماثلة نظرا لأن عام الاباطرة الأربعة اعاد الى روما الحرب الاهلية بكل ضراوتها ومع كل هذه العيوب فأن هذا النظام ضمن مستوى معين من الكفاءة والعدل وهذا المستوى اصبح امرا ضروريا وشرطا اساسيا يجب توافره فى شخص البرنكيس فاذا فشل فى الوصول اليه حياته تتعرض للخطر دون شك ويجب لن تتذكر فى هذا المجال أن ارعسطى سن لحلفائه حدا ادنى يجب عليهم مراعاته اذا ما حاولوا الاستمرار فى النظام الذى اقامه ويجب لن تذكر ايضا ان مجلس الشيوخ يعتبر المعبر عن حقيقة مشاعر الطبقة الحاكمة والعناصر الممتازة فى الدولة فعندما امر بتاليه كل من كلوديوس وفسباسيان وتيتوس بعد وفاتهم فأن هذا يعتبر دليلا على أنهم حكموا حكما دستوريا مستنير وعندما لطخ المجلس سمعة كايوس ونيرون ودومتيانوس فان هذا يعنى ان حكمهم لم يكن دستوريا بأى حال من الأحوال وعندما لعن المجلس

كل من تيبريوس وجالفا واوتو وفتليوس بدون ان يأمر بتأليهم او بأمر اسمائهم فان هذا يعنى ان مجلس الشيوخ لم يكن على استعداد لأن يدينهم بصفة عالمية ويعنى انه يرفض الموافقة على اعتبارهم حكاما صالحين .

واخيراً كان يتحكم فى موقف مجلس الشيوخ نوع التقييم الذى يقيم به الأباطرة وطريقة حكم كل منهم وهنا يتصارع بشكل واضح رأيان متعارضان :

أولاً : يعتبر ان منصب البرينكيس وظيفة عامة يشترط فى شغلها ان يكون الأول من المواطنين ومعنى هذا ان هناك حدود لا يجوز له ان يتعداها بحكم القانون وعليه ان يحكم مراعياً التقاليد الرومانية الراسخة التى توارثتها الأجيال الرومانية وهذا كان موقف كل من اوغسطس وتيبريوس وكلوديوس وفسباسيان وتيتوس .

ثانياً : فيتخلص فى أن منصب البرنكيس انما يشغله حاكم اوتوقراطى فى يده السلطة العليا ومجلس الشيوخ وكل الموظفين العموميين ما هم الا مرؤوسين له ومن حقه تجاهل العرف والسادات لانه ليس بموظف بالمعنى الرومانى المألوف ولكنه ملك من ملوك العصر الهلينستى وهذا يفسر سلوك كل من جايوس ودومتيانوس الذين طلبا الاعتراف بعباداتهما كآلهين ومن الممكن ان تعتبر نيرون حاكما من هذا النوع بالرغم من أنه لم يلح كثيراً فى فرض عبادة على المواطنين الرومان .

• وبالنسبة لمجلس الشيوخ الرأى الأول هو الاصوب اى الحاكم موظف يباشر سلطاته فى حدود الدستور والقانون . أما الرأى الثانى بالمجلس يرفضه على طول الخط وهذا يفسر مقاومته للأباطرة الذين سلكوا مسلكا اوتوقراطيا ويفسر الاضطهاد الذى حاق بالمجلس على عهدهم وعلى اى حال فأن منصب البرنكيس حقق لروما والامبراطورية نفعاً عظيماً ولا يمكن بحال العودة الى انظمة العصر الجمهورى بدون ان تكون هناك نفس الظروف التى اقترنت بها .

فترة جديدة من تاريخ الامبراطورية

من عام ٩٦ الى منتصف القرن الثالث تقريباً سنة ٢٣٠

من الممكن ان تقسم هذه الفترة الطويلة بين وفاة الامبراطور دومتيانوس عام ٩٦ ووفاة الامبراطو سيفروس اسكندر فى عام ٢٣٥ فترتين :

الفترة الولى :

بين عام ٩٦ ووفاة الامبراطور ماركوس اورليوس عام ١٨٠ وتتميز هذه الفترة بأن الامبراطورية الرومانية وصلت اثناءها الى اقصى اتساع واقترن ذلك بزيادة عدد السكان والرخاء المادى والذى تمتعت به روما والولايات وهذا يرجع الى نجاح الاباطرة فى تحقيق السلام فى شتى ارجاء الامبراطورية ونجاح الحكومة الامبراطورية فى ارساء قواعد الحكم الصالح حتى ان هذه الفترة تسمى بالعصر الذهبى للامبراطورية الرومانية لأنها لن تكرر مرة اخرى على النحو الذى كانت عليه الامبراطورية فى تلك الفترة .

الفترة الثانية :

فان الامبراطورية مرت بفترات اضطراب وعدم استقرار نتيجة للمظالم التى ارتكبت سواء فى روما او فى الولايات وتجدد الحرب الاهلية بين جيوش الامبراطورية والمتاعب الاقتصادية ثم تلك الازمة التى نشبت عن هذه العوامل مجتمعة والتى نشبت أيضاً عن ضغط الشعوب المتبربرة على حدود الامبراطورية ومصادرنا عن هاتين (الادبية) قليلة مثلا ديوكاسيوس الذى ينتهى تاريخه بعام ٢٢٢ والذى كتب عن هذه الفترة لم يبق من كتابية الاخرين ما يكفى صورة صحيحة عن الامبراطورية وهناك ايضاً كاتب اغريقى آخر هو شيروديان Heradisn الذى كان معاصراً لهذه الفترة التى نبحث فيها وكتب احداث وقعت بين عامى ١٨٠ ، ٢٣٨ ولكن ركز اهتمامه على حياة الاباطرة مبتدئا بحياة الامبراطور هدريان وجمع مادة لا قيمة لها وأن كان من الممكن القول

انها تستند الى مصادر صحيحة ثم هناك وسائل الكاتب بلينى الأصغر Bliny وهى عبارة عن ملاءاته مع الامبراطور تراجان خلال حكم هذا الكاتب لولاية بثينيا Bithynis بين عامى ١١١ ، ١١٣ ولذلك من الأفضل الاعتماد على النقوش وأوراق البردى والنقود والمخلفات المادية من مبانى وغيرها وهى كفيلة بأن تعطى صورة طيبة عن حضارة الامبراطورية الرومانية .

الامبراطور نيرفا Nerfa ٩٦ : ٩٨ .

قبل أن يدير قتله دومتيانوس مصرعه كانو قد اختارا خلفا له ماركوس نيرفا وذلك حين يضمنوا ان مجلس الشيوخ لن يعترض عليه فهو عضو من أعضاء المجلس البارزين بلغ من العمر ستين عاما وينتمى من بعيد الى اسرة البوليين والكلوديين ثم انه اكتسب شهرة واسعة فى الحياة السياسية ولكن لم تكن له أى خبرة فى مجال الحرب والقيادة العسكرية ونعرف ان خبرة الامبراطور فى المجال العسكرى تستطيع ان تضمن له طاعة الجند مثلما كان الحال بالنسبة لدومتيانوس بالرغم من مساوءه وفى ذلك عندما مارس مجلس الشيوخ سلطته الكاملة فى تعيين نيرفا وتفويضه سلطات واسعة لم يحدث اى اعتراض من قبل الجيوش الرومانية فى الولايات اومن قبل الحرس البريتورى فاذا يكون نيرفا بشخصيته الممتازة قد حصل على تأييد الولايات من طبقة الشيوخ الى جانب انه ضمن ولاء الجند ثم ان نيرفا تأكيدا منه لاتجاهه نحو اقرار القانون ولكسب مزيد من تاييد طبقة الشيوخ اقسم انه لن يصدر اى حكم بإعدام اعضاء مجلس الشيوخ وبايقاف العمل بالقوانين الخاصة بالخيانة العظمى وقرن ذلك بأن اعاد الى روما نفر من السياسيين الذين نقوامنها فى العهود السابقة كما اعاد اليها الفلاسفة وسمح لأولئك الذين اضيروا نتيجة لوشاية المبلغين ان ينتقموا لأنفسهم فلما تجاوزوا الحد المعقول تدخل الامبراطور ليمنع حد لتصرفاتهم المتفرقة .

وكان من الطبيعى ايضاً ان يعمل الامبراطور فى أن يجعل ايطاليا تحس بأنها على ابواب عهد جديد من ذلك أنه توسع فى منع قرارات الاعفاء من دفع ضريبة الخمسة فى المائة على التركات كذلك عمل ان يدخل الطمأنينة الى نفوس المواطنين بأن يجعل الهيمنة فى جباية الضرائب لخزانة الدولة بدلا من أن تترك المسألة فى يد افراد قد يسيئون التصرف نتيجة لجشعهم ثم سن .

قانونا يمكن ان نسميه بقانون الاصلاح الزراعى ليكفل توزيع القمح والغذاء على المواطنين الفقراء وفضلا عن ذلك خصص جانبا من موارد الدولة لسد حاجة المزارعين المعوزين .

ويبدوا ان هذه الفكرة نالت نجاحا حتى ان الاباطرة من بعده توسعوا فى تطبيقها بحيث يمكن ان يقال ان نيرفا ادرك ان الدولة مسئولة عن جميع مواطنيها وخاصة الفقراء .

يبدو أن النظم الدستورية والامانة التى اداربها الامبراطور شئون الامبراطورية واحترامه للقانون لم يفلح فى أن يفرض الحرس البريتورى التزام سياسة قائمة على احترام الاوضاع القانونية لذلك لأن هذا الحرس أقتصى لنفسه من قتلة دومتيانوس ما جعل فترة حكم نيرفا تتصف بأنها لم تعطى لنظام البرينكيس الهيبة الكاملة وكان ينبغى على هذا الحرس ان يلائم بين سلوكه وبين الروح العامة التى اراد نيرفا ان تسود فى روما بعد عصر دومتيانوس .

وتبين لمجلس الشيوخ ان هذا الامبراطور السن الذى لم ينجب ولدا لن يستطيع ان يضمن استقرار الامور من بعده الا اذا اتخذ منذ الان شخصا يستطيع ان يطمئن أنه سيسير بالامبراطورية فى طريق السلام لذلك عملا بنصيحة مجلس الشيوخ تبنى شخصية ممتازة عرف عنها الامانة والكفاءة فى شتى المجالات العسكرية والإدارية وهو ماركوس ليبيو تياجانوس Tiaganus (تراجان) وهو جندى مجرب كان يقود القوات الرومانية فى المانيا العليا ويستطيع ان يتحدى الحرس ويفرض عليه الطاعة ومنحة المجلس لقب قيصر ومنحت سلطة الامبريوم التى جعلت منه فى الواقع وميلا للامبراطور وذلك بالإضافة الى سلطة التريبيونية .

مات نيرفا فى ٢٥ يناير عام ٩٨ وأضاف مجلس الشيوخ اسمه الى قائمة الاباطرة الذين رفعهم المجلس الى مصاف الالهة ولكن بالرغم من كل ما حدث يجب ان تقرر حقيقتين هامتين :

اولاً : ان عهد نيرفا يسجل عودة الاوضاع الدستورية فى روما الى الوضع السليم وذلك باختيار مجلس الشيوخ شخص الامبراطور .

ثانيا : أن مبدأ الوراثة هنا لا قيمة له انما الأساس هو الكفاءة بدليل ان تراجات لم يكن اصلا من روما بل هو مواطن لمستعمرة رومانية فى ولاية اسبانيا البعيدة وهذه المستعمرة هى اتلكا Itiica .

الامبراطور تراجان ٩٧ : ١١٧

تولى العرش مباشرة بعد نيرفا وهو كما قلنا مواطن من مستعمرة ايتلكا الاسبانية البعيدة ومع ذلك استطاع فى الفترة التى كان فيها عضوا بمجلس الشيوخ ان يعطى لمعاصرية صورة مشرقة لأحد مواطنى الولايات الذين يعملون من أجل الامبراطورية جاء اختياره سابقة خطيرة باعتباره انه اول مواطن لمستعمرة رومانية فى احدى الولايات يصبح امبراطور وأن كان هذا الاختيار يثير من ناحية اخرى الى مدى ما لحق العنصر الايطالى من ضعف تمثل فى أن طبقة النبلاء الايطاليين افسحت المجال لطبقة النبلاء فى الولايات وأن الدولة من ناحية ثالثة اعترفت بالأعمال الجليلة التى يقدمها افراد الطبقة الاخيرة من اجل الامبراطورية – وكان تراجان يمتلك صفات غير عادية تءهله للمنصب الرفيع الذى اختير له فمكنه تواضعه من أن يعمل فى انسجام تام مع مجلس الشيوخ فى نفس الوقت باحترام الجنود والمواطنين على السواء وكان جنديا مشهورا بالبراعة فى التكتيك وكان اهتمامه اساسا موجهاً نحو المسائل المتصلة بالجيش وفى الوقت نفسه كان اداريا نشطاً مدركاً لمسئولياته فكان يلم بكل شئون الدولة صغيرها وكبيرها ويفصل فى كل مشاكلها بكفاءة ممتازة لانه ادرك أنه عليه ان يمسك بزمام الامور بيد من حديد لانها هى الطريقة الوحيدة لالزام الحرس البريتورى بان يعدل من سلوكه العدوانى – كذلك انصراف الى تطهير الجهاز الإدارى فقدم للمحاكمة امام مجلس الشيوخ نفرا من الذين عرف استغلال مناصبهم ولكن هذه المحاكمات كانت تجرى فى جو من احترام القانون كذلك اعاد تراجان القسم على النحو ما فعل نيرفا بالايصدرحكماً باعدام احد الشيوخ ورغب فى ان يخلص روما من بعض التقاليد التى لم تعد تتفق مع مقتضيات العصر خاصة تلك التى تتعلق بشخصه فأمر بأبطال كل الحفلات التى كانت تقام من أجله على اساس أنه مؤله وفضل أن يحكم كجندى بسيط وليس هناك ثمة داعى الى تأكيد صبغة الالوهية .

أما بالنسبة لسياسته العامة : فأننا نستطيع أن نتبين أنه سار على نهج نيرفا وخاصة فى اتباع السياسة الرحيمة نحو الفقراء فجعل اعمال البر فى البلديات عملا من أعمال الدولة وقدمت الخزانة تروضا لاصحاب الأراضى بفوائد بسيطة وكان يستخدم الاموال التى تؤول الى الدولة عن هذه الطريقة فى اعانة الفقراء اوابنائهم فى الولايات وفى نفس الوقت كان عليه ان يهتم بمسألة التناقص المستمر فى سكان ايطاليا فتنظم عملية توزيع القمح بحيث يمكن ان تشمل عدد كبيراً من ابناء الفقراء وذلك حتى يشجع الاسر الايطالية على الإكثار من النسل .

وفى الواقع أن مشكلة تناقص سكان ايطاليا كان لابد وأن تقابل بحل سريع لها و لا طغت طبقات المواطنين فى البلديات والولايات على الامبراطورية بذلك المكان الأول بدلا من الايطاليين

أما القروض التى قدمها للمزارعين فكان الهدف منها تدعيم النشاط الزراعى فى ايطاليا ووقفت الازمات الاقتصادية حتى تستطيع ايطاليا أن تقف فى وجه منافسيها من بعض ولايات الامبراطورية .

ويمكن أن نلمس مظهراً آخر فى سياسة البر والاحسان التى سار عليها الامبراطور فى محاولته انعاش مالية البلديات وخاصة تلك التى ناءت بعبىء الديون التى فرضت عليها نتيجة لسوء ادارة الحكام واصرافهم فى انشاء المبانى العامة لذلك عين الامبراطور مندوبين عنه يحملون لقب كوراتور Curator لإرشاد حكام البلديات او ليتولوا بأنفسهم ادارة شئونها وامتد هذ التقليد الى مدن الولايات وفى بعض الأحيان كان الامبراطور يرسل بعض الموظفين لحل المشاكل الخاصة فى بعض البلديات كما فعل بالنسبة لمدن اخايا فى بلاد اليونان او كان لحيانا ينحى مجلس الشيوخ عن ادارة بعض الولايات التى ساءت احوالها ويعين من قبله حاكما عليها مثلما حدث فى ولاية بثونيا التابعة لمجلس الشيوخ عندما ارسل بلينى الأصغر لينقذ هذه الولاية من الفوضى التى استثمرت (انتشرت) فى بلدياتها . مظهراً اخر من مظاهر اهتمام برخاء الولايات .

يتمثل فى تحسين طرق المواصلات فى شتى ارجاء الامبراطورية والربط بين الولايات وبين روما بطرق معبده وذلك بترميم الطرق القديمة وانشاء عدد جديد من الطرق وكانت تهدف اصلا الى خدمة الأغراض العسكرية ولكن مالبثت ان لصبحت هذه الطرق أحد الوسائل لتنمية موارد الدولة اذ كان لها الفضل الاكبر فى تيسير نقل السلع وتسهيل عملية السعر من ايطاليا او بالعكس وتشجع ترلجان عملية تشييد المبانى العامة واهتم بإقامة عدد من الجثور والقنوات وتحسين الخدمة فى موانى ايطاليا وموانى الامبراطورية وزود المدن بمجارى لنقل المياه للشرب وشهدت روما عملية تشييد مبانى غاية فى الروعة لعل من اشهرها وأهمها فورم تراجان العظيم (سوق) وتوسع ترلجان الى جانب ذلك فى عملية توزيع الأموال مع اهتمام بتزويد روما بالقمح بكميات وفيرة وذلك بإصلاح ميناء اوستيا حيث كان يرد القمح من شتى ارجاء الامبراطورية وشجع ايضا العاملين فى صناعة طحن الغلال وصناعة الخبز وتمتعت روما فى عهده بفترة بهيجة نعل احسن شاهد عليها تلك الحفلات التى اقيمت فى عام ١٠٧ بمناسبة النصر الذى احرزه تراجان فى داكيا

Dacia اذ استمرت الحفلات التى اقيمت ١٢٦ يوماً ضمنت بمصارعات (حفلات المصارعة) بين المجاهدين (المصارعين) ما بين المصارعين والحيوانات المفترسة ... الخ .

السياسة التوسعية :

من الواضح أن تراجان خالف القواعد التى كان اوغسطس قد وضعها لسياسة الرومانى – وذلك فيما يبدو أنه واثقا من قدرته وكفاءته العسكرية فعاد الى سياسة التوسع التى كانت روما تتبعها فى العصر الجمهورى تلك السياسة المتسمة بالعدوان .

١ – وكانت منطقة داكيا Dacia هى المنطقة التى اختارها ليؤكد سيادة روما وكان الامبراطور دونتيانوس قد عقد مع ملكها ديكبالوس Dikapalus اتفاقية تنص على اعتراف من هذا الملك بسيادة روما مقابل تعهد روما بان تمده ببعض الفنيين والمهندسين لتنفيذ بعض المشروعات فى المنطقة ولكن هذه الاتفاقية لم تبرض مجلس الشيوخ واعتبرت فى روما اتفاقية لم يراع فيها الامبراطور كرامة روما والشعب الرومانى وهى من جهة النظر العسكرية الرومانية غير مرغبة لان وجود دولة قوية فى داكيا يشكل خطرا دائما بالنسبة لا من ولايات الدانوب السفلى ومن غير المعروف لنا الاسباب المباشرة التى دعت تراجان الى نقض تلك الاتفاقية والزحف على هذه المملكة فى عام ١٠١ وقد قاومه الملك مقومة عنيفة بحيث ان تراجان لم يفلح فى احراز ى نجاح فى حملته تلك .

وفى العام التالى وفق تراجان بإنتخابه اقليم داكيا وانزله هزيمة بالملك الذى لم يريد من طلب الصلح وتنازل هذا الملك عن الكثير من مظاهر سلطاته واعاد الى روما الفنيين والمهندسين الذين كانوا يعملون فى خدمته وكذلك اعاد الى روما الالات الحربية التى كانوا قد امدوه بها على عهد دومتيانوس .

وقد عاد تراجان الى روما واحتفل بالنصر وامر بتشييد جسر من الحجر على نهر الدانوب ليسهل عملية الاتصال بين .

ولم يقنع ملك داكيا بأن يظل تابعا لروما فاستأنف القتال فى عام ١٠٥ واباد الحامية الرومانية التى كان تراجان قد تركها فى داكيا للمحافظة على نفوذ روما وبادر تراجان بالزحف على داكيا وانضمت اليه القبائل التى كانت تقيم قريبا من هذا الاقليم واستولى فى هذه اللحظة على عاصمة

داكيا وانتحر ملكها وكان تراجان قاسيا فى معاملة اهل داكيا بعد هذا الانتصار الذى تم فى عام ١٠٦ فقتل الكثيرين من أهل الاقليم الذين رفضوا الاستسلام وتحولت داكيا لتكون ولاية رومانية واتى بها تراجان بمستعمرين من مختلف ارجاء الامبراطورية ووضع يده على مناجم الذهب فى هذه الولاية التى امدت روما بموارد منتظم من الذهب واستعان تراجان بهذه الثروة الجديدة على مواجهة نفقات التشييد والبناء فى روما والولايات .

المهم ان ولاية داكيا اصبحت ارتكاز للدفاع عن حدود الامبراطورية فى جهة الدانوب الى جانب انها كانت عاملا مهما ساعد على التحكم فى القبائل التبربرة التى كانت تعيش الى الشرق او الغرب من الولاية الجديدة وخلد نصره العظيم بإقامة عمود من الحجر يبلغ ارتفاعه ١٠٠ متر فى الفورم الجديد الذى يحمل اسمه .

٢ - شمال افريقيا :

استمر تراجان يمارس السياسة الرومانية فى شمال افريقيا وخاصة فى منطقة نوميديا (الجزائر) اذ تقدم بحدود هذه الولاية الى حدود الصحراء الكبرى فى الجنوب ومهد اراضى جديدة تصلح للزراعة لتشجيع استقرار بعض الاسر من سكان تلك البلاد وذلك تمشيا مع السياسة الرومانية العامه التى تشجع استصلاح الاراضى وانتزاع اكبر مساحة ممكنة من الصحراء وتحويلها الى اراضى زراعية تساعد على استقرار جماعات يشتغل اهلها بمهنة الزراعة وكان لابد من أن يوقف خطورة القبائل الصحراوية لذلك عمل على تركيز خطط الدفاع العسكرية فى بعض المناطق المتقدمة فى الصحراء مستعينا بالفرق الرومانية والمركز العسكرى المهم فى نوميديا هو Lanbssis ذات الموقع الاستراتيجى الهام والتى لاتبعد كثيرا عن مستعمرة تيباز .

٣ - بارثيا :

فى الفترة التى شغل فيها تراجان بحملات على داكيا وجد لديه وقت متسع لحل مشاكل حدود الامبراطورية فى الشرق .

فى عام ١٠٥ امر حاكم سوريا بأن يضم مملكة النبطيين التى تقع جنوب شرق سوريا وفلسطين ونظمت هذه المنطقة لتكون ولاية رومانية باسم ولاية بلاد العرب وذلك فى عام ١٠٦ وامتلاك هذه المنطقة اعطى لروما كسبا هائلا اذ تمكنت عن طريقها من التحكم فى طرق القوافل التى تصل بين ساحل البحر الاحمر وبين دمشق وموانى سوريا .

اراد الامبراطور ان يعزز وسائل الدفاع عن حدود ارمينيا ، ميزوبوتاميا (بين النهرين) وذلك بإقدامه على غزو المناطق المتاحة لهاتين المنطقتين وحانت الفرصةفى عام ١١٠ عندما اقدم ملك بارثيا على عزل حاكم ارمينيا الذى كانت روما تقوم تعيينه وعين ملكا آخر كان ينتمى الى البيت المالك فى بارثيا مخالفا بذلك التسوية التى كانت قد عقدت بين روما وبارثيا فى عهد الامبراطور نيرون .

ومما اغضب تراجان ان اهل بارثيا لجروا مفاوضات مع ملك داكيا ولذلك عمل الامبراطور على وضع تسوية نهائية تكمل ضمان أمن المنطقة وتأكيد السيادة الرومانية على اسس جديدة فقام فى صيف عام ١١٣ بغزو ارمينيا وعزل ملكها وحولها الى ولاية رومانية حكمها الامبراطو ثم زحف فى اعالى ميزيوتاميا حيث اعترف بسيادة روما بعض مناطق هذا الاقليم .

وفى الواقع كان ينبغى الا تترك هذه المنطقة فى يد البارثيين ولذلك فأن الامبراطور جولها الى ولاية رومانية كما فعل بالنسبة لارمينيا وقضى شتاء عام ١١٤ – ١١٥ فى انطاكية واضاف الى القابه الرسمية لقب (Cptimus – الاعلى – الممتاز) وفى ربيع ١١٥ قام بالزحف فى منطقة نهر دجلة وغزا المناطق المحيطة بأعلى هذا النهر وحولها الى ولاية رومانية باسم ولاية Assyris (منطقة اثور) وبذلك اصبح الطريق مفتوحا امام الرومان للوصول الى مدينة Atesifhio عاصمة بارثيا التى استسلمت بمجرد اقتراب الامبراطور منها ومن هذه المدينة زحف الامبراطور جنوبا بحرا فى نهر دجلة حتى بلغ الخليج العربى ومن هناك ذهب الى بابل حيث بلغته انباء ثورة اشتعلت فى ولايتى اشور وميزيوتاميا وعلم ايضا ان جيشا بارثيا يتقدم لتأييد الثوار وكان لموقف فى غاية الحرج والخطورة بالنسبة للرومان لان تراجان لم يمكن لاستقرار الوجود الرومانى كما كان تقدم سريعا دون ان يهتم بتوطيد حاميات رومانية فى تلك المناطق وربما تساعد على نجاح هذا الزحف السريع أن ملك بارثيا كان مشغولا ببعض المشاكل الداخلية مملكته اما الان فقد اصبح فى امكانه مواجهة الرومان والدفاع عن مملكته ولكن تراجان وقواته اثبتوا انهم اكفاء لمواجهة

الموقف واستعاد الامبراطور السيطرة على كل من شمال ميزوبوتاميا ولذلك فانه عهد بحكم المنطقة الى لحد نبلاء بارثيا الذى كان قد هجر قومه وانضم الى الرومان فتوح فى العاصمة البارثية بوصفه ملكا على بارثيا وتابعا لروما ومن ثم انسحب الامبراطور الى انطاكية ويبدو ان الذى حمل الامبراطور على الا يحاول بصورة لكثر جدا استعادة النفوذ للرومانى فى انمنطقة انها هى ثورة اليهود للتى بدأت فى برقة فى عام ١١٥ – وامتدت بسرعة الى كل من قبرص ومصر وفلسطين وأرض للجزيرة وتحولت الثورة من مجرد صدام محلى الى اتحاد سافر لقوة روما وسيادتها ولذلك فان الامبراطوروجد لزاما عليه ان يخمد هذه الثورة بأسرع ما يمكن فنصرف اليها بكل امكانياته ونجح فعلا فى هذه المهمة فى معظم المناطق بحل كلها ماعدا مصر اذا استمر القتال مع اليهود فى عهد خلف الامبراطور هادريان .

فى لوائل عام ١١٥ كان الامبراطور قد اعد العدة لغزو منطقة ميزيوتاميا تدعيما لحكم ملك بارثيا لكن المرض فاجأه فذهب الى انطاكية ومنها الى روما ولما اشتد عليه اوصى قائد بالتبنى عرف بالخبرة العسكرية الممتازة وكان يتصل به عن طريق المصاهرة هو هادريان الذى تولى الحكم بعد تراجان وهكذا قضى هذا الامبراطور الذى اشاع فى روما شعورا بالحكم العادل المستنير واستحق لقب برنكبس اوبتيموس وترك فى اذهان معاصريه صورة مشرفة للحاكم العادل الرحيم .

رسالة بلينى الاصغر الى تراجان :

لقد اخضعت نفسك للقانون للذى وضع قيصر اسمه والذى رطها شخص البرنكيس بالدولة وحدد مسئولية ولكنك لم تمضى فى انضيف الغ حقوقك المزيد ولكننا نحن الذين كما نرغب فى ، نمنحك من الحقوق اكثرها والتى لا سمع لاول مرة واعلم للمرة الأولى ايضا ان القوانين فوق البريكيس او شخص البرنكيس وليس البرنكيس فوق القوانين .

وما ان غرب اول يوم ايام قنصليتك عندما دخلت مجلس الشيوخ وطلب الينا بان نيتعيد حريتنا وان بواجهاتنا كشركاء فى ادارة شئون الامبراطورية وأن نتحدث بينك وبيننا حديثا صريحا وأن نراقب الشئون العامة للدولة وكل الاباطرة قبلك قاموا بنفس الشىء لكنهم لم يؤمنوا بحرف

واحد مما قالوا ونحن نتبعك لا عن خوف بل اننا لسعداء فى أن نسير ورائك حيثما تدعونا قد امرتنا ان نكون احرار وهكذا سنكون وقد امرتنا بأن نعبر عن رأينا بحرية تامة وسنفعل لا عن جن ولكن عن اقتناعك من جانبك بما ينبغى ان يكون الحاكم وليس بقازنا صامتين حتى الآن الا ان النزاع والخوف قد قتل فينا الحكمة والصواب وجعلنا نصرف اعيننا واذ اننا وازهاننا من الدولة ولكننا اليوم ونحن نستند الى وعودك قررنا ان نفتح شفاهتنا التى ظلت مغلقة لفترة طال فيها استبعادنا وسوف نعلق السنتنا التى كانت شفت نتيجة لتلك المساوى الكثيرة التى مارسها اسلافك .

هنا صورة لابى الدولة او لوالد الشعب كما رأيتها واضحة فى اقواله وطريقته وخاطبته لابناء روما أن لافكاره وزنا اى وزن وكلمات اصلية ايما اصاله وصوته منعم بالحماس والرهبة ووجهة يحمل ملامح من العزيمة والتصميم (والاخلاص يبتدى فى نظراته وفى لمسائل لمتصلة بالقضاء اننا لتلمس الحزم الذى تمارسه ولكن فى رفق فيالها من قوة لا يشوبها اى ضعف وانك لا تجلس لتحاكم الناس لتملاء خزائنك بالمال وانك لاترجو اى جزاء عندما تصدر حكما عادلا سوى انك تريد أن تحكم حكما عادلا وانك فى الواقع وحقا تمتلك كل الصفات التى ينبغى ان يتحلى بها البرتكيس بل والتى يجب أن يتحلى بها الاله وانك لجديرة بكل ما يمكن ان يعترف به الشعب لحاكم مثلك من الواضح ان تراجان ترك فى نفوس الناس اثرا عميقا انعكس على تعبيرا بليتى وغيره من الشعراء والفلاسفة .

الامبراطور هادريان :

تولية الامبراطور – تعرف ان تراجان قد تبناه وهو فى النزع الاخير وهو ابن لاحد ابناء عم تراجان – تزوج من حفيده لشقيقه تراجان وعمل مع ترلجان منذ صباه وبرز فى الناحية العسكرية ومع ذلك فان تراجان لم ينص فى اثناء حكمة على ان يكون خلفا له ولم يشركه فى سلطة الامبيريوم او التربيونية اذا لم نصدق الرواية القائلة بان تراجان قد تبناه فانه من الواضح انه كان الشخص المناسب لمنصب الامبراطور فجاء اختياره بوصفه قائد عسكريا امرا منطقيا يتفق مع مقتضيات الموقف ولم يتردد مجلس الشيوخ فى ان يعتمد تعيينة امبراطور مع تخويله السلطات القانونية والذى عارض فى توليته الحكم انما هم اربعة من قادة الجيش حاكمهم مجلس الشيوخ واصدر حكمه بإعدامهم وذلك قبل قبل وصول هادريان الى روما . وما وصل لى روما حتى

منح الجنود منحا سخية واحترم حرية المواطنين الرومان وتجاوز عن الضرائب المتأخرة التى كانت قد فرضت فى ايطاليا والولايات بالنسبة للخمس سنوات الاخيرة .

استمر هادريان فى متابعة سياسة تدعيم الحكم فى الولايات واعطائه مستوى عال من القدرة بحيث انه من الممكن القول ان نفوذ الولايات بصفة عامه ونفوذ الولايات الاسبانية بصفة خاصة بدى واضحا فى نظام حكم الامبراطور كذلك فان هادريان اعطى لمنصب الامبراطور صبغة تتمشى مع النمو المضطرد للامبراطورية مع العالمية التى اصبحت عليها الامبراطورية وتلقى الامبراطور ثقافة اغريقية لذلك فهو يكن اشد الاعجاب لكل ما هو اغريقى وكان يهتم بكل ما يتصل بالحضارة الاغريقية الرومانية وان كان هذا الاهتمام قد اثار سخرية بعض الدوائر فى روما – كان هادريان نشيطا لا يستقر على حال وعلى جانب كبير من الحيوية وكان مبدأه ان الدولة لم توجد من أجل الحاكم ولكن الحكام هو الذى يوجد من أجل الدولة وعليه تمسكه بهذا المبدأ بوضوح فى طريقة تفانية فى تأدية واجهة ولذلك ليس هناك اى فرع من فروع الادارة الحكومية لم يظهر فيما هادريان رغبته مخلصا فى الرقى بهذا الفرع بل أنه وعد على ذلك بقيامه برحلات فى شتى ارجاء الامبراطورية ليكون على دراية تامه لكل مايجرى فيها قام بالرحلة الاولى فى عام ١٢١ : ١٢٦ والرحلة الثانية من عام ١٢٩ : ١٣٢ اى انه قضى نصف مدة حكمة متجولا فى ولايات الامبراطورية وقد التزم الامبراطور فى تعامله مع مجلس الشيوخ نفس السياسة التى انتهجها تراجان بان اظهر احتراما كبيرا واحتفالا واضحا بمجلس الشيوخ ومقرراته واقسم بالا يحكم على اى عضو من اعضاء المجلس بالإعدام وبر بقسمه ومع ذلك فانه لم يعط الفرصة للمجلس ليلعب دورا ذا اهمية فى شئون الامبراطورية ولشدة انشغاله فى شئون الامبراطورية لم تنسبه الاهتمام بنشاطه الفنى والأدبى بل مارس بنفسه بعض ضروب الفن .

سياسته فى الدفاع عن الامبراطورية :

يمكن ان توصف سياسته فيما يتصل بالنواحى العسكرية والدفاعية فى انها تختلف بعض الشىء عن سياسة سلفه فهو يرى ان غزو تراجان لبارثيا قد ارهق حق الخزانة الامبراطورية ولم تحقق الغرض المنشود منها فبقيت مشكله الحدود الشرقية بدون حل وبين له ايضا ان من الصعب الاحتفاظ بأرمينيا وميزيوتاميا وبالتالى لم (يكن فى امكان الامبراطورية ان تقيم بصفة دائمة

حاكما لعضده لحكم بارثيا لان احتفاظ مثل هذا الحاكم بعرش بارثيا انما يعتمد على الوجود الرومانى المستقر فى المنطقة بالاضافة الى ذلك واجه الامبراطور اضطرابات فى منطقة الدانوب الادنى وفى بريطانيا وفى موريتانيا ولم تكن ثورة اليهود وخاصة فى مصر قد اخمدت بعد فكان لابد من اقرار السلام فى كل هذه الجهات ولم يتردد الامبراطورية فى عقد صلح مع اهل بارثيا وتنازل عم ولاية اسور وميزيزتاميا وجعل من ارمينيا مملكة تابعة تحت حكم بارثيا اعتراف بسيادة روما وبهذا العمل كان الامبراطور ملتزما بالسياسة الرومانية التقليدية قبل تراجان وبذلك اتيحت الفرصة لها بسريان بان يمارس سياسة دفاعية صريحة وكان هدف ينشىء دولة تعيش فى سلام ورخاء بكل لها الحماية من أى هجوم يأتيها من الخارج مع تسخير كل امكانياتها الى أقصى حد لتنمية مواردها الاقتصادية ويهيء لها من الأسباب ما يكفل لها الى فى مجال الحضارة والمدينة ولذلك فأنه دعم خطوط الدفاع عن حدود الامبراطورية وزاد فى قوة الحاميات وخاصة فى بريطانيا حيث امر بانشاء حائطه (سوره) الذى تدافع عنه فرق عسكرية ثابته وكذلك اقام حائطا مشابها على خطوط المانيا وبذلك تحولت القوات الامبراطورية فى مناطق الحدود الى حاميات تقيم بصفة دائمة وزاد الامبراطور من الاهتمام بمستوى التدريب لجنودها مما يستطيع ان يحقق الأمن والاستقرار الذى ينشده الامبراطور .

كانت أكبر مشكلة واجهت هادريان تجدد ثورة اليهود فى مصر بزعامة شخص يدعى شمعون الملقب بباخرشيما وكان هدف هذه الثورة تحرير اليهود من سيادة الحكام الوثنين فهى دعوة الى الخلاص (من الوثنية) ورد الامبراطور بكل عنف بعد أن استغرق اخماد الثورة سنتين ١٣٢ / ٢٣٤ بأن اقام على موقع على هيكل سليمان مذبحا للاله جوبيتر وحرم على اليهود دخول اورشليم الا فى التاسع من شهر اغسطس .

الاصلاحات الإدارية :

اهتم التشريع وما يتصل به من مشاكل فكون لجنة من المشرعين جمعت بعض فقهاء القانون الرومانى وبصفة خاصة الخطيب جالوس جوليانوس الذى نشر مجموعة قوانين على شكل قرار او مرسوم عرف بأسم (مرسوم البريتور) وهو يتضمن قواعد القانون المدنى عند الرومان .

ومن أجل تيسير المسائل المتصلة بالقضاء وتطبيق العدالة - قسم الامبراطور الى عدد من المناطق عين لكل منها مشرف قضائى ومن رأى البعض يعتبر هذا العمل خطوة فى سبيل لتخلص من سيطرة مجلس الشيوخ من الناحية الإدارية على ايطاليا لان تقسيم ايطاليا الى مناطق ادارية وتشريعية يضعف بالفعل من تدخل مجلس الشيوخ فى الشئون القضائية والإدارية خارج مدينة روما .

ويمكن أن نتابع الحديث عن اصلاحات اخرى استحدثها هادريان بالنسبة للإدارة المالية والعامة هيئة من السكرتارية تختص بكل ما يتصل بالخزانة وبالمراسلات الامبراطورية واوجد طبقة جديدة من الموظفين تكون فى خدمته لتمكين الخزانة فى المسائل المتعلقة بالقيادة العسكرية اهتم هادريان بعد ذلك بانشاء الكثير من المبانى العامة فى روما واهتم بانشاء المدن الجديدة ونكتفى أن نذكر من بين هذه المدن مدينة هادريان وبوليس فى تركيا الارمينيه وانتيوبوليس فى مصر ومدينة اخرى باسم هادريان نوبوليس ايضاً فى برقة وذلك لتعمير هذا الجزء بالعناصر الإغريقية بعد ان قضى اليهود فى ثورتهم الكبرى على عدد كبير منهم .

وكان بمدينة اثينا ، تقلد منصب الارخون وحيث اكمل معبد زيوس الاولبى الذى كان قد بدأه بازنتراتوس طاغية اثينا فى القرن الثالث ق .م كما أنه قد اضاف حيا جديدا للمدينة عرف باسم هادريان وأقام معبد فى روما مزدوجل للربه فينوس والربه روما فضلا عن اقامته وشيد لنفسه فى تيبور (ديفورى الحالية لحدى ضواحى روما) فيلاتشهد بكل ما وصل اليه فى الحضارة والنحت عند الرومان فى القرن الثانى .

اختيار خلف لهادريان :

لم ينجب هادريان اى وريث كما أنـه لم يترك اصدقـاء يثق بهم لتكملة خططـه ومشـاريعه ولذلك فأن عزلته تلك سببت تشكك بعض اعضاء الشيوخ فى سلوكه وما لبث هذا الشك ان تحـول الى يقين .

وفى عام ١٣٦ اصابه المرض الذى كان نذيرا لـه فـى ان يختـار مـن سيخلفه علـى عرش الامبراطوريـة واختـار شـخصا يدعـى Commedun وكـان عضـوا فـى مجلس الشيوخ فـى جعـل المجلس يمنحه السلطات التربيونية ولكنه مات عام ١٣٨ فاختاروا عضوا من الشيوخ اخـر يدعـى تيتوس اورليوس انطونيوس T . Aurleius وكان ينتمى الى اسرة رومانية من منطقـة ولايـة بـلاد الغال هى تاريوتبس ولما كان هذا المرشح متقدما فى السن فان هادريان حمله علـى ان يتبنـى ابـن كودوس واسمه لوكيدس بيروس L . pearus ومـاركيوس ادريليوس انطونيوس قريب لزوجـة الامبراطور ومن اصل اسبانى منح سلطات الامبريوم والتربيونية واصبـح شريكا لهـا دريـان فـى حكم الامبراطورية . وفى ١ يوليو ١٣٨ مات هادريان .

اسرة الانطونيين ١٣٨ / ١٩٢

انتونيـوس (بـايوس) (Pius) Antaninus ١٣٨ / ١٦١ اصبح اورليوس انطونيـوس هـو الحاكم الوحيد فى الامبراطورية واسطاع ان يحصل من مجلس الشيوخ على لقب بـايوس Pius باعتباره الشخص الذى يتمثل فيه فنصلية التقوى كما يتمقلها الرومـان او كمـا رأهـا فضيلـة العمـل فى الشئون الدينية والدنيوية بما يرضى الالهه وتمثلت هذه التقوى فـى اكمالـه لضريـح الـذى بدء هادريان (معبد او يعرف بأسم هادريان المؤلمه) .

وكان الامبراطور الجديد معتـدلا فـى سياسـته ومتسـما فـى حياتـه الخاصـة والعامـه بالسـمعه الحسنة ويغلب الاعتدال على كل تصرفاتـه وكـان يعمـل بانسـجام تـام مـع مجلس الشيوخ ولذلك استجاب لرغبة هذا المجلس فى اقضاء القماء الاربعة الذين عينهم هادريان فى الاقسام التى قسم اليها ايطاليا وبذلك بدون هـذا اول نجـاح لمجلس الشـيوخ فـى محاولـة اسـتعادة سيطرته لاداريـة والقضائية فى ايطاليا ولكن بصفة عامه ان سياسة انطونيوس استمرار سياسة هادريان ولو انه

شغل بمحاولة القضاء على الفتن التى نشبت فى بريطانيا وموريتانيا وقاوم محاولات بارثيا فى الاعتداء على حدود الامبراطورية ووضع حد لبعض الاضطرابات فى ولايات الشرق غير أنه بصفة عامه التزم سياسة الدفاع كما فعل هادريان .

وكذلك قام بعدد من الرحلات فى ارجاء الامبراطورية لا شك انها لوتمت على النحو الذى اراده هادريان لانتعشت الادارة الرومانية فى الولايات ولكنه عدل واراد ان يقوم برحلات فى الامبراطورية لكنه رأى انها ستكلف خزانة الدولة وهو الحريص عليها وهو ايضاً حريص بان يرضى شعب روما بإقامة المبانى العامه ولكن ينبغى ان نذكر ان هذا الامبراطور كان يراعى العدل فى كل ما كان يتصل بإدارة الامبراطورية .

وفى عام ١٢٩ منح ماركوس اورسليوس اكبر شخصين من الذين تبناهما سنا ، لقب قيصر وزوجة من ابنته وفى عام ١٤٦ جعل مجلس الشيوخ بمنحه السلطة التربيونية والامبريوم خارج روما (الإبن المتبنى) وبذلك يكون ماركوس هذا شريكا لانتونيوس الحكم ولما توفى الامبراطور فى ١٦١ أصبح ماركوس اوريليوس الامبراطور الجديد فى روما .

الحكم المشترك بين ماركيوس اوريليوس ١٦١ /
١٨٠ لوكيوس فيروس ١٦١ / ١٦٩

للمرة الاولى يحكم الامبراطورية اثنان من الاباطره وان كانت السلطة الحقيقية فى يد ماركوس اوريليوس وذلك لضعف فيروس وكسله وانصرافه الى شهواته .

وكان ماركوس بطبيعته محبا للدرس فيلسوفا رواقيا بكل معانى الكلمة ولم يكن الباعث له على حكم الامبراطورية حكما صالحا طموحاً منه او حاسما بل كان يعتقد ان حكم الامبراطورية واجب ان ينهى به بكل اخلاص وان يكرس نفسه لتحقيق هذه الغاية وقد تكون من الامور المثيرة

السخرية ان هذا الامبراطور الذى خلق السلام قضى سنواته الاخيرة فى حرب وصراع لانقاذ الامبراطورية من اعدائها الخارجين .

الحرب مع الباتيين ٦١ / ٦٥ .

في بداية عهد الامبراطور بدأ فولوجاسس الثالث Volagoses ملك بارثيا سلسلة من الاعمال العدوانية لغزو ارمينيا واستطاع فى فترة وجيزة ان يحقق هذا الهدف وأن يهزم الحامية الرومانية فى سوريا وان يجتاح اراضيها مما اضطر الى أن يرسل فيروس الى الشرق ولكنه لم يبذل اى نشاط وانصرف الى ملذاته ان قادة الجيش الرومانى اعادوا الى روما هيبتها فعاد النفوذ الرومانى من جديد الى أرمينيا ولكن عندما اضطرت الاحوال مرة اخرى فى المنطقة ١٦٤ / ١٦٥ ارسل الامبراطور قائده المشهور افيديوس كاسيوس A. Cassius فزحف الى ارض الجزيرة حيث استولى على سلوقية نسيبون Isiphon عاصمة البارثين ولكنه لم يجنى ثمار نصره لانتشار الوباء بين جنوده فبادر الى الانسحاب فهلك اثناء ذلك عدد كبير من الجند راحوا ضحية المرض والجوع وتمكن البارثيون من السيطرة من جديد على ارمينيا وارض الجزيرة ولكن فى عام ١٦٦ تمكنت روما بفضل اصرار الامبراطور على أن يستعيد شمال ميزوبوتاميا ولكن ما كسبته روما من وراء حملاتها لم يعوض الخراب او الفوضى التى انتشرت فى شتى ارجاء الامبراطورية والرعب الذى انتشر بين سكان الولايات نتيجة لانتشار الطاعون وربما الجدوى وقد عاد الجنود من الشرق بهذين المرضين وكانت النتيجة ان هلك عدد كبير من سكان الامبراطورية وسكان ايطاليا واهلك خلال عام واحد اكثر مما اهلكته الحرب .

الحرب فى جهة الدانوب ١٦٧ / ١٧٥ :

قبل ات تستقر الاوضاع تماما فى الشرق بدأت المتاعب فى جهة الدانوب اذ وحدت القبائل الجرمانية صفوفها وشنت هجوما مركزا على الولايات الرومانية ومن بين هذه القبائل الماركومنى Marconii والكوادى Qidi واللتيجرى Latygers ولم يكن جيش الدانوب مستعد لمواجهة هجوم عنيف من هذا النوع ذلك لتغيب بعض الفرق التى سحبها الامبراطور لتحارب فى الشرق

واستطاعت القبائل بالفعل ان تجتاح بعض الولايات وخاصة ابوليا ووصلت بسرعة الى ساحل بحر الادرياتيك وكان الموقف حرجا بسبب الحاجة الى مزيد من القوات وبسبب الوباء فضلا عن ان الخزانة الرومانية لم تعد قادرة على مواجهة نفقات الحرب واضطر الامبراطور ان يتخذ اجراءات استثنائية فباع بالمزاد العلنى كل ما فى القصور الامبراطورية من تحف وادخل العبيد والمجالدين (المصارعين) فى صفوف الجيش واستاجر مرتزقة من الجرمان والاسكوديين .

وكان ماركوس اورليوس يتولى القيادة بنفسه ومعه فيروس واستطاع ان يستخلص بعض المناطق التى احتلها الجرمان على ساحل الادرياتيك ثم زحف شمالا ليستخلص منهم انريا وفى اثناء ذلك مات فيروس واستمر الامبراطور يطارد هذه القبائل عبر الدانوب وفى عام ١٧٢ استطاع بالفعل ان يسيطر على الموقف وان يجتاز نهر الدانوب وان يوقع الهزيمة بقبائل الكوادى ثم قبائل الماركومادى ثم استرد منهم الاسرى الرومان واستولى على عدد كبير من الغنائم والزم هذه القبائل ان تقدم الى روما مساعدات عسكرية وتوصل الى اتفاق معهم يقضى بان يستقر بالارض البور ولايات الدانوب عشرة الاف من افراد هذه القبائل يقومون بزراعة هذه الارض ويستدعون للخدمة العسكرية فى الجيش الرومانى . واضطر مرة اخرى ان يعود ليقاتل هذه القبائل من جديد ولم يجد بدا من ان يفكر فى اتباع سياسة تراجان وهى تتلخص فى ضم اراضى هذه القبائل الى الامبراطورية الرومانية ولكن تجددت الاضطرابات فى الشرق فتخلى عن تنفيذ هذه السياسة .

وكان سبب هذه الاضطرابات فى الشرق ثورات قامت فى سوريا بل قامت ثورة عنيفة فى بلاد الغال وهاجمت القبائل الصحراوية ولاية موريتانيا واشتعلت ثورة الرعاه فى دلتا مصر فأرسل قائده افيديوس كاسوس الى سوريا ثم عهد اليه فى ١٦٨ بالاشراف على كل شئون الشرق ونجح القائد فعلا فى اخماد الثورات ولما انتشرت اشاعة بموت الامبراطورية اعلن نفسه امبراطور واعترف به فى كل من سوريا واليهودية (ارض يهوذ) حول القدس) ومصر ١٧٥ , هذا ما جعل الامبراطورية يوقف القتال فى جهة الدانوب ويبدأ فى اعداد حمله مضاده للتخلص من افيديوس .

ينظرون الى عمل كاراكالا بانه اسهم فى ادخال الحضارة الرومانية على نطاق واسع فى الولايات وخاصة فى الغرب .

ولكن كاركالا بالرغم من أنه صاحب الفضل فى اصدار مثل هذا الرسوم لم يكن الحاكم المحبوب ولذلك لقى مسرعه على يد الحرس البريتورى ونودى بقائد الحرس ماركسوس ماكريتوس امبراطورا فى ١٨ ابريل ٢١٧ ولكن اسرة سفيروس السورية بزعامة جونيا مايزا Massa شقيقة جوليا دومنا Bomma زوجته سبتميوس وقد قدمت هذه التضحية لم تستسلم امام هذا الانقلاب فقدت جوليا لعرش الامبراطورية ابن شقيقه اخرى لها ابوه سورى من طبقة الشيوخ هو باسيانو Bassianue وانحاز اليه جانب فى الجيش الرومانى فى سوريا ونادوا به امبراطور باسم ماركوس اوريليوس او انتونينوس مالبث مجلس الشيوخ ان فوضة السلطة الكاملة بوصفه برينكيس بعد نجاحه فى التخلص من ماكرنيوس فى عام ٢١٨ وبذلك اعاد باسيانوس الحكم مرة اخرى الى سيدروس وحكم من ٢١٨ - ٢١٢ باسم الباجابالوس Eleyabalus وهو لقب دينى بوصفه كاهنا لاله الشمس فى حمى وادخل الى روما عبادة هذا الاله الشرقى وارد ان يجعل منه الاله الاعلى للعالم الرومانى .

ولما ادركت جوليا انه غير صالح واصبح مكروها من الجيش شجعت على اغتياله ولكن ذاكره ظلت حيه فى اذهان السوريين بوصفه الها ، واختارت ابن عم له وهو الاسكندر الذى اضاف الى اسمه سيفريوس ٢٢٢ - ٢٣٥ وكان عمره لا يتعدى الـ ١٤ وكانت وجدته وامدهما المتصرفان فى شئون الامبراطورية واقامتا مجلس للوصاية على الامبراطور .

ويمكن ان نقول ان هاتين السيدتين حاولتا انعاش مالية البلاد وتحسين وسائل الادارة والحكومة فى روما والولايات وحاولت الاسرة الامبراطورية التقرب الى الطبقة الارستقراطية عن طريق تشكيل مجلس الوصاية من اعضاء مجلس الشيوخ .

واقترب حكم هذا الامبراطور الخاص بالشرق عندما استطاع اردشير (ارثا اجزركسيس) ملك الفرس ان ينشىء الاسرة الساسانيه وان يقضى على الامبراطورية البارثيين وبعثت من جديد ديانه زودت واصبح برنامج الاسره الساسانيه هو استعاده كل شبر من الاراضى التى كانت تابعه للامبراطورية القديمة وكذلك كان هناك تجدد اغارات القبائل الجرمانية فى جهتى الراين والدانوب وبدلا من ان يحارب الامبراطور اثر التفاوض مع هذه القبائل مما جعله موضع احتقار من الجيش الذى تمرد عليه بزعامة مكسيندوس وهو تراقى والد امم الاسكندر وامه واعلن مسيدوس امراطورا فى عام ٢٣٥ وبهذا انتهت اسرة سيديوس ودخلت الامبراطورية فى فترة دامت نصف قرن من الفوضى والحرب الأهلية .

طبيعة نظام البرينكيس بين عصر نيرفا ونهاية السيفريين :

اعتاد المؤرخين ان يطلقوا على الاباطرة الاربعة من نيرفا حتى ماركيوس اوبليوس اسم الاباطرة الطيبين كما لو كانوا هم وحدهم احسن من حكم الامبراطورية ولكن الأفضل ان نفهم ن المقصود بوصفهم على هذا النحو هو مجرد المقارنة بين الحكم الصالح فى نظر مجلس الشيوخ وحكم اباطرة تصرفوا مثل (دومتيانوس) و (كمودوس) والملكية العسكرية التى كانت طابع سبتميوس سيفسيروس واسرته عن ان هؤلاء الاباطرة الاربعة كان فى امكانهم التحكم بشكل واضح فى الجيش الرومانى ونجحوا فى ابعاده عن التدخل فى تعيين الامبراطور ولكن بعد وفاة كمودوس استطاع الحرس البريتورى ثم فرق الجيش الرومانى ان تعزل امبراطورا وتقيم غيره وكان ولاء الجيش لأسرة سيفسيروس امرا يترقف النظر بدون شك وهذا الولاء هو المسئول عن وصول شخصين غير جديرين بمنصب الامبراطور الى عرش الامبراطورية وهما اياجالا ليوس اسكندر ولكن ينبغى ان نذكر ايضا انه الى جانب هذا الولاء كان لابد من استصدار قرار رسمى من مجلس الشيوخ لتنصيب اى امبراطور حتى ولو كان مجلس الشيوخ لا يعبر عن ارادته الحقيقية وثمة ملاحظة وهى ان هذه الفترة شهدت اشتراك شخصين كل منهم يحمل لقب اوغسطس فى منصب الحكم وهذا بعد سابقه لما سيحدث فى عهد الامبراطور دقليد يانوس وكذلك هناك ملاحظة ثالثة متصلة بعلاقة البرنكيس بمجلس الشيوخ ومدى استطاعة المجلس

وكان من آثار هذا الحادث ان اهتم الامبراطور بأن يتخذ خلفا له حتى لا تتعرض الامبراطورية من بعده الى حرب اهلية فوقع اختياره على ابنه كومديوس الذى لم يكن قد تجاوز من العمر ١٦ عاما فنصبه مجلس الشيوخ شريكا له فى الحكم ومنحه لقب اوغسطس وهكذا اعادت روما لتحكم مزدوجا فى الفترة ١٧٧ / ١٨٠ .

وفى عام ١٧٩ / ١٨٠ تجددت الاضطرابات فى جهة الدانوب تولى امرها ماركوس اوريليوس وانضم اليه ابنه فيما بعد وتمكن من اخضاع الماركومانى ومن المهم ان نشير انه ظهرت قبائل سيكون لها شأن فى تاريخ ايطاليا فيما بعد وهى قبائل اللمبارد (اللمبارديين) ورتب الامبراطور لتحويل الاقليم الذى يضم بوهيميا مورافيا الحديثيين الى اقليم يحتله الرومان بصفة دائمة ولكن الموت يفاجأ الامبراطور فى فينا (فيندابونا) ١٨٠ وبذلك انفرد كومودوس بحكم الامبراطورية .

الامبراطور كومودس ١٨٠ / ١٩٢ :

هذا الامبراطور ابن سىء لأب طيب واحد الاباطرة الثلاثة الذين لا يمكن ان يقال عنهم شيئا طيبا وقد يكون الاب مسئولا عن اختياره ولكنه قد يقال انه كان لا يستطيع ان يفعل غير ذلك والأغراض الامبراطورية لحرب اهلية واحرز كومودس نصرا سهلا فى منطقة الدانوب وعقد الصلح مع القبائل الجرمانية وبنفس الشروط التى كانت قد وضعها اوريليوس ولكنه كما يقال اسلم نفسه بكل جهن وشهوانية الى الملذات وترك ادارة الامبراطورية فى يد جماعة من اصدقاء الذين استغلوا مظاهر السلطة لمصلحتهم وكان فخوراً بقدوته وكان يحب ان يظهر فى حياة المصارعة كمصارع للوحوش او ليدخل فى مباريات مع المصارعين واعتبر الهه هو الاله هيرقل ولذلك كانت توضع على تماثيل كومودس (هراوه - عصا) وجلد الاسد واعتبر نفسه الصورة الحية لهذا الاله .

واصطدم الامبراطور مع مجلس الشيوخ الذى كان يكن له احتقار ما بعده احتقار واعتمد على الحرس البريتورى وتجاهل القيام بواجهاته ومع ذلك فقد وفق قواده الى حفظ السلام فى موريتانيا وبريطانيا وداكيا وبعض المناطق الاخرى وزاد الامر سؤ أ بانتشار عصابات اللصوص فى ايطاليا كلها وفى بلاد الغال حيث كانت تلك العصابات تهاجم المدن واحتلتها وافتقرت الخزانة لاسراف الامبراطور وتعرضت الدولة لازمات اقتصادية وارتكبت الجرائم باسم القانون وصودرت الا الاملاك واتخذ الامبراطور الخطوة الاخيرة فى سجل اعماله كحاكم مستبد بأن سعى الى تاليه نفسه وسك نقودا يبدوا فيها فى صورة الاله وكان يريد ان يتقلد القنصلية لعام ١٩٣ وهو مزيد حله المجالدين ولكنه فى مباراة جرت فى الليلة السابقة لتنصيبة قنصلا طعنه خصمه طعنة قاتله وكان هذا الخصم قد فعل هذا بايعازمن قائد الحرس البريتورى الذى كان يخشى على حياته من بطش تلك الامبراطورية .

نهاية اسرة السفيريين

علاقة منصب البرنكيس بمجلس الشيوخ فى الفترة ما بين نيرفا وسيفريوس

الامبراطور كاركالا :

يهمنا ان نشير الى المنشور Constitutis antonions الذى بمقتضاه منحت الجنسية الرومانية لكل المقيمين فى الولايات الامبراطورية وبذلك المرسوم اصبحت هناك جنسية عامه فى الامبراطورية حجت الجنسية اللاتينية او الجنسية الايطالية او الجنسية المحلية فى الولايات .

ومن الصعب فهم دوافع كاركالا لاصدار ذلك المرسوم الا بأنه كان ينفذ سياسة انتهجها سلفة سبستيوس وهى تلك السياسة القائمة على تبسيط النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى كان يعقدها الوضع القانونى المتباين لسكان الامبراطورية وفيما بعد اصبح النقاد او المؤرخين

قاومة النزعات الاوتوقراطية عند بعض اباطرة هذه الفترة وقد رأينا ان مجلس الشيوخ كان يضطر مرغما الى أن يسلم للبرينكبس او الامبراطور بحقه ان ينفرد فى ادارة شئون روما وايطاليا والولايات .

وكذلك نستطيع ان نرى ان الامبراطوركان يرسل موظفين يتبعون له شخصيا للإشراف على تموين روما وايطاليا بالقمح والإشراف على تنفيذ المشروعات عامة فى روما وايطاليا وبذلك يكون الامبراطور قد حرم مجلس الشيوخ من ممارسة سلطاته الادارية بعد ابعاد الموظفين الذين يتخذهم المجلس عن الاطلاع بمسئوليته .

ترتب على ذلك اختفاء بعض الوظائف التى كانت تؤهل شاغلها الى أن يطمع الى ان يكون عضوا فى مجلس الشيوخ مثل وظيفة الايديل (يشرف على الإسواق والحفلات ... الخ) وهذه الوظيفة كانت احدى وظائف سلك الوظائف العامه وكان لابد من مرور المواطن الرومانى الذى يريد ان يصبح يوما ما ان يكون عضوا فى مجلس الشيوخ ان يمر بهذه الوظيفة .

فى عصر نيرون :

لم يعد مجلس الشيوخ يمارس حقه فى انتخاب الموظفين فى الوظائف المختلفة وكذلك حل فى الفترة مابين حكم نيرون ونهاية حكم سبتموس من ممارسة اى نشاط فى المسائل المتصلة بالتشريع والقوانين .

ومن ثم تضاءلت اهمية المجلس فى القرن الاول بحيث لا يمكن تتبع اوجه نشاطه فى الفترة بعد وفاة نيرفا – ثم بعد مجلس الشيوخ الرومانى على ايام السوة السيفريين غير هيئة ليس لها اى نشاط ويقتصر اختصاصها على تسجيل موافقتها على القرارات التى يصدرها الاباطرة ويقرأها مندوب الامبراطور فى المجلس .

وحتى فى النواحى القضائية شجع الاباطرة من هذه الاسرة بالذات (الاكثر عداء لمجلس الشيوخ) منح سلطات قضائية لحكام الولايات والموظفين التابعين للامبراطور فى المدن والولايات وترتب على ذلك اختفاء المحاكم التى كان القضاء فيها من هيئة خاصة يحمل أفرادها لقب برايتور وكانت لا تملك المحاكم الا ان تخضع خضوعاً مباشراً لمجلس الشيوخ وكذلك جرد هذا المجلس من كثير من سلطاته القضائية بحيث اقتصر اختصاصه على محاكمة اعضائه الذين يتهمون بتهمة الخيانة العظمى .

وكان الامبراطور يستند فى استبداده بأكثر من اختصاص من اختصاصات مجلس الشيوخ بأنه عندما يمارس حقه القانونى بوصفه صاحب سلطة الامبريوم فهو حسب هذه السلطة له حق اصدار القرارات او الاحكام القضائية ولذلك فان احد الفقه القانونى فى منتصف ق ٢ وهو الفقيه جايوس قال بأن الدستور الذى يضعه البرينكيس انما هو عمل مشروع يقوم به الامبراطور بما له من حق الامبرايوم ومن ثم فأن لقراراته حكم القانون .

فاذا كان الامبراطور قد اوجد مجلسا تشريعيا فان هذا المجلس يمارس سلطاته طبقا لإرادة الامبراطور ومن ثم اصبحت قرارات الامبراطور ق ٣ هى اساس التشريع وبالرغم من كل هذا فان مجلس الشيوخ ظل هيئة لها وزنها واهبتها فى البناء الدستورى لروما والامبراطورية وذلك بفضل القاليد التى ارتبطت بهذا المجلس وجعلت قراراته صفة دستورية واعطت لاحكامه حكماً خاصاً بإعتباره سرابق لا يمكن تغييرها . وكذلك احتفظ المجلس بهيبته بحكم اغلبية اعضائه والطبقة التى ينتمون اليها فأعضاء المجلس كانوا الطبقة الارستقراطية من ملاك الارض داخل روما بل ايضاً فى ولايات الامبراطورية .

واذا كانت اسرة سيفريوس قد شجعت افراد طبقة الفرسان الى عضوية المجلس عند انتهاء مدة عمله فى خدمة الامبراطور فأنها (الاسرة) بذلك انما رفعت كفاءة اعضاء المجلس الإدارية والعسكرية .

وقد توسع بعض الأباطرة فى هذه الفترة بالسماح لبعض الشخصيات الكبيرة فى الولايات لدخول مجلس الشيوخ الرومانى .

ولكن ذلك لم يقلل من اهمية العنصر الإيطالى فاحتفظت العناصر الرومانية والايطالية الأصلية فى المجلس على الأقل من الناحية العددية ولكن لما توسعت اسرة سيفيوس فى إدخال عناصر من افريقية وسوريا وآسيا الصغرى ومصر فى مجلس الشيوخ ضاع تفوق العدد الذى كان للعناصر الإيطالية وربما يظن البعض أن الامبراطور سيفيوس فى اغراقه لمجلس الشيوخ بهذه العناصر الغربية وخاصة تلك التى تنتمى الى طبقة الفرسان انماكان ينصرف على هذا الشكل ليحكم مجلس الشيوخ وتوقعه ان هذا المجلس سينتهز اى فرصة للتمرد على حكمه ولكن الذى – ينبغى ان يفهم انصافا للامبراطور على الأقل انه هو نفسه كان ينتمى الى طبقة الفرسان ولم يكن رومانيا خالصا .

على أى الحالات فان الاباطرة فى ق ٢ ، ٣ زادوا من سيطرتهم على شئون الامبراطورية وتوسعوا فى تطبيق النظم البيروقراطية والاتوقراطية فى شتى ارجاء الامبراطورية ويمكن ان نقول ان نطاق البرينكيس اى المواطن الأول فى ق ٣ - م بإعتبارها المصدر الأول لكل نشاط فى مجال الإدارة او التشريع او القضاء لم تكن لوظيفة (البرينكيس) بأى حال هى نفس الوظيفة التى اوجدها اوغسطس واعادها فسبسيان الى روما ولكنها سارت بعيدا فى طريق الاوتوقراطية واكتسبت الكثير من صفات الحكم الملكى الصالح بحيث انها لم تفقد صفتها الاولى وهى انها تجرى وظيفة عامه يشغلها افضل العانصر فى روما من أجل رفاهية الشعب الرومانى وسكان الولايات الا انها كانت عبارة عن وظيفة شاغلها هو حاكم اوتوقراطى من ذلك الطابع الذى عرفه العالم الاغريقى الرومانى .

العلاقات الرومانية المسيحية
حتى عهد دقلديانوس
وآثارها

تعتبر القرون الثلاثة الأولى الميلادية مرحلة لتطور العلاقات بين الامبراطورية الرومانية والديانة المسيحية — تلك العلاقات التى أثرت سلبا وايجابا فى كيان الامبراطورية الرومانية بل وفى كيان أوربا والشرق الأوسط عامة .

مرحلة للعلاقات الرومانية المسيحية :

وباستعراض تلك العلاقات التى بدأت منذ ظهور المسيحية فى القرن الأول الميلادى ، فاننا نلاحظ — أن ظهور المسيحية خلال الفترة الأولى من القرن الأول الميلادى قدة أحدث دويا هائلا فى الأوساط الدينية الوثنية المختلفة [1] وأن هذه الديانة الجديدة قد وضعت منذ الوهلة الأولى أولى نقاط الصراع الدموى الدينى والذى كانت لهآثاره فترة امتدت ما يقرب من ثلاثة قرون ذاق المسيحيون صنف ألوان

---

(1) Cf., clay (M). La Religion Romaine (coll. V. 2, no. 163) Paris A colin 1971 .

العذاب والاضطهاد ، برغم تأثيرهم في كيان الامبراطورية الرومانية المترامية .

ولقد كان لظهور المسيحية خلال القرن الأول الميلادي وقعه السيء من قبل العناصر الدينية الوثنية المختلفة وبين الديانات السماوية القائمة كاليهودية ، بينما قابلت الامبراطورية هذا الحدث بالفتور واللامبالاة — وأعتبرت هذه الديانة بمثابة ديانة جديدة مثل باقي الديانات الأخرى العديدة القائمة (٢) .

---

(٢) يقصد بالدينات العديدة القديمة (الديانات الوثنية ، التي كانت من الكثرة ، منها ما هو قديم او مقتبس من ديانات الاخرى (كالافريقية) — هذا الى جانب ما استحدث من ديانات شعبية رومانية مثل تأليه الاباطرة بعد مماتهم وخلق شعائر لعبادتهم . او عبادات عقائدية مثل عبادة « الأخوان الارفاليين — Fratres Arvales » والتي كان من اختصاصها تقديم شعائر العبادة الزراعية — ثم تقديم الاضاحي الخاصة بالمناسبات كعيد ميلاد الامبراطور — راجع :

— Cf., Henzen (W), Acta Fratrum Arvalium (1974); C.I.L., VI. 2023 - 119, 32338 - 98, 37164 f. The Edition by E. Pasoli (1950) is worlfless; Athenaeum 1946, 188 ff; Bull. comm. Arch. lxxviii (1961 / 2), 116 ff.

وايضا هناك عبادة ربات الزراعة والقمح متمثلة في الربة الطيبة (Bona Dea) راجع :

— Cf., Latte. caes. 9; Festus, 60, I ff. Lindsay .

وكان للتطور الفكرى المتسائدى تأثيره الواضح خاصة على سكان المدن — وخاصة من طبقة المثقفين ، الذين تأثروا بأنكارهم التقدمية الروحية متمثلة في الرواقية التي كانت تنادى بالمساواة والأخوة العالمية ومناهضة الظلم والطغيان هذا الى الجذب الصوفى لكثير من سكان تلك المدن متمثلين في روح التضحية للمسيح وتطوير الأنكار الصوفية اليدرجات العمق والانطلاق الى آفاق ما بعد الحياة الدنيوية تمثلت جميعا في فكر جديد للنظرية « البيتاجورية — Pythagorean» Πυθαγορεία راجع :

=

ويتساءل « جيبون » أى استفزاز جديد أسخط وغاظ اللامبالاة الرقيقة القديمة ، وأية بواعث جديدة دفعت بالامراء الرومان الذين لم يلقوا يوما الا الى كثير من الديانات عاشت فى سلام فى ظل حكمهم الوادع — دفعت بهم الى أنزال أشد العقاب بأى فريق من رعاياهم اختاروا لأنفسهم لونا فريداً بريئا من العقيدة والعبادة (٣) ؟ ويبدو أن السياسة الدينية القديمة قد اتخذت موقفا أشد صلابة وأبعد عن التسامح لتقاوم تقدم المسيحية .

ومن الظاهر أن الديانة المسيحية قد بدأت بشكل سرى ثم بدأت فى السعى والانتشار فى اطار تحفظى خوفا من بطش أعدائها من الوثنين . وبرغم ذلك فقد كانت المسيحية كبش الفداء الذى كان يذبح لمرات عديدة أمام حقد وضغينة الظالمين وربما كان القرن الأول يعكس لنا صورة صادقة لما عاناه المسيحيون فى كثير من بقاع الامبراطورية المختفة وخاصة فى روما (٤) — ولا أدل على ذلك من اتهام للرأى العام الرومانى ومستشارو الامبراطور « نيرون » بأتهام المسيحين باشعال حريق « روما الشهير » والذى راح ضحيته حى

=

— Cf., Cardini (M. T.) I Pitagorici (1958-); Mullach, F.P.G., i. 485 - 509 (Pythagorum Similitudines); Hercher (R), Epistolo-garphi, 601 (Pythagoreorum Epistolae); Frank (E), Plato und die sogenannten Pythagorer (1923); K. Von Fritz, Pythagorean Politics in Southern Italy (1940).

— كذلك راجع: سيد احمد الناصرى (تاريخ الامبراطورية الرومانية) السياسى والحضارى — الطبعة الثانية ١٩٨٥ . ص ٩٥ .

(٣) جيبون (ادوارد) — اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها — ترجمة محمد على ابو درة . ص ٤٠٧ — ٤٠٨ .

(4) Cf., Ramsay (W.M.), The Church in the Roman Emrire before 170, 1906, p. 120; Last (H), J.R.S., 1937, 80 ff.

« ماكسيموس » «Circus Maximus» ثم حى « إيميليانوس » — Emilianus » بطرف المدينة بعد ذلك بستة أيام .

وبرغم اتهام الامبراطور « نيرون » باشعاله الحريق [٥] — وبأنه كان الفاعل الحقيقى على الأقل لحريق حى « ايميليانوس » ، وبأنه حث عبيده على شعال هذا الحريق للتخلص من بعض الأحيــاء القذرة التى لم تنالها نيران الحريق الأول فى حى « ماكسيموس » — وذلك من أجل بناء مدينة جديدة على نمط حديث [٦] — نلاحظ أن الاتهام الفعلى قد تحمله المسيحيون وأصبحوا هم الصورة المحركة للاضطرابات فى جسم الامبراطورية — خاصة وانه لم يوجد دليل واحد يــدين الامبراطور [٧] . وزج بالمئات فى السجون بمحاكمتهم بتهمة الخيانة والاتيان بافعال تتنافى مع سياسة الدولة واثارة الاضطرابات فى أنحاء الامبراطورية . حيث نال المسيحيون صنف الوان العــذاب والتنكيل مستبشرين بشهدائهم بالترحيب والترانيم المسيحية المقدسة [٨] .

ويعتبر اتهام المسيحين بهذه التهمة أكبر دليل على مدى ما وصلت اية العلاقات بين المسيحين والامبراطورية فى بداية النصف الثــانى من القرن الأول — وان كانت تعطينا دليــلا آخــر لمــدى الصراع العنصرى ضد المسيحين وخاصة من عنصر اليهود الذى يغذى له تدبير

---

(5) Cf., Tacitus, Annales xv, 36 - 41 .

(6) Cf., Seutonius, Nero, 31 .

(٧) عن حريق روما وبداية اضطهاد المسيحين .. راجع : سيد احمد الناصرى — المرجع السابق ص ١٦٣ وما بعدها .

(٨) كان من عوامل الاستسلام باتهــام المسيحيين باشــعال حريق روما — عدم دفاعهم عن أنفسهم لاعتقادهم بأن يوم القيامة قد حل ، وان انتقام الرب خير مدافع لهم — راجع :

— Cf., Smallwood (E.M), Journal of the theological studies, 1959, pp. 329 ff.

هذا الاتهام المشين (٩) — ومرحلة بداية لاضطهاد الرومان للمسيحين الأول .

وبرغم صنوف الاضطهاد الرومانى للمسيحين الا أن ذلك قد قوى من عزيمتهم على الصمود والاستشهاد ، حيث سارت بين المسيحين سياسة الحب والتقرب الى الرب سالكين طريق الشهادة . وبدأت مراحل الاستبشار والجهاد المسيحى لنشر الديانة كرسالة سماوية مكملة لرسالة المسيح عليه السلام — فذهب القديس « مرقص St. Markus » الى الاسكندرية لنشر الديانة الجديدة والعمل على تأسيس الكنيسة المرقسية فى الاسكندرية لتكون أولى نقاط الارتكاز للديانة المسيحية فى الشرق — بينما توجه القديس « بطرس — Potrus » و « بولس — Polus » لنشر الديانة الجديدة فى روما (١٠) .

ولا شك أن تلك الأحداث التى وقعت خلال القرن الأولى الميلادى من اضطرابات واضطهاد للمسحيين ، قد عمت جميع انحاء الامبراطورية — وأصبحت المسيحية وصمة عار اقترنت بصورة الخيانة لمعتنقيها — وقد أدى ذلك بطبيعة الحال الى زيادة حدة التوتر بين العناصر الأجنبية المختلفة فى جميع ولايات الامبراطورية — التى استغلت تلك الديانة الشهيدة لتكون قناعا لكل صور التذمر والخيانة والاضطرابات

(9) Cf., Josephus, Antiqu. Jud., x, 189 - 196 .

(١٠) من المرجح انهما قد هلكا اثنــاء حركة الاضطهاد الأولى « فترة حكم الامبراطور نيرون » ، راجع :

Cf., Ramsay (W.M), op. cit., pp. 121 ff.

المختلفة [١١] ، ولا أدل على ذلك ما شهده القرن الثانى من استغلال المسيحية تحت ستار الخيانة والاطماع الشخصية وتدبير المكائد بحيث أصبحت الوشاية صورة ظاهرة للانتقامات والمؤامرات الشخصية خلال تلك الفترة ، مما جعل للديانة المسيحية صفة الانكماش والسرية .

ويبدو أن القرن الثانى الميلادى قد ظهرت فيه ملامح الانتشار المسيحى أمام ما عرف بسياسة الاستقرار والتسامح لعصر الاباطرة الصالحين (٩٦ — ١٩٢ م) [١٢] ، وخاصة موقف الامبراطور (ماركوس أوريليوس — Marcus Aurelius) عام ١٦١ م وسياسته التسامحية، حتى انه شبه فى نظر البعض بالسيد المسيح فى اخلاقياته وحبه للخير والسلام — وبرغم من انه لم يكن مسيحيا — الا انه قد قرأ كل ما كتب عن السيد المسيح وأتباعه بين الحواريين ومعالم المسيحية — حتى أن البعض قد تشكك فى وثنيته ، أما المسيحيون فقد استبشروا

---

(١١) لا ادل على ذلك من ثورة اليهود الكبرى التى اندلعت فى (قورينه — Cyrene) عام ١١٥ م وانتشرت الى باقى المناطق المجاورة فى مصر وفلسطين وقبرص وحتى حدود بلاد بين الرافدين وذلك بسبب ما ادعاه احد زعماء اليهود ويدعى (شمعون باركوخبا) بأنه المسيح المنتظر جاء ليخلص اليهود من براثن الوثنية الرومانية . راجع : سيد احمد الناصرى (المرجع السابق) — ص ٢٤٥ كذلك راجع — عبد اللطيف احمد على (مصر والامبراطورية الرومانية) — فى ضوء الاوراق البردية — القاهرة ١٩٧٤ — ص ١٨٥ وما بعدها — كذلك :

— Cf., preaux (C), chron. d'Eg., 14 (1939). pp. 180 ff; Tcherikover (V), The Jews in Egypt in the Hellenistic Roman Age in the Light of the papyri. Jerusalem, 1945. pp. 18 ff.

(١٢) يقصد بذلك العصر عهد الامبراطور (١) « نرفا ٩٦ — ٩٨ م » (٢) « تراجانوس ٩٨ — ١١٧ م » (٣) « هادريانوس ١١٧ — ١٣٨ م » (٤) « انطونينوس ١٣٨ — ١٦١ م » (٥) الحكم المزدوج بين « ماركوس اوريليوس ولوكيس فيروس ١١٦ — ١٨٠ م » ؛ (٦) « كومودوس ١٨٠ — ١٩٢ م » .

خيرا ولاحت لهم بشائر الأمل فى مرحلة جديدة من التسامح والاستقرار الدينى خلال حكم هذا الامبراطور (١٣) .

ومن الظاهر أن المسيحية قد استغلت فترة الاستقرار المؤقت هذه وبدأت تعمل على تقوية مركزها بين العناصر والشخصيات الهامة فى جسم الامبراطوريه — بحيث نجد أن عمليات التمسيح قد شملت الكثير من الأسر المختلفة العريقة سواء بشكل معلن أو بشكل سرى بين أفرادها • وأن كثير من الشخصيات البارزة قد استمالت معالم المسيحية بشكل أصبح ينعكس على جانب العامة — مستغلة وضعها الاجتماعى والادارى فى وضع ركائز الديانة المسيحية فى إطارها الجديد المسيطر (١٤) .

ولنا أن نتصور مدى تصاعد الاحداث إبان القرن الثالث بشكل جعل من المستحيل معه تصور مدى الاضطهاد والظلم الذى عانت منه طبقات هذه الديانة رغم ازدياد عدد معتنقيها • وأن صنوف الاتهام والوشاية قد سلكت طريقها بين صنوف المنافسين كنوعا من صنوف الصراع — أمام ذلك تنوعت صنوف سياسة الارهاب — فلنا أن نتصور فى حالة ، ما اذا تناهى الى سمع أحد الحكام الرومان أن شخصا فى دائرة ولايته قد أنضم الى الطائفة المسيحية . فكانت التهمة

---

(13) Cf., Parain (C). Marc-Aurele, 1957; Birley (A), Marcus Aurelius, 1966; Piganial (A), Hist. de Rome 1962, 307 f, 581 f.

— وهناك من عارض سياسة الامبراطور « ماركوس اوريليوس » فى التسامح والخير والسلام واتهمه بانه احد عوامل انهيار الامبراطورية (راجع) :

— Cf., Ferrero (G), La Ruine de la civilization antique, Paris 1921, pp. 62 ff .

(١٤) عرف البعض تلك الحركة باسم « نمو حكومة الكنيسة » — راجع « جيبون » — المرجع السابق — ج١ . ص ٢٦٧ وما بعدها .

تبلغ الى المتهم للاستعداد للدفاع عن نفسه . فاذا ساوره شيء من الشك في تجلده . هيأت له هذه المهلة الفرصة للابقاء على حياته بالهـرب ، فرصة اللجـوء الى مكان مجهول أو ولاية نائية لحين عودة الهـدوء والطمأنينة ، هذا الى جانب هذا الصراع بين جوانب الامبراطورية (١٥).

ولقد تطورت صور الارهاب عن طريق شهادات الاقرارات التي كانت تصدر من حكام الولايات والتي كانت تنص على ان الشخص المذكور قد امتثل الى قوانين الامبراطورية وانه قدم القرابين الى الآلهة (الوثنية) الرومانية ، وأمام حساسية هذه الشهادات وكيفية اصدارها ، فكثيرا ما تاجـر الحكام بها وارتضوا بيع هذه الشهادات مخالفين لعقائدهم بقدر اتساع دائرة جشعهم — ولا أدل على ذلك من ابراز مثل هذه الاقرارات الزائفة لدى المسيحين الاثرياء الجبناء ، قد مكنهم من أن يوفقوا بشكل ما بين سلامتهم وديانتهم (١٦) .

وأمام صور الاضطهاد المختلفة فقد ظهرت أعداد كبيرة من المسيحين المرتدين ، الذين عنكروا ولفظوا صراحة وعلنا العقيدة التي سـبق اعتناقهم لها — وأكدوا اخلاصهم في ارتدادهم — بينما أصر وتشبس أقوياء العزيمة راضين صنوف وألوان العذاب المختلفة ، وبرغم ذلك فان قواعد اتهام المسيحين وعقابهم في مثل هذه الحكومة الاستبدادية المترامية كان يتوقف على مدى سلوك المسيحين انفسهم من ناحية ، وعلى مزاج وطبيعة الحاكم أو الوالي ومزاج مرءوسيه من ناحيـة أخرى . هذا الى جانب بعض الدوافع الخفية لحكام الولايات المختلفة

---

(١٥) راجع ما ورد عن « يوسـابيوس القيصري » تاريخ الكنيسـة — ترجمة : القمص داود — الطبعة الثانية (القاهرة ١٩٧٩) — ص٣٥٢ وما بعـدها .

(١٦) جيبون (المرجع السابق) ج١ ، ص ٤٤٨ وما بعدها .
Cf., Frend (W.H.C.), Martyrdom and Persection in the early church, London 1965, pp. 18 ff.

والتى كانت تجنح الى تنفيذ اللوائح والقوانين أو التراخى والعـــدول فى تطبيقها مثل الاهتمام بالمقاصد الخفية للامبراطور دون القوانين العامة وتصريحها — حيث كانت نظرة من الامبراطور تكفى لاشـــعال نار الاضطهاد أو اخمادها (١٧) .

واذا ما نظــرنا نظرة شاملة الى أوضاع الامبراطورية الرومانية فى النصف الثانى من القرن الثالث الميلادى وخاصـــة قبــل توليـــة « دقلديانوس » للحكم فاننا نلاحظ أن المسيحية اصبحت بالقـــدر الذى يسيطر على معظم طبقات المجتمع ، وأن الكنيســة الرومانية بصفة خاصة قد ازدهرت وأصبحت تضم معظم فئات الشعب المختلفة من المثقفين والادباء والمفكرين — هذا الى جانب ازدياد أعداد المســـيحين الملحوظ خلال تلك الفترة ، وأصبحت الكنيسة تنتهج منهج جديد تمثل فى المشاركة والسيطرة لتلعب دورا هاما فى صنوف المجتمع بدرجة اقلقت بال الامبراطورية — خاصة وان نظرة الدولة للمسيحين كانت نظرة تشوبها الخيانة لخروجهم على عبادة الدولة وامتناعهم عن تقديم مراسيم تكريم الامبراطور وحرق البخور أمام تمثال الامبراطور رمز الدولة (الامبراطورية) — وازاء ذلك اعتبرت الدولة المسيحيين أعداءا للامبراطورية — والقوا عليهم تبعية التدهور والانهيار الذى اجتـــاح الدولة نتيجة ولاهمال آلهة روما القديمة (١٨) .

الا أن استقرار المسيحية قد أنتابته بعض القلاقل والاضطهاد ، خاصة فى فترة (ماكسيمينوس تراكس) «Maximinus» الذى صب غضبه على العقيدة الجديدة سواء فى روما أو فى فلسطين الى فترة

---

(١٧) جيبون (المرجع السابق) جـ ١ . ص ٤٥١ .

(١٨) سيد احمد الناصرى (المرجع السابق) ص ٣٨٦ كذلك عنـــه .
(13) Cf., Le Declin du monde antique 284 - 610 A.D., Tradwit par A. Sevandoni Duparac (Histoire de L'europe, 1) paris. 1970, pp. 12 ff.

وفاته عام ٢٣٨ [١٩] — وبدأت المسيحية تتنفس الصعداء مرة أخرى عامى عهد الامبراطور « جورديان الثالث » (Gordian) وهى تلك السياسة الحكيمة التي تمثلت في حرية العقيدة للجميع [٢٠] — وبقى الوضع الى ما هـو عليه حتى حكم فيليب العربى (٢٤٤ — ٢٤٩)، بيد أن تلك الفترة كانت الهدوء الذى سبق العاصفة والتى بـدأت تظهر ملامحها منذ عهد الامبراطور (دسيوس (Decius) عـام ٢٤٩ — ٢٥١ م) الذى وجـد فى ارتداده للوثنية نقطة الخلاص للامبراطور من براثن اخطبوط المسيحية [٢١] ‧ وبدأ فى تطبيق سياسته فى الابادة الجماعية للمسيحين ، حيث استصدر قراره الشهير عام ٢٥٠ م بالزام جميع افراد الشعب بتقديم القرابين والمناسك لآلهة الدولة الوثنية — وفـرض عقوبة الاعدام لكل مخالف للتعليمات ‧ أمـام ذلك فقـد ازدادت حدة الصراع والتوتر فى جسم الامبراطورية وبدأت ملامح الاضطهاد للمسيحية تضع أوزارها على ما كانت عليه سابقا — وربمـا تحقق ذلك بصورة شبه كاملة على يد الامبراطور « فاليريانوس — Valerianus ٢٥٣ — ٢٦٠ م » الذى ضيق الخناق على المسيحين باصداره قرارات تعسفية تمنع تجمعاتهم ، والزمهم بتقديم القرابين للآلهة الوثنية واغلق لهم مقابرهم ‧ ثم أصدر فى العام الثانى قـراره بمحاكمة رجال الدين حسب مواقعهم الكهنوتية فى حـالة تمسـكهم بديانتهم [٢٢] ‧ وبرغم موقف المسيحية السيء فى فقد عبادها عن طريق الردة الى الوثنية أو الموت فى سبيل العقيدة الا أنها خـرجت

---

(19) Cf., Maximinus (235-8 A.D.), : Herodian, B. K. S., 7 - 8; Bersanetti (G.M.), studi Sul imperatore Massimino il Trace, 1940.

(20) Cf., Townsend (P.W.), Yale Classical Studies, 1955, 49 ff.

(21) Cf., Cross (K), R.A.C., 3, 611 ff.

(22) Cf., Olmstead (A.T.), Classical Philology, 1942, 241 ff.

من تلك الأزمة أقوى وأصلب عودا على الاستمرار والنضال المقدس [٢٣] .

وبتولى الامبراطور « جالينوس — Gallienus » (٢٦٠ — ٢٦٨ م) الحكم — رد الى المسيحية اعتبارها ، وسمح للمسيحين بممارسة شعائرهم ومعتقداتهم الدينية . وبدأت مرحلة عودة استقرار وهدوء وسلام الكنيسة [٢٤] . وعرفت فترة حكم « جالليينوس » بفترة التسامح الدينى مع أصحاب الديانات المختلفة .

ولنا أن نتصور ما وصلت اليه أوضاع الامبراطورية فى اطارها الداخلى والخارجى ومدى التدهور والتدنى فى سياستها الداخلية والخارجية — ومدى ما كانت عليه سياسة الولايات وادارة الحكام من استغلال للظروف الطارئة لتحقيق الاطماع الشخصية — تلك الأطماع الشخصية التى أصبحت وسام يتزين به كل مسئول أو قائد — مع ملاحظة أن سلطة الولاة فى الولايات كانت غير متكافئة طبقاً لأهمية كل ولاية ووضعها فى الامبراطورية — ومدى ما وصلت اليه تطورات تلك الأحداث الى حد الفضائح المنكرة [٢٥] .

أما عن السياسة الدينية فى الولايات فقد كانت متروكة للولاة الى جانب مهامهم السياسية فمنهم من جامل المسيحية وغض النظر

---

(23) Cf., Frend (W.H.C.), op. cit., pp. 177 ff.

(24) Cf., walser (G) and Pekary (th), Die Krise des Romischen Reiches, 1962, 28 ff;

— راجع / سيد احمد الناصرى (المرجع السابق) . ص ٣٦٥ وما بعدها — حيث يقدم عرض تحليلى متكامل من تلك الفترة .

(٢٥) راجع (عبد اللطيف احمد على) — المرجع السابق — « فضيحة مكسيموس وسلطات الوالى » — ص ١٦٨ وما بعدها — كاحدى صور التدهور الادارى فى فترة من فترات حكم الاباطرة فى الامبراطورية الرومانية .

عنها طالما أن الأمور مستقرة — ومنهم من اتخذ لنفسه نمط دينى محدد • ومنهم من اتخذ موقفا ضدها أو لم يلتفت الى طلباتهم وتظلماتهم [٣٦] •

ويتولى الامبراطور « دقلديانوس » الحكم ٢٨٥ م ، واضعا نقاط سياسته الحكيمة القائمة على روح التسامح الدينى بشكل أكثر اعتدالا وتحررا — بحيث تابعت المسيحية مسارها فى هدوء وطمأنينة — حتى ان كبار موظفى الدولة الذين اعتنقوا المسيحية قد باشروا ممارسة ديانتهم فى حرية وسلام • وكان لكل من الاساقفة منزلة كبيرة فى سائر الولايات ، لا من قبل الشعب وحده ، بل من الحكام أنفسهم [٣٧]، ويبدو أن سياسة التحرر هذه قد استغلت بشكل سيء من قبل المسيحين أنفسهم وأصبح سوء السلوك وفساد المبادئ ظاهرة وبرهانا على الحرية التى تمتع بها المسيحين وأساءوا استغلالها فى عصر دقلديانوس •

صراعات السلطة نهاية القرن الثالث وتطور العلاقات الرومانية المسيحية :

ولا شك أن الفترة الأخيرة من النصف الثانى من القرن الثالث شهدت اعنف مراحل الصراع الدموى بين المتصارعين على السلطة

---

(٢٦) لا ادل على ذلك من اختناق « اورليانوس Aureiianus » من (٢٧٠—٢٧٥ م) رب الشمس السورى « ابلاجابالوس — Elagabaius لاعتقاده بأنه الرب الذى لا يقهر (Sol Invictus) وهو الذى نصره على تدمر — ولهذا أوحى الى الناس أنه الرب الحامى للامبراطورية ، راجع :
سيد احمد الناصرى (المرجع السابق) . ص ٣٨٢ كذلك عنه راجع:
— Cf., Theodore Optendrenk : Die Religionpolitik des Kaisers Elgabal in Spiegel der Historia Augusta, diss. Bonn 1968
راجع « ورن هولستر » أوربا فى العصور الوسطى — ترجمة / محمد فتحى الشاعر — القاهرة ١٩٨٨ ص ٣٢ وما بعدها .

(27) Cf., stade (K), Der Politiker Diokletian und die letzt grobe christenver polgunod 1929.

وأن فلول الصراع قد شهدت ملامح ومقومات الامبراطورية بالصورة التى كانت تتطلب انقاذ سريع وشـــامل — وذلك ما أمكن اســـتدراكه « دقلديانوس » عن طريق اصلاحاته فيما بعد .

وقد عرفت تلك الفترة بفترة القلاقل القيادية — وخاصة بعـــد مقتل الامبراطور (أوريليان — Aurelianus) عام ٢٧٥ م [٢٨] . وتدخل السناتو واستخدام سلطته وانتخب (كلوديوس تاكيتوس — M. claudius Tacitus) [٢٩] ، وارتضاه الجيش ، وقاد حملـــة موفقة ضد (الآلان — Alans) [٣٠] — بيد انه له مؤامرة لتنتهى فترة حكمه الضئيلة والتى استمرت من ٢٧٥ — ٢٧٦ م [٣١] .

ثم انتخب الجيش بعد مقتله (م . أوريليوس بروبـــوس — M. Aurelius Probus) — (٢٧٦ — ٢٨٢ م) [٣٢] ، الـــذى أحرز انتصارات فى الراين والدانوب ، بعد أن طهر آسيا الصـــغرى من قطاع الطرق ومصر والسودان من قبائل البشارية (Blemmyes الى أن دبر له رجاله من القوات مؤامرة لاغتياله فى « ســـيرفيوم - Sirmium » وهى لا تدرى انها أغتالت واحدا من اعظم القادة كفاءة واخلاصـــا للامبراطورية وفى وقت هى فى أشد الحاجة اليه [٣٣] .

---

(28) Cf., Homo (L), Essai sur le regne de L'empe.eur Aurélian, 1904; Gross (K), R.A.C., i. 104 ff.

— راجع سيد احمد الناصرى (المرجع السابق) . ص ٣٧٦ وما بعدها.

(٣٠) قبيلة من المتبربرين الرحل ، استقروا فى جنوب شرقى روسيا فى القرون الثلاثة الميلادية الأولى .

(31) Cf., Vogt (J), The Decline of Rome (1967), pp. 113 ff.

(32) Cf., vitucci (G), L'imperatore Probo, 1952 :

(٣٣) راجع — سـيد احـمد النـاصرى (المـرجع الســابق) ص ٣٨٤ — ٣٨٥ .

وكان لرغبة القوات فى « رايتيا — Rhaetia » أثره فى ترشيح قائد الحرس البرايتورى « ماركوس اوريليوس كاروس — M. Aurelius carus » امبراطورا عام ٢٨٢ م [٣٤] — الذى اشرك معه ولديه « كارينوس — Carinus » [٣٥] و « نومريانوس Numerianus » كمساعدين نواب بدرجة قيصر . واستطاع « كاروس » بمساعدة ابنه « نومريانوس » من فتح الشرق حيث استطاع عام ٢٨٣ م هزيمة قبائل « القادى — Quadi » ، وقبائل الصرب — Sarmatians » — ثم عبر الفرات قاصدا سحق الفرس، حيث استولى على «سليوكيا — Seleucia » — وبعد ذلك « كتسفيون » الا انه قتل فى ظروف غامضة ومفاجئة وان كان من المرجح أن يكون قد قتل على يد قايد الحرس البرايتورى « أريوس آبر Arrius Aper » وهو نفس الشخصية التى اتهمت بقتل ابنه « نومريانوس » بعد ذلك [٣٦] . وفى ضوء الصراعات الدموية على السلطة اجتمع مجلس القادة وانتخبوا قائد الحرس الخاص للامبراطور الراحل « ديوكليس — Diocles » المعروف باسم « ديوقليديانوس — Diocletianus » [٣٧] الذى قام باعدام قائد الحرس البرايتورى « آريوس آبر — Arrius Aper » بنفسه . وقد أكمل « دقلديانوس » مشاوره فى الصراع حيث تقابل مع خصمه « كارينوس — Carinus » ابن الامبراطور السابق عند سهل « مارجوس » (موراقيا) فى معركة رهيبة كاد « كارينوس » ان ينتصر

---

(34) Cf., Johes (T.B.), C. phil., 1942, pp. 193 ff; Meloni (ɒ). Il regno di caro, 1948, pp. 106 ff .

(35) Cf., Ensslin (W), P.W., s.v., Valerius (142), 2424 f.

(٣٦) راجع سيد احمد الناصرى (المرجع السابق ، ص ٢٨٥ .

(37) Cf Costa (C), Ruggiero Di Zionario Epigrafico di Antichita Romana, 1886, II. 1793 ff.

لولا اغتياله بخنجر مسموم صنعه أحد التـرابنة الـذين اغتصـب « كارينوس » زوجته ، بذلك قبلت قواته « دقلديانوس » امبراطورا ٢٨٥ م [٣٨] .

اضطرابات خارجية :

ويبدو أن الأوضاع الداخلية كانت لها آثارها على كيان الامبراطورية خارجيا وفى الاخطار التى أحدقت بها خلال القرن الثالث وخاصـة فى النصف الثانى من القرن الثالث الميلادى . فبالاضافة الى المفاسد والمشاكل الداخلية ، فقد تعرضت الامبراطورية الرومانية لأخطار خطيرة نتيجة لهجمات أعدائها المجاورين الذين ترقبوا الفرص للانقضاض على حدودها مستغلين فترة القلاقل والاضطرابات والصراعات الداخلية . فقد أغار الفرنجة على أراضى الراين ادنى عام ٢٣٥ م وأعادوا الكرة عام ٢٥٦ م [٣٩] ، والقوط الذين اجتاحوا اقليم « داشيا » ثم «مواشيا» عام ٢٥١ م واستقروا به الى أن طردهم الامبراطور « كلوديوس » عـام ٢٩٨ م [٤٠] . ثم هجمات الالمان على ممرات الالب مهددين خطوط دفاع الامبراطورية الشمالية . ووصلت حدود أبعاد اخطـار الامبراطورية الى شمال أفريقيا والتى تمثلت فى هجمات البدو البربر الرحل على الحدود الصحراوية لولاية افريقيا الرومانية عهد الامبراطور « فاليريان — ٢٥٣ — ٢٦٠ » بالصورة التـى أصـبحت تقلق أمن الامبراطورية ، خاصة بعد أن تعددت هذه الهجمات بشكل متكرر — بحيث انتقلت العدوى الى آسيا الصغرى — والتى تمثلت فى هجمات

(38) Cf., Jones (A.H.M), Martindale (J), and Morris (J), The Prosopography of the Later Roman Empire, Col. I (A.D. 260-385). Cambridge Umiversity, Press 1971, pp. 37 ff.

— كذلك راجع سيد أحمد الناصرى (المرجع السابق) . ص ٣٨٦ .

(39) cary (M), A History of Rome down To the Reign of constanine, London 1938, pp. 723 ff.

(40) Cambridge. Med. Hist., Vol I, pp. 204 - 206 .

قبائل البربر من عنصر « اللان » من جهة الشمال الشرقى عبر القوقاز، بشكل أصبح يهدد أمن واستقرار الامبراطورية (٤١) . وربما كان من أخطر اللحظات التى أحدقت بالامبراطورية الرومانية هجمات الفرس الساسانية التى هددت أقليم أرمينيا وبلاد ما بين النهرين وسوريا عام ٢٣٣ م ، وأصبح خطرها شوكة قائمة فى جسم الامبراطورية — زادت من حدتها بهجوم للفرس وانزال الهزيمة بالامبراطور « فاليريان» واسره عام ٢٥٩ م (٤٢) . وبرغم أن بعض الاباطرة قد تمكنوا بعد ذلك من احراز شيء من الانتصارات الجزئية على الفرس ، الا أن هذه الانتصارات لم نكن من القوة لوقف الخطر الفارسى المتكرر (٤٣) .

السلطة الرباعية وأثرها فى متغيرات العلاقات الرومانية المسيحية :

ولقد ادرك « دقلديانوس » مدى الاخطار التى تلاحق كيان الامبراطورية داخلياً وخارجيا ، وأن سلطة الامبراطور غير كافية لحماية الامبراطورية دون مساعدة من المساعدين والقواد وحكام الولايات . وان شئون الامبراطورية تستوجب ان يكون هناك نائب للامبراطور يتولى مسئولية الدفاع عن الولايات الغربية حتى يتفرغ الامبراطور لحماية الجبهة الشرقية .

ولهذا كان اختياره لأقرب الناس اليه ورفيقه فى السلاح وهو « ماكسيميانوس — Maximianus » (٤٤) الذى رقاه الى رتبة « قيصر — Caesar » ثم الى مستوى « اغسطس » فى عام ٢٨٦ م تكريما له على انجازاته فى استتباب الأمن فى المنطقة الغربية بعد أن

(41) Thompson (L.S.), The Middle Ages. Vol I, pp. 16 ff; cf., Remindon (R), La Crise du Mond Romain de Mar-Aurele a Anastase, 2nd. Ed., Paris 1970, pp. 252 ff.

(42) Cary, op. cit., pp. 724 ff.

(43) Moss (L.B.), The Birth of the Middle Ages London 1925 pp. 6. ff.

(44) Cf., C.H.V. Sutherland, R.I.C., vi., 15 ff

سحق الثورة فى منطقة الغال وطارد الالمان حتى حدود الامبراطورية شرق الراين . وعندما ادرك « دقلديانوس » مدى النتائج الايجابية التى حققها مع نائبه فى المجال السياسى والعسكرى — ثمرة نظام توزيع المسؤلية — قرر عام ٢٩٣ م توزيع السلطة الامبراطورية على أربعة ، والتى عرفت بالنظام المسمى بالسلطة الرباعية «Tetrarchia» — وذلك بتعيين نائب له ونائب لشريكه « ماكسيميانوس » — وهذان النائبان كانا بدرجة قيصر أو ولى العهد [٤٥] . وبناء على ذلك فقد اختار « دقلديانوس » نائبه ، وكان فلاحا الليريا جاء من تحت السلاح وهو « جايوس جاليريوس — Gaius Galrius » [٤٦] الذى كان على دراية تامة بالشئون العسكرية والاستراتيجية . أما شريكه « ماكسيميانوس » فقد اختار نائبه وكان أيضا فلاحا الليريا ترقى تحت السلاح وهو « قنسطنطيوس — Constantius » المشهور باسم « خلوروس — chlorus » أى ذو « الوجه الشاحب » [٤٧].

وبذلك قسمت ادارة الامبراطورية بين الأقطاب الأربعة ، وأصبح لكل منهم منطقة التى يديرها من خلال دارته بعاصمته — حيث أوكل الى « اكسيميانوس » حماية المناطق الشمالية متخذا من «ميلانو» عاصمة له شمال ايطاليا — فى حين أوكل الى « قنسطنطيوس » ولاية بلاد الغال وبريطانيا متخذا من مدينة « تريفيس — Treves » عاصمة له . أما « جاليريوس » فقد أشرف على منطقة البلقان وآسيا الصغرى متخذا من مدينة « صيرميوم — Sirmium » عاصمة له . بينما تولى « دقلديانوس » حماية المقاطعات الشرقية وجعل من مدينة « نيقوميديا — Nicomedia » المواجهة لمدينة بيزنطة

---

(45) Cf., Seston (W), La Tetrarchie, 1946, pp. 69 ff.

(46) cf., C.H.V. Sutherland, R.I.C., vi., 15 ff

(٤٧) سيد احمد الناصرى (المرجع السابق) . ص ٢٠٢ وما بعدها.

عاصمة له [٤٨] . ونلاحظ أن القوانين والقرارات كانت تصدر باسم الأقطاب الأربعة — وكانت ملزمة وتحترم من الجميع مع احتفاظ كل منهم بشخصيته الفردية المطلقة — وأنه برغم تطبيق سياسة « اللامركزية – decentralization » فقد بقيت الامبراطورية متحدة فى اطار حدودها وقوتها العسكرية [٤٩] .

ولقد لنكب كل طرف من الأقطاب الأربعة فى اثبات قدرته على تأمين حدوده ، والحفاظ على كيان ووحدة الامبراطورية ؛ حيث استطاع « جاليريوس — Galerius » خلال الفترة من ٢٩٤ — ٢٩٧ م من القيام بحملات دفاعية ضد القوط والصرماتيين فى منطقة الدانوب مع بناء الحصون والقلاع واستصلاح الأراضى وتوزيعها على المستوطنين الجدد .

أما « قنسطنطيوس Constantius » فقد قام بعمليات عسكرية ضد « كاراوسيوس Carausius » [٥٠] فى بحر الشمال وهزمه واستولى على بولونيا وطرد الفرنجة والجرمان من المناطق المطلة على بحر الشمال . بيد أن « كاراوسيوس » قد أغتيل وانتهت لامبراطورية من مشاكله الى الأبد عام ٢٩٣ م [٥١] ، وفى عام ٢٩٦م

---

(٤٨) راجع سيد احمد الناصرى (المرجع السابق . ص ٤٠٤ .

(49) Cf., Seston (W), La Tetrarchie, 1946, pp. 72 ff.

(٥٠) قائد بحرى المانى اوكل اليه « ماكسيميانوس » قيادة قاعدة بحرية فى بولونيا — الا انه وسع نفوذه الى بريطانيا واعلن نفسه امبراطورا « اغسطس » منفصلا عن الامبراطورية الرومانية . راجع :

— Cf., webb (P.H.), Reign and coins of carausius. 1906; colingwood-Myres, Roman Britain 2, 276 ff.

(51) Cf., C.H.V. Sutherland, in Roman Britain, 1937. 62 ff; R.A.G., Carson, Journ. Brit. Arch. Assoc., 3, pp. 33 ff; Frere. Britannia, 335 ff

غزى « قنسطنطيوس » بريطانيا وأعاد السيطرة الرومانية عليها من الجنوب الى الشمال حتى حائط هدريان — ثم أعاد مقر قيادته فى مدينة « تريفيس Treves » بعد أن قام بتجميلها لتصبح من أهم مدن الامبراطورية فى الغرب .

أما عن انجازات « دقلديانوس » فقد كانت وساما على صدر الامبراطورية الرومانية حيث شملت مناطق كبيرة من شرق الامبراطورية — فأخمد الثورة القومية فى الاسكندرية عام ٢٩٧ م التى تزعمها الزعيمان « أخيليوس Achilleus » و « لوكيوس دوميتيوس دوميتيانوس — Lucius Domitius Domitianus » والتى اندلعت نتيجة للسياسة الاقتصادية المجحفة التي أقرها والتى تمثلت فى الغلاء الفاحش والضرائب التعسفية . فقام باعدام الثوار ، والقضاء على الثورة الاجتماعية التى عرفت باسم « الثورة المانيخية Manchaean » (٥٢) — بينما عامل السكندريين معاملة حسنة ووزع عليهم القمح — واستمع الى قياداتهم . وقد أقام له والى مصر « بوستيموس » نصبا تذكاريا اعترافا بجميله على المدينة ، وهو عبارة عن عمود ضخم داخل السيرابيوم المقدس بمنطقة الحى الوطنى . كما أمن « دقلديانوس » حدود مصر الجنوبية من هجمات القبائل « البشارية — Blemmyes » حيث وطن احدى القبائل الموالية

---

(٥٢) عرفت بهذا الاسم نسبة الى المبشر « مانى — Mani » الذى بشر بالصراع بين الشعب والحاكم الظالم وقد وصلت دعوته الى مناطق كثيرة ومنها مصر ، راجع : سيد احمد الناصرى (المرجع السابق) لتلك الثورة مدعم بالمراجع — كذلك ارجع الى :

— Cf., H.C. Puech, Le Manicheime, 1949; Widengren (G), Mani und der Manichaismus (1961, E.T. 1965) Bibliography, C.A.H., XII. 773 ff.

للرومان فى الأراضى الواقعـة جنوب الشلال الأول لكى تتولى صـد أى هجوم خارجى (٥٣) .

كما كانت لانتصـارات « دقلديانوس » شرقا على الفرس أكبر الأثر فى استتباب أمن وسلام الامبراطـورية ، فقـد استطاع « دقلديانوس » استدعاء مساعده « جاليريوس » لرد خطر الغـزو الفارسى الذى قام به ملك الفرس « نارسيس » مستغلا انشـغال « دقلديانوس » فى اخماد ثورة الاسكندرية ـ وقام بغزو أرمينيـا وسـوريا ، وبرغم هزيمـة « جاليريوس » الأولى فى « كالنكيوم ـ Calhnicium » عام ٢٩٧ م الا أنه حقق النصر بعـد ذلك بعـد أن استعاد قواته عام ٢٩٨ م ، فهاجم أرمينيا ـ ودخل « كتيسيفون » وأسر الأسرة الملكية مما أرغم الفرس الى الصلح ، وبذلك استردت روما ولاية ما بين النهرين ، ومملكة « أرمينيا » والطريق البرى بين سوريا حتى الخليج الفارسى ـ مع الزام الملك الفارسى على أن يدفع التجار للضرائب والمكوس الخارجية لروما عند قلعـة « ينسيس » قرب نهر دجلة ـ مدعمين انتصار روما الساحق على الفرس الذين لم يجرأوا على تحدى روما لأكثر من خمسين عاما قادمة (٥٤) .

وبذلك فقـد حققت السلطـة الرباعيـة التى وضع قواعـدها « دقلديانوس » أكبر استقرار لأمن وسلامة الامبراطورية على مر تاريخها الطويل .

---

(٥٣) عن زيارة دقلديانوس للاسكندرية (راجع) :

Cf., La revolte de Domitius Domitianus et le voyage en Egypte de dioclétion d'apres le temoignage des papyrus et des Ostraka, Revue des Etuds Grecques, 97, 1966. pp. IX, X.

(٥٤) سيد أحمد الناصرى (المرجع السابق) . ص٤٠٧ ، ص٤٠٨ .

نقطة التحول ضد المسيحية :

كانت لانجازات السلطة الرباعية أكبر الأثر فى انتعاش الوضع العــام داخل الامبراطورية الرومانيــة ، وخاصــة بعــد الاصلاحات الدستورية التى وضع أصــولها « دقلديانوس » فى الناحية الادارية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية(٥٥) • وقــد شعر كل مســؤل رومانى وفرد بمدى الدور الايجابى الذى شارك كل منهم فى ارســاء دعائم الاصلاح فى الامبراطورية •

وأمام ذلك فقد أحس الرومان بسلبية المسيحيين وانطوائهم وعدم تعاونهم فى تلك الفترة الحرجة من تاريخ الامبراطورية ، وانه كان من الواجب أن يرد المسيحيين الجميل بعد أن أخذوا حريتهم فى العبــادة واستظلوا بمظلة التسامح خلال هذه الفترة• فهاجمهم بشدة المتطرفون الوثنيون منتهزين هذه الفرصــة لاظهــارهم بمظهر الخــارجين على الاجماع الوطنى والمنشقين عن التراث الوطنى القديم فى سبيل عقيدة جديدة وافدة من الشرق [٥٦] • وكان لذلك الوضع أكبر الأثر فى تغيير شخصية ونفسية « دقلديانوس » ضد المسيحيين ، وخاصة بعــد تلك السياسة التسامحية التى منحهم اياها ، وبعــد أن اتخــذ المسيحيون وضعهم فى سلك الجيش الامبراطوري وداخل الدولة ، وتسللوا داخل القصر الامبراطورى نفسه ، كما أن التنظيم الدقيق الذى قامت عليه الكنيسة جعل من الشعب المسيحى دولة داخل الدولة [٥٧] •

---

(٥٥) راجع : اصلاحات دقلديانوس — سيد احمد الناصرى (المرجع السابق) ص ٤٠٨ وما بعدها — حيث لم نعرض لها حفاظا على مضمون البحث من الناحية الشكلية والموضوعية •

(56) Cf., Jones (A.H.M.), The Decline of Ancient Rome, Longmans 1966, pp. 89 ff.

(57) Cf., Glover (T.R.), The conflict of Religions in the early Roman Empire, London 1920, pp. 33 - ff.

وقد وجه المفكر المسيحى « لاكتنيوس — Lactantius » (٥٨) الذى كان يقيم فى قصر « دقلديانوس » فى نيقوميديا ويشرف على تربية الأمير « قسطنطين » بن « قسطنتيوس » نائب الامبراطور فى الغرب — أصابع الاتهام الى « جاليريانوس — Galerianus نائب « دقلديانوس » فى الشرق وألد أعداء المسيحية ، والى « هيروقليس — Hierocles » حاكم ولاية بيثينيا وصاحب الرسالة المشهورة القائمة على منطق الأفلاطونية الجديدة والتى بعث بها الى « دقلديانوس » طالبا منه الشروع فى تصفية المسيحية (٥٩) .

وتطورت مراحل الاضطهاد من قبل « دقلديانوس » ضد المسيحين لتصفيتهم — حيث أصدر أمرا يلزم الجنود والضباط فى للجيش الامبراطورى بتقديم القرابين والأضاحى لآلهة الامبراطورية القديمة وجعل عقوبة الطرد من الخدمة لكل من يرفض تطبيق الأوامر . واعقب ذلك باصدار قرار امبراطورى « Ecict » بتصفية الكنائس المسيحية وتدميرها وأحراقها الاناجيل ، وتحريم الصلاة فى الكنائس أو القيام بأية شعائر مسيحية كما ألغى قرارا سابقا كان قد سمح للمسيحين بالدفاع عن أنفسهم أمام المحاكم والقضاء الرومانى . .

وفى عام ٣٠٣ م هاجم الحرس الامبراطورى الكنيسة الصغيرة المواجهة للقصر الامبراطورى فى نيقوميديا وأشعل النيران بها — وقاموا بتعذيب واحراق كل معترض على قرارات الامبراطور — وتصادف ذلك نشوب حريق مرتين بالقصر الامبراطورى على مدى أسبوعين وجهت فيه أصابع الاتهام الى المسيحيين كرد فعل أمام تطور الاحداث

(58) Cf., Brandt (S) and Laubmann (G), Corpos scriptions Ecclesiasticorum Latinorum, 1866 X, xix, xxvii; Moreau (J), De la Mart des Perseecyteurs, sources chretiennes, 39 (1956); Blakeney (E.H.), Epitome, 1950, p. 122 f.

(٥٩) سيد أحمد الناصرى (المرجع السابق) . ص ٤٢ .

ضدهم — وتم القبض على عدد كبير منهم وسجنهم وتعذيبهم حتى الموت [٦٠] . كما اندلعت بعض الثورات فى سوريا « وكابادوكيا » كان المسيحيون هم كبش الفداء ؛ حيث وجهت اليهم أصابع الاتهام — وجاء رد فعل « دقلديانوس » فى منتهى القسوة حيث أمر بالقبض على القساوسة والكهنة وايداعهم السجون التى امتلأت بهم ؛ ثم جاء قرار « دقلديانوس » الثالث عام ٣٠٤ م أثناء فترة مرضه ، يقضى بالأفراج والعفو عن المسيحين مقابل تقديم الاضاحى للآلهة الرومانية أو تنفيذ حكم الاعدام . وقد أرجع المسيحيون صدور هذا القرار الأخير الى حقد « جاليريانوس » ضد المسيحين — وان كان من المرجح هو اخضاع رعايا الكنيسة لسيادة الدولة المطلقة [٦١] .

ويلاحظ أن القرارات الثلاث التى أصدرها « دقلديانوس » ضد المسيحين قد طبقت فى جميع ولايات الامبراطورية بنسب متفاوتة — حيث طبقها « جاليريانوس » بكل دقة وقسوة فى الشرق . أما « قنسطانطيوس » فقد نفذ القرار الأول بينما تباطأ فى تنفيذ القرارين الاخرين لشعوره ان بعض الوثنيين فى مصر والشرق بدأوا يتعاطفون مع المسيحيين ويساعدونهم من بطش الجنود فى الولاية [٦٢] .

وكان لمرض « دقلديانوس » الشديد اكبر الأثر فى اعتزاله وانكماشه عن الظهور فى المناسبات الرسمية — وفى بداية شهر مارس عام ٣٠٥ م أعلن « دقلديانوس » اعتزاله فى حفل تكريم كبير حضره عدد كبير من قواده فى نيقوميديا — وفى نفس الوقت اعلن « مكسيميانوس » صديق عمره فى ميلان اعتزاله الحكم أيضا وفاءا

---

(٦٠) جيبون (المرجع السابق) ص ٦٧ وما بعدها .

(61) Cf., Rostovtzeff, A History of the Ancient world, vol 2, OxFord 1953 pp. 350 ff.

(٦٢) سيد احمد الناصرى (المرجع السابق) . ص ٤٢٣ .

لعهد قطعه على نفسه أمام « دقلديانوس » ان يترك الحكم معه فى وقت وأحد . حتى يعطيا الفرصة للآخرين تطبيقا للنظام الذى وضعاه فقام « دقلديانوس » بتعيين « قسطانطيوس » — خلفا لما كسيميانوس فى الغرب — مشرفا على ولايات بلاد الغال ، وبريطانيا وأسبانيا وموريتانيا ، بينما عين « جاليريوس » خلفا له فى الشرق مشرفا على منطقة البلقان وآسيا الصغرى . وقد اختار « جاليريوس » ابن شقيقه ويدعى « ماكسيمينوس دايا — Maximinus Daia » نائبا له بدرجة قيصر لحكم الشرق ، وأن يوكل اليه ولايات آسيا الصغرى وسوريا ومصر . أما « قسطانطيوس » فقد اضطر الى ان يتخطى ابنه ويختار رجلا آخر هو « فلافيوس فاليريوس سيفيريوس — Flavius valerius Severus » ليشغل منصب نائبه فى الغرب وان يؤكل اليه حكم ايطاليا وافريقيا وبانونيا . وبذلك أهمل « ماكسينتيوس — Maxentius » ابن ماكسيميانوس ، كما أهمل قسطنطين ابن قسطانطيوس (٦٣) .

الصراع من أجل الحكم والبقاء :

وبتنحى الامبراطور « دقلديانوس » العرش عام ٣٠٥ م بعد بلوغه سن الستين ، تبدأ مرحلة جديدة من التوتر وعدم الاستقرار — قيام الحروب الأهلية التى أستمرت ما يقرب من سبع عشرة سنة — وبرزت خلالها شخصية قسطنطين ، الذى استطاع أن يتغلب على خصومه ومنافسيه واحدا بعد الآخر حتى توحيد الامبراطورية الرومانية مرة أخرى سنة ٣٢٣ م (٦٤) .

---

(٦٣) سيد احمد الناصرى (نفس المرجع) . ص ٤٢٣ .

(64) Vasiliev (C), Histoire de L'Empire Byzantin, Tome 1, 1932 pp. 80 ff.

ولقد بدأت ملامح هذا الصراع بموت « قسطنطيوس خلوروس» فجأة عام ٣٠٦ م ، وهتفت قواته بابنه « قسطنطينوس » وريثا له دون استشارة « جاليريانوس » الشريك فى حكم الامبراطورية والـذى رضخ للامر الواقع بتعيين « قسطنطيوس » بدرجة قيصر مثله مثـل « ماكسيميانوس دايا » ، بينما رقى « سيفيريوس » الى درجـة الامبراطور الشريك — بيد أن « ماكسنتيوس » ابن « ماكسيميانوس » الامبراطور المعتزل أعلن احقيته هو الآخـر فى تولى العرش مثـل قسطنطينوس تماما — واعلن النضـال والقتال من أجل الحق — ثم استدعى أباه من عزلته فى التقاعد ليساعده — حيث تمكنا من اثـارة ايطاليا وكسب تأييدها ، وكذلك ولاية افريقيا • ومن ثم اشتعلت كوة الصراع الدامى لى أشده بين المتنافسين من أجل الحكم والبقاء • وكثرت الحروب والانقلابات والمؤامرات والمعاهدات والتحالفـات — ورفع القياصرة (النواب) السلاح فى وجه الاباطرة (وقد حدث ذلك كله وما يزال دقلديانوس على قيد الحياة فى مقر تقاعده) • وفى خلال الفترة ما بين ٣٠٧ — ٣١١ م انحصر الصراع على السلطة بين خمسة أقطـاب (١ — جاليريـوس • ٢ — وماكسنتيـوس • ٣ — وماكسيمينوس • ٤ — وليكينيوس (Licinius) الذى حل محل سيفيروس • ٥ — وقسطنطين) [٦٥] •

ولقد توفى جاليريانوس عام ٣١١ صريعا لمرض خبيث أودى على بقية حياته ، وسقط بعد ذلك « ماكسنتيوس » عام ٣١٢ م نتيجـة للصراع مع قسطنطين عند جسر « ميلفيا (Milvian) » على نهـر التيبر بعد هزيمة قواته على يد ليكينيوس [٦٦] — وجدير بالذكر أن

---

(٦٥) سيد احمد الناصرى (المرجع السابق) • ص ٤٢٦ •

(66) Cf., cam., Med. Hist., vol. I, pp. 5 - 6.

« ماكسنتيوس » كان مسيحيا فى الأصل ثم ارتد الى الوثنية بعد ذلك (٦٧) .

ونتيجة لذلك فقد انحصر الصراع على عرش الامبراطورية بين القائدين « قسطنطينوس » و « ليكينيوس » الذى تزوج من شقيقة الاول عام ٣٢٤ م ؛ بيد أن ذلك لم يمنع أو يحجب أطماع كل منهما فى السيطرة والسلطة المطلقة — فكان لابد من حليف قوى يشد من أذر الفطن الى ذلك . وقد أدرك « قسطنطين » ان يكسب التأييد المعنوى للمسيحين ركيزة للاستقرار والسيطرة .

موقف الصراع من المسيحية :

وقد ظل الاضطهاد الوثنى للمسيحية قائما بعد اعتزال دقلديانوس واستمر يمارس بعنف فى الدوقيات التابعة لجاليريوس فى الليريكوم وتراقيا وآسيا الصغرى ؛ كما طبقها بقسوة « ماكسيمينوس دايا » فى الدوقيات التابعة له فى مصر وسوريا — حيث كان «ماكسيمينوس» يصدر ضدهم الاحكام بالتمثيل والتشويه الى الاحكام الشاقة فى المناجم والمحاجر — واستخدام صنوف الوان التعذيب والتنكيل التى وصلت حد القتل للنساء والاطفال والشيوخ الذين يرفضون تقديم القرابين والاضاحى للآلهة الوثنية ويتخذون عن العقيدة المسيحية . وقد حاول ماكسيمينوس احياء المعابد القديمة وبناء معابد كبرى جديدة للآلهة الوثنية ؛ كما قام بانشاء كنيسة على نفس النمط الكهنوتى الذى قامت عليه المسيحية كنوع من الخلط والطمس للكنائس المسيحية والتشبيه بها فى تنظيم وثنى . ويبدو ان « ماكسيمينوس » كان ينفذ

(٦٧) من المرجح لارضاء الرية « روما » : راجع :
— Cf., De Decker, La politique religieuse de Maxence) e, Byzantio, xxx, A III, 1968

تعاليم « جاليريانوس » التعسفية ضد المسيحيين (٦٨) . وفى عـام ٣١١ م تعرض « جاليريانوس » لازمة مرضية شديدة تمثلت فى مرض خبيث وصفه المسيحيون بأنه انتقام الرب ضد الظالم . ويبدو أن مرض « جاليريانوس » الشديد قد اشعره بمدى الظلم الذى أوقعه على المسيحيين وأن عمليات الاضطهاد والتنكيل أصبحت لا تجـدى بل أتت بنتائج عكسية ، اذ زاد من ايمان المسيحيين بالله وبدينهم ، وازدادت الكنيسة قوة وصمودا ، وسرت فى المسيحيين نشوة الشهادة والبطولة والاصرار على العقيدة — فقرر وقف الاضطهاد والمذابح ضدهم لعدم جدواها ولأنها أثرت فى بث دعائم الاضمحلال والانهيار فى جسم الامبراطورية وأدت الى تعطيل مصادر الدخل فى مجال الـزراعة والصناعة والتجارة ، وتدهور الحياة الاجتماعية وتفككها وانتشـار المجاعات بين الطبقات الدنيا (٦٩) .

أمام ذلك أحس « جاليريانوس » بعقدة الذنب تجاه المسيحيين ولن الوقت قد حان لتكفير الذنوب ومحاولة اصلاح ما يمكن اصلاحه واسترضاء الرب فى تلك المرحلة الحرجة من الحياة — ومن ثم كان قراره للتسامح :

مرسوم جاليريانوس للتسامح
Edict of Toleration

ففى عام ٣١١م(*) أصدر « جاليريانوس » قراره الشهير للتسامح

---

(٦٨) راجع : يوسابيوس القيصرى ، تاريخ الكنيسة » ترجمـة : القمص مرقس داود — ص ٤٣٠ وما بعدها .

(٦٩) سيد أحمد الناصرى (المرجع السابق) . ص ٤٣١ ، ٤٣٢ .

(*) يدخل هذا التاريخ ضمن فترة تاريخ أوربا فى العصور الوسطى والذى يبدأ ببداية القرن الرابع الميلادى . بيد أن مؤثرات نهاية القرن الثالث لا يمكن تجزئتها عن بداية القرن الرابع — هذا من ناحية ، ومن ناحيـة أخرى فقد عرفت فترة تاريخ روما حتى سقوطها عام ٤٧٦ م على يـد الجرمان يقع ضمن الفترة الخاصة بدراسة تاريخ الامبراطورية الرومانية وهى تتبع التخصص الدقيق للتاريخ القديم اليونانى الرومانى .

الدينى (Edict of Toleration) يحمل اسمه ، وأسمى ليكينيوس ، وقسطنطين تألقت فى ديباجته المشرقة الالقاب الامبراطورية ثم جاء بعده [٧٠] :

« من بين المهام الخطيرة التى تشغل أذهاننا ، من أجل مصلحة الامبراطورية والحفاظ عليها ، أن اتجهت ارادتنا الى تصحيح كل الأوضاع ، واعادة بنائها ، وفقا للقوانين القديمة ، والنظام العام عند الرومان . وانا لشديدو الرغبة ، بصفة خاصة ، فى أن نهدى الى طريق العقل والطبيعة أولئك المسيحيين المضللين الذين نبذوا الديانة والطقوس التى شرعها اباؤهم ، والذين تبجحوا فازدروا شعائر الأقدمين ، ومن ثم ابتدعوا قوانين وآراء متطرفة ، أملاها عليهم خيالهم ، وشكلوا مجتمعا متعدد الألوان فى مختلف أرجاء الامبراطورية، ان المراسيم التى أصدرناها لفرض عبادة الآلهة ، عرضت كثيرا من المسيحيين للخطر والكروب ، فقضى الكثيرون نحبهم ، على حين ظل عدد أكبر سادرين فى حماقتهم الملحدة حيث جردوا من الحق فى الممارسة العلنية للدين ، ومن هنا اتجهت ارادتنا الى أن نبسط مزايا رأفتنا المألوفة على هؤلاء الأفراد التعساء . ولذلك نرخص لهم فى اعلان آرائهم الخاصة فى حرية تامة ، وفى عقد اجتماعاتهم السرية دون خوف أو ازعاج ، شريطة أن يظهروا دوما الاحترام اللائق للقوانين والحكومة القائمة ، ولسوف نوضح مقاصدنا للقضاة وللحكام ، فى مرسوم آخر ، وانا لنأمل أن يحفز تسامحنا المسيحيين الى الصلاة والتضرع الى الاله الذى يعبدون ، من أجل سلامتنا ورخائنا . وسلامتهم ورخائهم هم أنفسهم ، وسلامة الجمهورية ورخائها » .

---

(٧٠) راجع جيبون (المرجع السابق) . ص ٤٧٩ ، ص ٤٨٠ ، يوسابيوس القيصرى « تاريخ الكنيسة » ك ٨ ف ٧ . ص ٤٢١—٤٢٣ ، اسحاق عبيد « الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية » —١٩٧٢— ص ٥٣ .

ويبدو أن مرسوم « جاليريانوس » كان على الأقل صورة صادقة لشعور الامبراطور المحتضر والذى كان بمثابة تعهد باخلاصه — وان توقيع « جاليريانوس » على مرسوم التسامح هذا كان على يقين بمدى مسايرة « ميسينيوس » لنزعات صديقه الحميم ؛ وأن أى خطوة فى صالح المسيحية كانت ستحظى برضاء قسطنطين (٧١) . أما الامبراطور « مكسيمينوس » فقد كانت اتجاهاته واضحة بحيث أن « جاليريانوس » لم يكن ليجرؤ أن يضع أسمه فى ديباجة المرسوم ، والذى كان قد تولى بعد ذلك بأيام قلائل حكم ولايات آسيا . وفى الشهور الستة الأولى من حكمه تظاهر بمدى التزامه بالنصائح الحكيمة لسلفه . وتجلى ذلك من خلال توجيهات رئيس حرسه « سابينوس » الذى أصدر توجيهات عديدة الى الولاة والحكام فى الولايات يحثهم على غض الطرف عن محاكمة وعقاب الاساقفة واطلاق سراح المسجونين المسيحيين .

بيد أن ذلك الاستقرار والسلام لم يدم طويلا — حيث أن الخرافة (العقيدة) والقسوة كانتا كامنتين فى شخصية «مكسيمينوس» الذى كان مثابرا على عبادة الآلهة ودراسة السحر والايمان بالوحى ومجالسة الفلاسفة الذين اثروا عليه واقنعوه بأن المسيحيين مدينون بانتصاراتهم الى نظامهم الدقيق ، وأن ضعف المشركين ناتج عن افتقارهم الى وحدة رجال الدين واحكام الرياسة والتدرج بينهم ؛ وأمام ذلك فقد أمر « مكسيمينوس » باصلاح المعابد وتجميلها فى كل المدن الكبيرة فى أنحاء الامبراطورية وأخضع الكهنة القائمون على خدمة مختلف الآلهة (٧٢) . وقد وصلت بتأثير الحكام وتأثير هذا النظام الكهنوتى رسائل كثيرة الى الامبراطور تنم عن الطاعة وخاصة

(71) Cf., Hardy (E.G.), Christianity and the Government, 1906, pp. 66 ff.

(٧٢) جيبون (المرجع السابق) . ص ٤٨١ .

من مدن « نيقوميديا وانطاكية وصور » — وتستحس وتلتمس من الامبراطور أن يلجأ الى قوانين العدالة ، وابعاد المسيحيين الى خارج بلادهم . ولنا أن نتصور مدى صور الاضطهاد والتعسف التى عانى منها المسيحيين خاصة فى آسيا الصغرى أمام جبروت وقسوة حاكم عنيد متعصب دبر كل صنف الغدر والعنف بمثل هذه السياسة المقصودة والمدبرة .

موقف قسطنطين من المسيحية :

ويبدو أن قسطنطين قد أحس بمدى ما حققه من نجاح بعد جولاته فى الصراع مع المنافسين — وأنه يجب تحقيق كسب كبير يضم المسيحيين الى جانبه خاصة بعد تلك النبؤة المبشرة بالنصر — والتى اتسعت رؤيتها بعد رواية « لاكتانتوس — Lactantius »[٧٣] . بأن قسطنطين قد أتاه الهاتف ليلة المعركة (جسر ميليفيا) (Milvian) وقد طلب منه ان يأمر جنوده بأن يكتبوا على دروعهم الحرفين الأولين من أسم السيد المسيح (خريستوس — Christos)[٧٤] . وقد أشار « يوسيبيوس — Eusébe » بأن قسطنطين قد روى له أنه شاهد قبيل المعركة علامة الصليب رمز المسيحية ترسم عبر الشمس فى سماء روما عام ٣١٢ م ومن تحتها عبارة «en touto nike» أى بهذا سوف تنتصر[٧٥] . وخض المعركة باسم الصليب ، حيث حاصرت قواته ببسالة « ماكسنتيوس Maxentius » أمام التيبر ، ثم

---

(73) C.F., Lactantius, De mortibus persectorum, in P. L., Vol. VII; cf., Moreau (J), De la Mort des Persécuteurs, Sources Chretiennes, 30 (1965); Wlosok (A), Laktaniz Und die Philosophische Gnosis, 1960.

(74) cf., Cam. Med. Hist., Vol, I. pp. 5. 6.

(75) cf., Castritius (H), Studien Zur Maximinus Daia (M. Lassleben) 1969, pp. 12 ff.

دخوله روما بعــد ذلك فى اليوم الثانى منتصرا ليستعرض قواته — عارضا من خلال أحــد ضــباطه رأس « ماكسنتيوس » معلقــة على عربة وسط هتاف الجماهير بحياة المحرر والمنقذ قسطنطين [٧٦] — ثم مباركة السناتو له واعلان شرعيته وسلطانه المطلق على كافة ولايات الامبراطورية [٧٧] .

ولنا أن نتصور شعور المسيحيين أمام تلك الانتصارات المبجــلة بالصليب — وتلك الأحاسيس الفياضة والشعارات الجامعة والشموخ بفضل الصليب وقوة عقليته «Mentis magnitudine» النابعة من قوى الرب «Instinctus divnitatis» ، وهذا ما أعلنه قسطنطين بالفعل نحو فضل المسيح ووقوفه الى جانبه [٧٨] .

وبرغم ذلك فان قسطنطين قــد اســتمر فى احتــرام الديانات الأخرى الوثنية ، خاصة وأنه كان الكاهن الأعظم لهــا (Pontifex Maximus) ، وأنه بنى قوس النصر لرب الشمس ، وسك صــور الآلهة الوثنيــة على النقود . وأصبح يعمل على تقارب جميع المذاهب الدينية لتقف خلفــه فى صراعاته — ولنــا أن نتصور شعور الوثنية من مواقف قسطنطين المسيحية ، فقد كان بمثــابة الخــارج عن جلد أجداده برداء جديد غير مناسب [٧٩] .

ويبدو أن الأوضاع والأحداث قــد أملت على « قسطنطين » خط ثابت نحو المسيحية — والارتكاز على سياسة دينية قوية — تمثلت فى

---

(76) cf., Vasiliev, op. cit., Tome 6, p. 61; Eusebius, Vita Constantini (Schaf's ed).

— راجع سيد احمد الناصرى (المرجع السابق) ص ٤٢٧ .
«in hoc signo Vinces»

(77) cf., Eadie (J.W.) The Conversion of Constantine (European Problem studies, New York, and Winston 1971, pp. 35 ff.

(78) cf., Ostrogorsky, (T). History of the Byzantine State, London 1952, p. 43 .

(79) Cf., Eadie (J.W.,) op. cit., pp. 22 ff.

مؤثراتها فى المنطقة • وأن موقف المسيحيون من قسطنطين أصبح يمثل الحليف القوى لكلا من الطرفين • ومن ثم فقد كان من الأوفق تقديم المزيد من الطرفين للتقارب الأقوى • فأصدر « قسطنطين » بصفته الأغسطس الأعلى بين أقرانه أوامره الى « مكسيمينوس دايا » بوقف اضطهاد المسيحيين فى الشرق الأوسط — ثم أصدر أمرا فى عام ٣١٣ الى حاكم ولاية أفريقيا باصلاح الكنائس المهدمة ومساعدة أسقف قرطاجة « كايكيليانوس — Caecilianus » بالأموال اللازمة لتوزيعها على كهنة الكنيسة الأرثوذكسية فى شمال افريقيا (نوميديا — وموريتانيا) ، واعفاء الكهنة من الضرائب وكافة الأعمال والمناصب الالزامية (٨٠) •

وأمام ذلك فقد كان لزاما على قسطنطين احتضان هذه الطبقة العريضة وضمها بصفة دائمة الى جانبه دون أية قلاقل أو اى شعور من عدم الاطمئنان الذى كان صفة راسخة فى نفسية كل مسيحى • وأنه برغم ميول قسطنطين الظاهرة الى ايمانه العميق نحو المسيحية الا أن دوافعه غير المباشرة فى السيطرة والاستقلال بالسلطة كانت العامل الأساسى فى مواقفه من المسيحية • ويميل قراء العصر الحديث من البروتستانت والفلاسفة الى الاعتقاد بأن قسطنطين ، فى روايته عن تحوله الى المسيحية كان مسوقا بوازع من مصلحته ، وأنه قد استخدم مذابح الكنيسة بمثابة سلم مناسب يرقى الى عرش الامبراطورية فى اطار أمنى شامل • وان كان ذلك من الأمور التى يصعب الجزم بها اذا ما كان للدافع الدينى صفة مؤثرة على تصرفاته (٨١) • وان كانت نتيجة لأحداث الفترة الأخيرة من القرن الثالث وأثرها على تطور العلاقات الرومانية المسيحية •

---

(٨٠) سيد أحمد الناصرى (المرجع السابق) ص ٤٣٤ — كذلك راجع:
— cf., Coleman - Norton (P.R.,) Roman State and Christian Church, 1966, pp. 117 ff.

(٨١) حسين (المرجع السابق) ص ٥٨٢ .

مرســـوم ميـــلان

Edict of Milan

نقطة التحول فى العلاقات الرومانية المسيحية

يعتبر الاقرار العام للمسيحية (مرسوم ميلان عام ٣١٣) الذى أصدره قسطنطين بجعل المسيحية ديانة مرخصة Religio Licitia من أهم أحداث تاريخ الامبراطورية الرومانية ، وتاريخ أوربا خلال تلك الفترة — وأن جــزء كبير من العــالم لا يــزال محتفظــا بالأثر العميق الذى أحدثه تحول هذا العاهل الكبير الى المسيحية [٨٢] .

ولا شك أن ذلك المرسوم (Edict of Milan) كان حلقة الوصل بين مرحلتين فى غاية الأهمية — تتصل أحداهمــا بقسطنطين نفســه والامبراطورية ، والثانية تتصل بالمسيحية [٨٣] . أما عن المرحلة الأولى فهى حركة الوصل بين فترتى حكم قسطنطين قبل الاعتراف بالمسيحية وبعد الاعتراف (مرسوم ميلان) — فالفتــرة الأولى كانت تعكس صورة واضحة لمدى الاضطرابات والصراعات الدموية وعدم الاستقرار فى الحكم الذى كان قسطنطين يسعى الى توطيده . أما الفترة الثــانية وهى تتصل بروح الاستقرار والطمأنينة التى عمت أرجاء الامبراطورية بعد استقرار الحكم بسلطة قسطنطين المطلقة دون منافس مدعما بقوى عريضة من الشعب تجلت فى جمهرة المسيحية .

أما المرحلة الثانية فتتصل بفترة تطور مركز المسيحية من عهــد الاضطهاد والتعذيب حتى نهاية حكم دقلديانوس وجاليريانوس الى فترة الاعتراف والظهور والاستقرار والبقاء التى لم تجدها المسيحية فى أية

---

(82) cf., Baynes (N.H), Constantine the Great and the Christian Churh 1933, pp. 3 ff.

(٨٣) عن نص مرسوم ميلان راجع « يوسابيوس القيصرى » تاريخ الكنيســة — ك ١٠ ف ٥ ص ٤٩٧ — ٥٠٠ .

فترة سابقة • ويكفى أن نوضح أن قسطنطين بقرار الاعتراف (مرسوم ميلان) قد أعاد للمسيحية روحها المفتقدة — وانه باعتناقه لها كان الركيزة التى وطدت أركان هذه الديانة (٨٤) .

ولنا أن نستعرض ما ورد فى نص مرسوم « ميلان مرسوم » الاعتراف بالديانة المسيحية وهو نص الخطاب القرارى الذى أرسله قسطنطين الى حاكم « نيقوميديا » (٨٥) :

« لقد كان رأينا منذ وقت بعيد ألا تنكر الحرية الدينية على أحد بل كنا نهدف الى أن نضمن لكل فرد الحق فى ممارسة عقيدته التى يختارها ، ولقد سبق وأصدرنا أوامرنا على نحو يكفل للمسيحيين وغير المسيحيين التمتع بمعتقداتهم الدينية وبعباداتهم • على أن الشروط الكثيرة التى رهنت بها الحرية الدينية عند اصدار هذا القرار لم تمكن البعض من التمتع بالحرية الدينية كما ينبغى •

وعليه فانه من حسن الطالع عندما وصلنا نحن قسطنطين أغسطس ونحن ليسينيوس أغسطس الى مدينة ميلان ، ورحنا نتدارس سائر الأمور المتصلة بصالح الرعية ونفعها • فانه من بين الاجراءات الأخرى التى قصد بها الصالح العام ، أو بالأحرى من المسائل الحيوية التى استجوبت الأولوية فى العناية قرارنا بارساء قواعد تؤكد وتضمن الاحترام والتبجيل للرب : بمعنى أن يعطى المسيحيون وغيرهم الحرية فى العبادة التى تروقهم ، لعلنا بهذا والرعية التى نحكم عليها نحظى بفضل ومحبة القوى الربانية والسلطات السماوية الأخرى • وهذا هو القرار الذى توصلنا اليه بعد تمحيص ودراسة ، وغايتنا أن يهبنا الرب غياته وعطفه الشاملين مثلما أعطانا من قبل •

(84) cf., Jones. Later Rom. Emp., pp. 22 ff.

(٨٥) راجع اسحاق عبيد (المرجع السابق) ، ص ٥٧ — ٥٩ .

لقد وجدنا من الضرورى أن نرسل مرسوما يوضح هذا القـــرار اليكم حتى نؤكد لكم فيه أمرنا بالغاء ما ورد من شروط فى المرســـوم السابق بخصوص المسيحيين . هذا وعليكم مراعاة الغاء كل التحفظات السابقة التى لم يكن لها من مبرر والتى لا تتفق وروحنا الممثلة بالرحمة. والآن فانه يتحتم أن يتمكن كل واحد فرد له الرغبة فى اتباع تعاليم المسيحية وطقوسها من ممارسة هذا الحق كاملا ، دون تدخل يعوقه من تحقيق مراده هذا . كل هذه الأمور نحن نبسطها أمامكم لتتبصروا تماما، ولكى يتأكد لكم بصفة حاسمة أننا قد منحنا المسيحيين سابقى الذكـــر ترخيصا مطلقا فى أن يمارسوا عاداتهم فى حرية تامة . ولا يخفى على فخامتكم أننا بمنحنا هذا الحق على اطلاقه فاننا نسمح لمن يشاء من الرعية أن يمارس نوع العبادة التى يرتضيها لنفسه ، وهذا حق خليق بسمات عهدنا الميمون الذى يسود فيه الاطمئنان . ولا يعنى هذا أننـــا نقلل من شأن أية طقوس أخرى وعبادات أخرى .

وبالنسبة للمسيحيين فاننا نضيف القرار الآتى :

كنا قد حددنا فى الرسالة السابقة اليكم تعليمات خاصة فيمـــا يتصل بأماكن العبادة المسيحية والتى اعتادوا على الاجتماع فيها . والآن فاننا نقرر أنه اذا اتضح أن أحدا ما قـــد اشترى أماكن العبادة هذه فى شكل أو آخـــر بمال دفع من خزانتنا أو من مصدر آخـــر . فان عليه المبادرة بارجاع هذه الكنائس الى المسيحيين دون أن يتقـــاضى مالا عنها ودون أن يطالب بأية تعويضـــات . وهذا أمر لا نريد فيـــه اهمالا ولا أمهالا . وان كان أحـــد ما قـــد حصل على كنيسة من هذه الكنائس بصفة الهدية أو الهبة فعليه ارجاعها الى المسيحيين دون تباطؤ . وان رغب هؤلاء النفر من الناس المطالبة بتعويض فعليهم أن يلتمسوا هذا من أبواب كرمنا الامبراطورى : بأن يتقدموا الى قضاة وحـــكام مناطقهم ، وسوف نجزيهم بكرمنا خيرا .

وعلى فخامتكم أن تتصرفوا فى همة زائدة وفورية لكى نسلم هذه الممتلكات جميعا الى المسيحيين دون ابطاء • ولما كانت للمسيحيين الى جانب كنائسهم أماكن أخرى موقوفة على الجماعة المسيحية كجمعية هنا وهناك ، فان هذه الممتلكات أيضا يجب أن تعاد اليهم ويطبق فى صددها نفس القانون السابق ذكره • وهذا أمر لا يحتاج الى مماطلة أو مجادلة • وتنسحب مسألة التعويض سالفة الذكر على هذا البند أيضا •

ونحن نحثكم على أن تبذلوا كل ما فى وسعكم من طاقة وهمة لتنفيذ كل هذه الأوامر فى أسرع وقت ممكن حتى يتعرف الناس على كرم قراراتنا ، فتوطد دعائم السلام والأمن للرعية جميعا ؛ ذلك لأنه على ثقل هذا القرار وبحسن نوايانا كانت العناية الربانية معنا دواما ، ونأمل فى أنها ستظل علينا كما كانت من قبل الى الأبد ؛ ولكى يصل هذا القرار الى آذان الكل فانه يحسن بفخامتكم نشر ما جاء فيه ايذاع على الرعية ويصل الى كل المواطنين » •

وبمقارنة نص جاليريوس الذى صدر فى سنة ٣١١ بهذا النص الذى أصدره قسطنطين من ميلان فى عام ٣١٣ يتضح لنا الفرق الكبير بين المرسومين • ولا يخفى أن قسطنطين يهاجم جاليريوس — فى مرسوم ميلان — هجوما عنيفا وينتقده فى مرارة بالغة بسبب الشروط القاسية التى وضعها جاليريوس عند سماحه للمسيحيين بممارسة شعائرهم ؛ ولهذا كان اصرار قسطنطين فى رسالته الى حاكم نيقوميديا على الغاء كل ما ورد فى مرسوم جاليريوس من شروط مجحفة •

ولقد تطور ايمان قسطنطين بالمسيحية الى درجة اعترافه بحق الكنيسة فى البقاء كشريك مسئول معه فى حكم الامبراطورية • وقام بمنح المسيحيين المزيد من الامتيازات والاعفاءات • وأقر تشريعات الكنيسة كقانون اجبارى — حيث اعترف عام ٣١٨ م بشرعية الاحكام

التى تصدرها محاكم الاساقفة فى وراثة ممتلكات الشهداء بشرط ألا يكونوا قد كتبوا وصاياهم لغير الكنيسة (٨٦) .

وأعلن أن يوم الأحد هو يوم الرب – حيث يرخص ليكون عطلة لكل أجهزة الدولة المختلفة من مصانع ومحاكم وادارات (٨٧) . كما اختار شعار دولته للصليب الجديد «Labarum» الذى يحمل حرفى كلمة المسيح « خريستوس – Christus » (٨٨) وكان لذلك كله أثره الايجابى لتوطيد اركان العقيدة المسيحية بين معتنقيها – وبدأت مراحل التعمق المذهبى بحيث بدأت الكنيسة تشهد صراعا عقائديا كاد أن يهدد كيانها – والذى انحصر بعد ذلك فى اقطاب هذا الصراع بين المذهب « الأريوسى » (٨٩) – والمذهب « الاثناسى » (٩٠) – لتحديد العلاقة بين المسيح الابن والاله و الأب (٩١) .

---

(٨٦) سيد احمد الناصرى (المرجع السابق) . ص ٤٢٧ – كذلك راجع :

— Eadie (JW), op. cit., pp. 35 ff .

(87) cf., Jone s (A.H.M), Constantine and the Conversion of Europe, 1948, pp. 61 ff.

(٨٨) كان اختيار قسطنطين ليوم الاحد « dies Solis » الذى هو رب الشمس مرضيا لكل من المسيحيين وعباد رب الشمس – راجع :

— cf., Mestin (R), Le fête des Kalends de Janvier dans L'Empire Romain Etudes d'un rituel de nouvel an (Coll. Latomus Vol. 115), Bruxelles, 1970 .

(٨٩) عن المذهب الاريوسى وانتشاره – راجع :

— cf., Meslin (M), Les Ariens, L'occident (335-430), Paris Ed. du Seuil 1967.

(90) cf., Cam. Med. Hist., 1, p. 10.

(٩١) راجع : سعيد عبد الفتاح عاشور « تاريخ اوربا فى العصور الوسطى » – القاهرة ١٩٧٢ – ص ٣٩ – ٤ حيث قدم شرح وافى لهذه المسألة .

ولما كانت فترة حكم قسطنطين تتطلب الاستقرار والأمن بعد تلك الفترة الشرسة من الصراع بين الأقطاب للفوز بالسلطة ، فان قسطنطين وجد في كسب المسيحية الركيزة القوية لتوطيد أركان حكمه باعتبارها حليف قوى أصبح مؤثرا في كيان الامبراطورية . وأمام الصراعات بين المذاهب المسيحية وأثرها على كيان العقيدة نفسها فان قسطنطين وجدانه لزاما عليه التوفيق بين الأطراف حفاظا على وحدة الامبراطورية فارسل مبعوثه « هوسيوس — Hosius » الى الاسكندرية — بيد أن جهوده لم تكلل بالنجاح [٩٢] . مما دعا الامبراطور الى اتخاذ موقف أكثر ايجابية نحو هذا الصراع المذهبى فدعى الى عقد مجمع دينى فى نيقية عام ٣٢٥ م ، حضره نحو ثلاثمائة من رجال الدين فى الشرق والغرب ورأسه الامبراطور بنفسه [٩٣] ، واقروا فيه ادانة المذهب « الاريوسى » ونفى « اريوس » نفسه الى اليريا وحرق كل كتاباته وتحريم تداولها واضطهاد اتباعه من معتنقى المذهب — غير أن الاريوسية بقيت قوية فى الشرق وانتقلت الى باقى المناطق الأخرى عن طريق المبشرين [٩٤] . ولعل بقاء المذهب الأريوسى قويا فى الشرق كان أحد العوامل التى دفعت بقسطنطين الى اعادة حساباته طبقا لظروف ومصلحة الامبراطورية واستقرار حكمه . فاستدعى « أريوس » من منفاه عام ٣٢٧ م — لاسترضاء أهالى الشرق ، خاصة وان تلك الفترة تتطلب الاستقرار والترابط بعد عزمه نقل العاصمة الى القسطنطينية فى الشرق والذى تم عام ٣٣٠م [٩٥] . ويوضح موقف قسطنطين هذا مدى حرصه على مصالحة السياسة حتى لو أدى ذلك الى تغيير ميوله المذهبية — فقد ظل يؤيد المذهب « الاثناسى » طالما كانت عاصمته فى الغرب مركز لثقل الامبراطورية

(92) cf., Vasiliev, op. cit., Tome 1, p. 63 .
(93) cf., Baynes, op. cit., pp. 19 - 22 .
(94) Cam. Med. Hist., Vol I, pp. 122 - 123 .
(95) Bayens, op. cit., pp. 23 - 30 .

وأمنها ، ولكنه عندما شرع فى نقل عاصمته الى الشرق فكان لزاما عليه استرضاء سكان الشرق عن طريق تغيير عقيدته الى المذهب الأريوسى — فعقد مجمع دينى جديد فى « صور » عام ٣٣٤ م الغى فيه قرارات مجمع نيقية السابق ، وقرر العفو عن أريوس » واتباعه (٩٦) . أما « اثناسيوس » فقد عزل ونفى فى غاليا وبقى بها حتى اطلق سراحه الامبراطور جوليان « ٣٦١ — ٣٦٢ » الذى عرف بجوليان المرتد ، وكان لا يهتم بأمر الاريوسيين أو الاثناسيين (٩٧) . أما « أريوس » فقد توفى بعد ذلك فجأة فى القسطنطينية عام ٣٣٦ م ومن بعده الامبراطور قسطنطين لينهى فترة من الصراع الدامى بين المسيحية والامبراطورية بوضعه ركيزة الاستقرار (مرسوم ميلان) للامبراطورية ، معلنا بداية مرحلة جديدة من العلاقات المسيحية الرومانية فى اطار شرعى جديد .

---

(96) Vasiliev, op. cit., Tome pp. 70 ff.

(٩٧) لسنا هنا بصدد عرض للصراعات المذهبية المسيحية وآثارها وذلك حفاظا على موضوعية البحث .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر الوثائقية :

النقوش والبردى والنقود :

* R . G . Collingwood and R . P . wright , The Roman Inscriptions of Britain , vol . I Inscriptions of stone . Oxford University press , 1965 .

* Aian Bowman . " Papy :i and Roman Imperial History 1960 - 1975 " . Journal of Roman Studies , LXVI (1976) PP . 153 - 173 .

وهو مقال دقيق يبين مساهمة الوثائق البردية فى تصحيح التواريخ واسماء الأباطرة وتحديد القوانين وقد لعبت وثائق البردى المصرى دوراً هاماً فى ذلك .

* Ch Ternes . les Inscriptions antiques du Luxembourg , Luxem - bourg , 1965 .

* L . Maretti , Inscriptiones Graecae Urbis Romae , t , I , Rome Istituto Italiano per la storia antica 1968 .

* C . H . V . Sutherland and R . A . Carson : The Roman Imperial Coinage , vol . VI , From Diocletianus reform (A . D . 294) to the Death of Maximinus Daia (A . D 313),London Spink 1967 ; vol . VIII , by P . Brunn : Constantine and Licinius A . D . 313 - 337 , (1966) .

ثانياً المصادر الأدبية

أ – المصادر الأدبية لتاريخ الامبراطورية :

* M Grant , " The Ancient Historians , London , weidenfeld & Nicolson 1970 , paperback reprint 1974 .

مجموعة مقالات عن المؤرخين القدماء هيرودوت حتى اميانوس :

* F . Millar : A Study of Cassius Dio , Oxford , The Clarendon press , 1964 .

* K . Buechner : Studien zur roemischen literatur , vol , IV , Tacitus und Ausklang , Wiesbaden , F . Steiner 1964 .

* J . Tresch , Die Nerobuecher in der Annalen des Tacitus Tradi - tion und Leistung . Heidelberg , winter 1965 .

* R . Hauessler , Tacitus und dashistorische Bewusstsein , Heidel - berg . winter 1965 .

* A . Michel , Tacite et je destin de l'Empire , (Coll . Signes des temps) , paris , Arthaud 1966 .

* J . Laugier , Tacite , (Coll . Ecrivains de touiours) paris , ed ., du Seuils 1969 .

* M . Streng : Agricola , Das vorbild roemischer stathalterschaft nach dem urteil des tactius bonn . R . Habelt , 1970 .

* R . Urban , Historische ı ntersuchungen zum Domitianbild des Tacitus , diss Muenich 1971 .

* W . Den Boer , Rome a travers trois auteurs du IV Siedes , Mnemo Syne , XXI , 1968 , P . 254 - 282 .

* J . Matthews , Olympiodorus of Thebes and the history of the west (A . D . 407 - 425) , Journal of Roman Studies , LX , 1970 , P . 79 - 97 .

* G . Clement , la Notitia Dignitatum . Cagliari . Ed ., Sarda , Fos - sataro 1968 .

* R . C . Blockley , Ammianus Marcellinus - A Study of his historiography and political Thought , Collection Latomus 141 , Brussels , Latomus 1975 .

* T . D . Bams , Tertullian - A . Historical literary study . Oxford , The Clarendon press . 1971 .

ب : المصادر التشريعية والقانونية :

* R . F . Girard et F . Senn : Textes de droit romain , t . I , 7th edition , pais , Dalloz , 1967 .

* J . Gaudement , Institutions de l'Antiquite , paris Sirey , 1967 .

* F . De Martino , Storia della Constituzione romana , Roma 1965 - 1967 .

* R . A . Bauman , Impietas in principem (Muenchen Beitrage 67) munich , C . H Beck , 1974 .

وهو يناقش العلاقة القانونية بين الخروج عن التقوى ومخالفة القانون وذلك فى ضوء بعض القضايا الهامة خاصة المتعلقة بالخيانة العظمى .

* J . Rouge , Les Institutions romaines (Coll . V. 2 , no . 73) , paris , A Colin 1969 .

Hugh . Mason , Greek terms , for roman Institutions , a Lexicon and Analysis (American studies in papyrology , Vol . 13) , Toronto , 1974 .

ثالثاً : المراجع

أ - مراجع عامة عن الامبراطورية والأباطرة :-

* E . A Albertini , l'Empire romain , deuxieme edition , paris presses Universitaires de France , 1970 .

* Cage , Les Classes Sociales dans l'Empire romain paris , payot 1964 .

* M . I . Finley (editor) Studies in Ancient Society (Past and present Series) Routledge and Kegan paul 1974 .

* P . Petite , La paix romain (Coll . Nouvelle Clio no 9) , paris presses Universitaires de france , 1967 .

* P . Leveque , Empires et barbaries , troisieme Siecle av . J . C . au premier Siecle apres J . C . Paris , Larousse de poche 1968 .

* A . H . M . Jones , Augustus (Coll Ancient Culture and society) , London , Chatto and windus 1970 .

* R . Etienne , Le siecle d'Augustus (Coll . V . 2 , no . 139) , Paris , A . Colin 1970 .

* D . Earl : The Age of Augustus , New York , Crown 1968 . W . Schmitthener (Editor) , Augustus , Darmstadt wissenscha - ftliche Buchgesellschaft , 1968 .

* Theodore w . Africa : Rome of the Caesars (Coll . New dimensions in history : Historical Cities , New York , John wiley & fils , 1965 .

* E . Meise : Unterschungen zur Geschichte der Julisch - Claudisch Dynastie (Col . Vestigia , Band 10) , Munich 1968 .

* D . L , Henning , D . L , Aelius seianus , Unterschunger zur Regierung des Tiberius (vestigia Beitraege zur alten Geschichte , 21) Munich , Beck 1975 .

* P . A. L . Greenhalgh . The year of The Four Emperors , London weidenfeld & Nicolson 1975 .

* De Tinpe : Der Triumph des Germanicus , Bonn . R . Habelt , 1968 .

* DG . weingaertner , Die Aegyptenreise des Germanicus . Bonn . R . Hablet 1968 .

* E . Meissner : Sejan , Tiberius und die Nachfolge in prinzipat , Erlangen J . Hogel 1968 .

* W . Orth , Die provinzialpolitik des Tiberius diss Muenchen , 1970 .

* Robia seager : Tiberius , Eyre Methuen 1972 .

* B . H . warmington , Nero : reality and legend (Coll Ancient Culture and Society) , London Chatto and Windus 1969 .

* E . Cizek , l'epoque de Neron et ses Controverses idealogiques , (Roma aeterna , 4) Leiden , E . J . Brill 1972 .
J . Rs . Lxvi , 1976 , P . 229 .

* M . Grant Nero : London , weidenfield and Nicolson 1970

* P. petite : Le premier siecle de notre ere (Coll . V . 2 , no . 47) , paris A . Collin 1968 .

* M . Speidel : The Captor of Decebalus : a New Inscription from philippi , J . R . S ., Li , 1970 . P . 142 - 153 .

* Alfoeldi : Studien zur Geschichte der welkrise des 3 Jahrhunderts nach Christus , Darmstadt 1967 .

* P . petit , Histoire generale de l'Empire romaine (l'Univers historique) paris , edition du seuil 1974 .

* G . Lopuszanski, la da te de la Capture de Valerian et la Chronologie des empereurs gau - ois (Cahier de l'instiut d' etudes polonaise en Belgique 9) , Bruxelle 1951 .

* J . Goudy : La chute de l'Empire Romain (Coll . il ya toujours un reporter) paris Julliard 1967 .

عن صور وشعارات والقاب القياصرة :

* Alloeldi : Die monarchische Representation in romischen Kaiscr - veiche , Darmstadt, wissenchofliche , Buchgesellschaft 1970 .

* P . Kneissel : Die siegesetitular der roemischen Kaiser , . Untersuch - derts , Goettingen , Vandenhoeek und Ruprecht , 1969 .

عن نظام حكم المواطن الأول وأصوله :

* P . Herrmann, Der roemische . Kaisereid . Untersuchungen zu seiner Herkunft und Entwicklung , Goettingen , Vandenhoek and prinzipatideologie (Koeiner historische Abhandlung 18) Koeln - vienna, Boehlau 1970 .

* Kloft , Liberalitas principis : Herkunft und Bedeutung . Studien zu Ruprecht , 1968 .

عن مجلس السناتو ووضعه وشخصياته البارزة فى صدر الامبراطورية .

* A . Bergener : Die Fuehrende senatorenschicht in Fruehen pinzipat (14 - 68 nach . christ) , Bonn Habelt 1965 .

عن الترشيحات والتزكيات الامبراطورية لبعض الشخصيات ومشروعية هذا القانونية .

(Commendatio Imperiale)

* R . Frei - stolba : Unterzuchungen zu den wahlen in der roemischen Kaizerzeit . diss zurich , Juris Verlag 1967 .

عن عبادة الأباطرة فى عصر الامبراطورية انظر :

* Le culte des Souvrains dans l'Empire romaine (Entriens sur l'anti - quete Classique XIX) Vandoeuvres - Geneve Fondation Hardt 1973 .

عن الشخصيات البارزة وكبار الموظفين فى الفترة ما بين فسباسيانوس وحتى حكم هادريان :

* W . Eck , Senatoren von Vespasian bis Hadrian , prosopographische Untersuchungen mit Einscluss der Jahres und provinziafa - sten der Statthalter (Vestigia 13) , Munich , C . H . Beck 1970 .

عن الاجراءات المتبعة من أجل الحصول على مقعد فى السناتو فى عصر اغسطس وحتى عام ٧٣ م .

* A Chastagnol , Recherches sur l'histoire Auguste Bonn 1970 .

عن العلاقة بين الوضع الإجتماعى والمراكز السياسية وتطور ذلك بالنسبة للسناتو حتى القرن الرابع الميلادى .

* Recherches sur les structures sociales dans l'Antiquite Classique , paris , C . N . R . S . 1970 .

عن الإدارة والحكم المحلى فى المقاطعات والولايات والتطور فى منح الجنسية الرومانية :

* Essais Critiques (publication de l'Institut de Droit romain de Ch . Saumogne , Le droit Latin et les cites romaines sous l'Empire . de l'Universite de paris XXIII) , paris Sirew 1965 .

عن الدستور الانطونيناتى انظر :

* Ch . Saumagne : Quelques observations sur la constitutio Anto - niniani , Me'.anges . J . Carcopino , Paris Hachette , 1966 .

وفيه يعيد تفسير القانون بأنه كان يعنى منح الأجانب الحقوق اللاتينية الرومانية وهذا تفسير اعترض عليه العلماء . وعن الجنسية الرومانية وقضيتها :

* W . Seston , la Cityoennete romaine , Actes du XIIIeme Congres international des Sciences historiq ıes , Moscow 1970 .

وعن المجالس المحلية فى الولايات الرومانية خاصة فى افريقيا فى القرن الثالث الميلادى وما بعد انظر :

* T . Kotula, Les assemblees provinciales dans l'Afrique , societe des sciences et des lettres de worclaw no . 108 worclaw . 1965 .

وهو بحث مكتوب بالبولندية لكنه مشفوع بملخص بالفرنسية .

* J . Deimager , Der provinziallandtage der roemischen Kaiserzeit . Von Augustus Bis zum Ende des dritten Jahrhunderr nach Christ (Vestigia 6) C . H . Beck , Munich 1965 .

عن الادارة الدينية لولايات الامبراطورية الغربية :

* D Ladaage , Stadtische priester und Kultaemer im Lateinischen westen des Imperium romanum zur Kaiserzeit diss, cologne , 1971 .

العتقاء والعبيد ووضعهم الإجتماعى ودورهم المهنى والاقتصادى فى الامبراطورية الرومانية :

* G . Boulvert . Esclaves et affranchis Imperiaux sous el Haut Empire romain : role politique et administratif , Naples , Jovene 1970 .

* H . Chantraine : Freigelassene und sklaven in Dienst der roemi - schen Kaiser , Studien zur ihrer Nomenklature (Forschngen zur antiken Sklaverei I) Wiesbaden , F . Steiner 1967 .

وعن دراسة سكانية للعبيد من خلال شواهد القبور الخاصة بهم أنظر :

* G . Fabre : La demographie des esclaves et affranchis imperiaux (These de eme Cycle) Bordeaux , 1970 .

* R . Etienne et G Fabre : Demograhie et classe sociale l'example du cimitiere ces officiales de Carthage , Recherches sur les Structures Sociales dans l'Antiquite classique , paris C . N . R . S . (1970) .

وعن الدراسة الديموجرافية لسكان الامبراطورية انظر :

* P . Salmon : Population et depopulation dans l'empire romaine , Collection Latomus 137 , Bruxelles , 1974 .

الإقتصاد فى المجتمع الرومانى : الزراعة والتجارة والتكنولوجيا المهنية :

* G . Charles picard et J . Rouge : Textes et documents relatifs a la vie economique et sociale dans l'Empire romaine 31 av . J . C . 225 apres J . C .) , Coll . Regards sur l'histoire) , Paris 1969 .

M . I . Finley : The Ancient Econonmy , Chatto and windus , London 1973 (= cf J . R . S ., Lxv, 1975 PP 164 - 171 (M . W . Frederisken) .

وهى دراسة دقيقة للإقتصاد الإغريقى والرومانى عامة من ناحية رأس المال ، والعمل والعمال والاستثمارات والتسويق واحتياطى النقد فضلا عن الطبقات الاجتماعية بصورة مقارنة مثل السادة والعبيد ، ملاك الأراضى والأجراء الزراعيون ، المدن والقرى .. الخ وعن الإتجاه الحديث فى دراسة اقتصاد الإمبراطورية انظر :

Duncan - Jones : The Economy of the Roman Empire , University of Cambridge press 1974 .

A . H . M Jones , The Roman Economy : Studies in Ancient Economic and adminstatrative ltistory , edited by B . Brunt , oxford Blackwell 1974 .

وهو آخر كتاب صدر للعالم الراحل وهو تجميع لبعض مقالاته التى سبق أن نشرها عن الاقتصاد الرومانى خاصة فى فترة التدهور وقد اعتمد على مصر كثيرا وقد قام الاستاذ برنت باضافة كثير من الملاحظات والحواشى .

وعن فن الزراعة واقتصادها فى الامبراطورية انظر :

K . D . Whiter, A bibligraphy of Roman agriculture , University of Reading , Institute of Agricultural History 1970 .

K . D . White , Agricultural implements of the Roman world , Cam - bridge University press 1967 .

عن الصناعة وتنظيم العمل المهنى وفلسفة الإقتصاد :

N .Brockmeyer . Arbeitsorganisation und oekonomisches Denken in der Gutswirtschaft des roemischen Reiches , Bochum Broch - meyer 1968 .

R . Martin , Recherches sur les agronomes Latine et leur concep - tion economique et sociales , Paris , Les Belles Lettres , 1971 .

J . P . Wild , Textile manufacture in Northern Roman provinces , Cambridge Unversity press 1970 .

عن العبيد كطبقة مهنية وحرفية تقوم عليها الصناعة الرومانية انظر :

F . Kiechle : Sklavenarbeit und teknischer Fortscritt in roemischen Reich (Forschungen zur antiken sklaverei , III) wiesbaden . F . steiner 1969 .

R . J . Forbes , Studies in Ancient Technology . vol I a IX , Lyben , Bril 1965 . Brill 1965 .

عن دور الجياد فى الصناعة والنقل انظر :

P . Vigneron, Le cheval dans l'Antiguite greco - romaine, des guerres mediques aux grandes invasions,

Contribution a l'histoire des technique (Annales de l'Est Nancy , Faculte des lettres , 1968 .

عن السياسة النقدية للامبراطورية منذ التدهور حتى اصلاحات ديوقلديانوس وقسطنطينوس :

J . P . Callu , La politique monetaire des empreurs romains de 238 a 311 A . D (Bibliotheque des Ecoles Francaises d'Athenes et de Rome . fasc . 214) , paris E . de Boccard 1969 .

عن النقود البرونزية والفضية التى سكت فى ولايات آسيا الصغرى الرومانية :

Robert , Monnaies grecques : types , Legends , magistrats : mone - taires et geographie, Geneve , paris , Droz et Minard 1967 .

عن التجارة فى البحر الابيض المتوسط وتنظيمها فى عصر الامبراطورية :

B . J . Rouge : Recherches sur l'organisation du Commerce martime en Mediteranee sous l'Empire romain . paris , 1966 .

عن طريق التجارة فى عصر الامبراطورية الرومانية :

M . P . Charlesworth : Trade Routes and Commerce of the Roman Empire , Cambridge 1926 .

عن تجارة التوابل بين الشرق والامبراطورية واستنزاف الشرق لذهب الامبراطورية :

Innes Miller : The Spice trade of the Roman Empire : 29 . B . C . to 641 . A . D ., Oxford, The Clarendon Press 1968 .

عن البحرية الرومانية :

L . Casson , Ships : nd Seamanship in the ancient world . princeton , University press 1971 .

الجيش والعسكرية الرومانية :

H . G . pflaum, Forces et faiblesses de l'armee romaine du Haut - Empire (Problemes de la guerre a Rome) , Paris Mouton 1969 .

E . Gabba , per La Storia del esercito romano in eta imperiale (il mondo antico 3) Bologna 1974 .

Robert . O . Fink : Roman Military Records on papyrus (The American philological Association , Monograph 26) . 1971 .

G . Webster . The Imperial army of the mst and Second centuries A . D . London , Chartes Black 1969 .

عن الجيش فى الفترة المتأخرة من تاريخ الإمبراطورية الرومانية ونوعية الضباط والجنود :

D . Hoffmann, Das Spaetroemisehe Bewegungshecr und die Notitia Dignitatum , 2 vols, (Epigraphische studies 7) Dusseldorf , Rheinland, velag 1969 .

عن المزايا الإجتماعية لدخول الجيش للفرد ولأبنائه من بعده :

B . Dobson : The Centuriate and Social mobility during the prin - ciate , Becherches sur les structures sociales dans l'Antiquite classique , P . 99 - 116 .

عن تطور فكرة القوات الخاصة :

R . saxer : Untersuchungen zu en Vexillationem des roemischen Kaiserheeres Von Augustus bis Diokletian (Epigraphische Studien 1) , Koeln , Boehlau 1967 .

E . W . Marsden , Greek and Roman artillery , Historcal development oxford , The Clarendon press , 1969 .

وهو كتاب شامل لتطور الجيوش فى بلاد اليونان خلال العصر الكلاسيكى وخلال العصر الهللينستى ويعالج الجيش الرومانى فى عصر الجمهورية ولكن الفصل الثامن من هذا الكتاب (حولى ٢٥ صفحة) تعالج الجيش الرومانى فى عصر الامبراطورية : وحتى القرن الرابع الميلادى :

M .Durry : Les cohortes pretoriennes , 2 ed , i , tion , paris 1968 . A . Fries , Die , Cohortes urbanae (Epiraphische Studien 2) , Coeln - Graz , Boehlau , 1967 .

M . Spiedel : Die Equites singulares Augusti , Begleitrippe der roemischen Kaiser der Zweiten , und dritten Jahrhundert (Antiquitas , Reihe I , Band II) , Bonn , R . Habelt 1965 .

عن البحرية الحربية الرومانية والمعارك القليلة التى خاضتها انظر :

D . Kienst , Untersuchungen zu den Kriegsflotten der roemischen Kaiserzeit , (Antiquitas Reihe I , Band 13) , Bonn R . Habelt , 1966 .

الديانات والعبادات المختلفة فى ولايات الامبراطورية :

J . Beaujeu et J . Defradas et H . Le Bonniec : Les Grecs et les Romaines (Tresor Spirituel de l'humanite) paris Ed . planete 1967 .

M . Le Clay , La religion romaine (Coll . V . 2 , no . 168) , Paris A . Colin 1917 .

عن انتشار عبادة ايزيس وسيرابيس وهاربوكراتيس (الثالوث السكندرى) فى أرجاء الامبراطورية انظر دراسات فيدمان وأهمها :

L . Vidman : Sylloge Inscriptionum religionis Isiacae et Sarapiacae Religionsgeschichtliche versuche und vorarbeiten, Band 25) , Berlin . W . de Gruyte , 1969 .

Isis und Sarapis bei den Griechen und Romern (Epigraphische Studien zur Vebreitung und zu den Tragern des aegyptischen Kultes , BAnd 29) , Berlin 1970

J . Leclant , Bibiographique des Isiaca Repertoire analytique des travaux relatifs a la diffusion des cultes isiaques , Leyden , Brill 1972 .

M . Muenster : Untersuchungen zur Goettin Isis , Berlin 1968 .

وكنلك مقالة C . B . welles Historia, II (1962) من ص ٢٧١ - ٢٩٨ التى فيها يخرج برأى جديد وهو أن سيرابيس من خلق الاسكندر نفسه وليس من خلق البطالمة وقد رد العلماء بشدة على هذا الادعاء بالرفض :

H . W . Mueller : Der Isiskult in antiken Beneuent und Katalog der Skulpturen aus den aegyptischen Heigtuemern in Musco del Sannio zu Bevevent (Muenchener Aegytologische Studien , 16) , Berlin 1969 ; I Becher : Der Isiskult in Romee . Ein Kult der Habwelt ? (Zeitschrift fur Aegyptische Sprache

Und Altertumskunde , 96 (1970) , P . 18 - 90 ; Theodor Kraus : Ale - xandrinischen Triaden der roemischen Kaiserzeit , Mittei - lungen des Deutschen Archaeologischen Instituts . Abteilung Kairo 19 , 1963 .

A . Bernard : Influence de l'Egypte et innovation d'Eschyle dans la repesentaton d' Io . Annals of the Faculty of Arts Ein Shams University , III , Cairo , 1955 , P . 77 - 103 . ; G Grimm ;Die Zeugnisse aegyptischen Religion und Kunstelmente in roemischen Deutschiand , Lyden , 1960 .

وعن زيارة فسباسيانوس الى معبد سيرابيس بالأسكندرية انظر :

Derchain et J . Hubeaux , Latomus , XII , 1953 , P . 38 . 52 .

أما عن زيارة هادريانوس الى معبد سيرابيس انظر :

S . Folet , Hadrien en Egypte et en Judea , Revcue de philologie , XLII , 1968 , P . 54 - 77 .

وعن تأثير عبادة ايزيس على الديانة المسيحية انظر :

Baltrusaitis , " Essai sur la legende d'un mythe . La Conquete d'Isis . (Introduction a l'egyptomanie edit . O . perrin) , paris 1967 .

عن عبادات الشرق الاخرى وتسللها الى شعوب الامبراطورية انظر المراجع الآتية :

فى سلسلة كتب :

" Etudes preliminaires aux religions orientales dans l'Empire romain " .

وأهمها :

M . J . Vermasern : The Legends of Attis in Greek and Roman art (1966) ; A . Leroy Campbell : Mithraic

iconography and ideology (1968) ; R . du Mensil Du Buisson , Etudes sur les dieux pheniciens herites par l'Empire romain (1970) ; M . Floriani Squarcapino : I culti orientali ad ostis (1962) ; E and J Harris : The oriental cult in Roman Britain (1965) ; L . zotovie : Les cultes orientaux sur territoire de la Mesie supetieure (1966) ; w. Blawatsky et G . Kochelenko : Le culte deMithra sur la cote septentrionale de la mer Noire (1966) ;

R . Turcan . Mithras platonicus , rescherches sus l'hellenisation philoso phique de Mithras (etudes preliminaires aux religions orientales dans l'Empire romaine , 47) Leiden Brill 1975 .

A . Garoia Y . Bellido , les religions orientales dans l'Espagne romaine (1967) ; R . Salditt - Trappmann : Tempel der aegyp - tischen Goetter in Griechenland und in der Westkueste Klei - nasiens (1970) .

عن تايخ الديانة اليهودية والمسيحية فى الامبراطورية الرومانية :

M . Meslin , La Christianisme dans l'Enpire romain , paris prsses Universitaires de France 1970 ; M . Meslin et J . polanque , Le Christianisme antique , paris, A . Colin 1967 ; M. Simon et A Benoit , Le Judaisme et le christianisme antique , paris , presses Universitaires de France (1968) , A , Hacuman , La vie quotidenne

des premiiers chretiens (95 - 197) paris , Hachette , 1971 .

عن سياسة القمع والاستئصال والاضطهاد الروماني للمسيحية انظر :

R. Freudenberger , Das Verhalten der roemischen Behoeden gegen die christen im 2 Jahrhundert , (Muenchner no . 52) Munich , C . H . Geck 1967 ; W . H . C , Frend , Martyrd m and persecution in the early church . A study of a conflict from the Maccabees to Donatus . Oxford Blakwell , 1965 .

وعن إنتشار المذهب الآريوسى فى الغرب الرومانى انظر :

M . Meslin les ariens , d'occident , (335 - 430 A . D .) , paris , Ed . du Seuil 1967 .

وعد قيام مذهب الطبيعة الواحدة (المونوفيزية) انظر :

W H . C . frend , The rise of The Monophysite Movement , Cambridge University press , 1972 .

واخيرا عن سياسة الاضطهاد المسيحى التى قام بها الأباطرة المسيحيون ضد المهرطقين واليهود والوثنيين فى القرن الرابع انظر :

K . L . Noethlichs , Die gesetzgeberischen Massnahmen der christlis - chen Kaiser des vierten Jahrhunderts gegen Haeretiker , Heiden und Juden , diss . Koeln , 1971 .

الفكر التاريخى والسياسى والقانونى فى عصر الامبراطورية :

S. Mazzarino : il pansero storico classico , III : l'eta romana impe - riale , Bari Laterza , 1966 ; A . Momigliano : Studies in histori - ography , London , Weidenfeld and Nicolson 1966 ; A . Michel .

La philosophie politique a Rome d' Auguste a Marc - Aurele (Coll . V) paris Collin 1969 ; J . Briddet , Les idees politiques des Lucain, paris Belles Lettres 1964 ; D . Gliardi , Lucano poeta della Liberta . Naples , Loffredo 1968 ; R . Turean Seneque et les religions orientalees (Coil Latomus , vol . 91) . Bruxelle 1967 ; Sherwin - White : The letters pliny : a histo - rical and social commentary , Oxford, The Clarenden press , 1966 ; J . Schwariz , Biographie de Lucien de Samosate (Coll . Latomus , vol 83) Bruxelle 1965 ; T . D . Barnes , Tertulian :

A . historical and literary study , Oxford University press 1971 ; R . Klein : Tertulian und das roemische Reich , Heidel - berg, Winter 1968 ; C , Dragun l'Empire romain d'orient au quartrieme siecle et les tradition politiques de l . hellenisme , Le temoignage de Themistos (Travaux et Memoires du centre de Recherch d'histoire et civilization byzantines III) paris E . de Boccard 1968 .

عن القانون الرومانى ونصوصه فى عصر الإمبراطورية انظر :

J . A . Grook , Law and life in Rome (Aspects of Greek and Roman Life) , London , Thames and Hudson , 1967 .

عن العقود وشروطها انظر :

S . E . Winner : Contractus . Sein wortegebraurch und Willensge - halt im Klassischen roemischen Recht, 19) Koeln - Graz Boehlau . 1964 .

وعن التعويضات وتقديرها حسب ظروف الحادثة انظر :

H . Honsell : Quod interest in bonae - Fidei - iudicium (Muen - chener Beitrage zur papyrusforschung und antiken Recht - sgeschichte , 55) Munich C . H Beck 1969 .

وعن شروط المقاضاة والخصومة فى القانون انظر :

F de Marini Aronzo . I limiti alla disponibilita della " res litigiosa .

وعن طبيعة التحكيم الدولى فى صدر الامبراطورية انظر :

M . lemosse Le , regime des relations internationales dans Le Haut Empire romain (publications de l'institut de Droit romain de l'Univ . de paris . 23) paris , sirey 1967 .

عن تعاقد الدولة على استئجار عقارات من الأفراد عن طريق وكلائها انظر :

C . Alzon , Probleme relatifs a la location des entrepots en droit romaine , paris . Ed . Cyja 1965 .

وقد يساعد على فهم هذه القضية استئجار الصوامع والمخازن انظر :

G. Rickman : Roman granaries and store buildings, Cambridge University press 1971 .

وعن المواصفات والشروط الخاصة بإقامة المبانى والمنشآت العامة انظر :

Y . Jannier : La legislation du Bas - Empire romain sur les edifices publics (publications des Annales de la Faculte des lettres d'Aixe Aixe - en provence , la pansee Untversitaire 1969 .

وعن قانون وإجراءات رفع الدعوى فى المحاكم الرومانية انظر :

J . M . Kelly : Roman litigation Oxford The Clarender . Press 1966 .

وعن تطور ذلك فى عصر جستينيان انظر :

D . Simon : Untersuchungen zum Justinianischen zivilprozes (Papyrusforschung und antiken Rechtsgeschrte , 54) Munich C . H . Beck , 1969 .

الفنون والآثار

وللمهتمين بطبيعة الفن الرومانى وأثره وطبيعته فى عصر الإمبراطورية يمكن الرجوع الى الدراسات التالية :

G . Picard , Empire romain (Architecture Universelle) Freibourg 1965 , W . L . Mac Donald ; The Architectture of the Roman Empire - A introductory Study , New Haven , Yale Unive - rsity press , 1965 ; R . Biandinelli, Rome Le Centre du pouvoir . Paris

Gallimard 1969 ; also his : Rome , la fin de l'art antique ; H . Kaehler Der romische Tempel , Berlin 1970 .

وعن الدراسات التفصيلية لبعض الآثار الكبرى فى روما انظر :

B . Brilliant : The Arch of Septimius Severus in the Roman Forum , Rome Te American Academy in Rome 1967 ; Wata - ghin - Cantino , La Domus Augustana , personalita probleini dell architettura Flavia , Turmo , Giapechelli , 1966 ; P . Zanker Forum Augustum . Tubingen 1968 ; K . de Fine licht : The Rotunda in Rome : A Study of Hadrian's pantheon , Selkab , 1968 ; P . Fidenzoni , il teatro di Marcello , Roma , 1970 ; G . Cozzo , Il Colosseo , Roma . paiombi , 1971 ; Scott Ryberg panel reliefs of Marcus Aurelius , New York : Archaeological Institute of America 1967 ; H . Stern : La mosaique gerco - romaine , paris , 1965 ,

أما عن العمران الرومانى فى الولايات خاصة افريقيا وولايات الشرق الأوسط انظر :

L . Homo : Rome Imperiale et l'urbanisme dans l'Antiquite , 2 edition Albin Mchiel 1971 : M . wheeler : Roman Africa , London Thames and Hudson, 1966 ; M .Rachet , Rome et les Berbeers Un probleme militares d'August a Diocletien (Coll. Latomus , vol . 110) , Bruxelle 1970 ; cf , Actes du congres d'Halle , Africa und Rom in der antike , editedby H . J . Dieser , H . Bath and H . D .

Zimmermann , Halle wittemberg , Martin Luhther Universitaet , 1968 - 9 .

أما عن شمال افريقيا انظر :

H . G . pflaum : La romanisation de l'ancien territoire de Carth - age punique a la Africaines , IV , 1970 ; A . Beschaousch : Mustitana , Recueil de nouvelles inscripyion 's de Mustis , citd Squarciapino : Leptis Magna . Baae Raggi 1966 ; P . A . Fevrier , romaine de Tunisie , Carthago , XIII , paris 1968 ; Oaks Center for Byzantine Studies , wachington , 1973 - 1974 . Tunis Institut national d'Archaeologie et d'Art and Dumbarton Corpus des Mosaique de Tunisie, Edit . M . A . Alexandre & Ennaifer .

M . Floriani Art d'Algerie antique , paris de Boccad 1971 ; M . Le Clay . saturne Africain : monuments , 2 vols , paris 1961 - 1966 , also cf . his Saturne africain, histoire (Bibliotheque des Ecoles Francaises d'Athenes et de Rome , Fase : 205) paris de Boceard 1966 .

وعن تدهور الحضارة الرومانية فى شمال افريقيا مع تدهور الامبراطورية انظر :

H . J . Diesner : Der untergang der roemischen Herrschaft in Nord - afica Weimar , Boehalu 1964 . also G . Charles picard : La Carthage de Saint Augustin (Coll . Resurrection du passe) paris ,

وعن المسلات المصرية فى روما انظر :

G. Panimolle, Gli obelischi di Rome antica, Stadeini 1965.

اما عن جسور المياة فى روما القديمة انظر لنفس المؤلف :

Gli acquedotti di Roma antica, Milano 1970.

وعن الحياة اليومية فى مدينة بومبى القديمة على ضوء آثارها انظر :

R. Etienne, la vie quotidinne a pompei, paris, Hachelte 1966.

دراسات حديثة عن ولايات الامبراطورية الغربية والشرقية :

================

١ - بلاد الغال :

P. M. Duval, La Gaule Jusqu au milieu du cinquieme Siecle (

Les Souroes de l'histoire de France, t. 1) paris, Gaule romaine de 120 av. christ au 451 apres christ - Colonisation ou colo - nialism ? paris, Payoy, 2 edition 1966 ; M. Bordet, La Gaule romaine paris, Bordas 1971 ; M. Audin, Levon, miroir de Rome dans les Gau'es (Col!. Resurrection du passe paris, Fayyard 1965 ; E. M. wightmann : Roman Trier and the Treveri, London Rupert Hart - Davis 1970.

٢ – ألمانيا :

B˙. Ruger : Gemania Inferior : Untersu - chungen zur Territo ial und Verwaltugs gethichte Niedergermaniens in der prinzipatszeit . Cologne , Boehlau 1968 : G . Alfoeldy : Die Legionslegaten der roemischen Rheinarmeen (Epigraphische Studien , 3) Koeln Boehlou 1967 , also by the same aume author : Die Hilfstruppen der roemischen povinz Germania inferior (Epigr . studieen , 6) Dusseldrof Rheinland - Verlag 1968 . P . La Baum : Die Roemer am Rhein : Bonn W . Stollifuss 1970 .

٣ – بريطانيا :

G . Simpson : Britons and the Roman army - A Study of wales and the Southern pennines in the lst - III rd . Centuries , London The Cregg press 1964 P . Salway : The Frontier People of Roman Bitain , Cambridge Univ . Press 1965 ; D . R . wilson : Roman Frontier of Britain , London , Heinemann 1967 ; I . D. Margary Roman roads in Britain , New York , Humanities press 1967 ; A . L . F . Rivet : Town and Country in Roman Britain , Landon Hutchinson University Library 1968 ; also by the same author : Roman Villa in Britain , London Routle - dge and Kegan poul 1969 .

٤ - اسبانيا :

G. Alfoeldy : Fasdti Hispanienses - Senatorische Reichsbeante und offiziere in den Sapnischen des roemischen Reiches, Von Augustus bis Diokletian, Wiesbaden, F. Steiner 1969. aslo. Madrid's Colloquium on the Roman Emperors of Spain, 31 Mars - 6 th April, 1964), Paris 1965. ; J.M. Blazquez : Estrctura economic ay social de Hispania durante La anarquia milirary el Bajo Impeerio, Madrid, Facultad de Filosofia lettras de la Univeritad Madrid, 1964. also cf., Estructura economica de la Betica al Final de la Republica romanny a comienzos del impero (anos 72 a.c. - 100) Hispama XXVII, 1967, p. 7-62.

٥ - البلقان والدانوب وبلاد اليونان :

G.j. Wikler : Die Reichsbeamten Von Noricum und ihr personal bis zum Ende der roemischen Herrschaft, Vienna Boehlau, 1969, J.J Wilkes : Dalmatia (History of the provinces of the Roman Empire), London, Routledge and Kegan paul 1969: A. Dobo, Die Verwaltung der roemischen Provinz Pannomen Von Augustus bis Diocletianus, Amsterdam, Hakkert 1968. ; S. Mrozek, Les mines d'or de la Dacie au deuxieme siecle : aspects sociaux et administratifs (in polish but with a French resume) Torun 1966.; Ph. Bruneau,

Recherches sur les cultes de Delos a L'epoque hellenistique et a I'epoque imperiale (Bibliotheque des Ecoles Francaise d' Athenes et de Rome, Fasc. 217) Paris. E. de Boccard, 1970.

٦ – آسيا الصغرى وسوريا ومصر :

P.R. Frank, Kleinasien zur Roemerzeit. Griechisehes Leben in Spiegel der Muenzen, Munich, C.H. Beek 1968. : B. Levick, Roman Colonies in Southern Asia Minor, Oxford, The clarendon Press 1967; Clark Hopkins, (ED.) Topography and Architecture of Seleucia on the Tigris, Ann Arbor, University of Michigan, 1977.

J. Ch. et M. Sournia, L'Orient des preimers chretiens Histoire et archelogie de la Syrie buzantine (Resurrcction du passe) Paris, Fayard 1966. : J.H.W.G. Libeneschuetz : Antioch. city imperial administration in the Later Roman Empire, Oxford, The Clarndon Press 1972. ; A. Bernard : Alexandrie La Grand (Signes des temps, 19) Paris Arthaud 1966. : P.H. Frazer Alexandria Ptolemaica, Oxford 1972. ; E. Bernard : Inscription metrique de L'Egypte greco-romaine, Recherches sur la poesie epigrammatique des Grecs en Egypte (Annales litter, de L'Univ. de Besancon, vol 98) Paris, Les Belles-Lettres 1969.

H.C.Youtie, Between literacy and illiteracy as aspect of Greek Society in Egypt, Akten Des XIII internationalen Papyrologen Kongress, Munchen 1974; J. Lindsay, Leisure and Pleasure in Roman Egypt, New York, Barnes & Noble, 1966. E. Wipszycka : L'industrie textile dans L'Egypte romaine worclaw Ossilineum. P.R. Swarney: The Ptolenaic and Roman iodios logos : (Americ in Studies in Papyrology vol. 8) Toronto 1970 = cf. J.E.A, 58 (1970), pp 329-330 (by J. David Thomas), N. Lewis, An Inventory of Compulsory services in Ptolemaic & Roman Egypt, Toronto 1968; D. Crawford " Garlic growing in Graeco-Roman Egypt, Chronique d'Egypte no 96 (1973) pp 350-363; A Straus, Le statut Fiscal des esclaves dane L'Egypte romaine, Chronique d'Egypte, no. 96. pp 361-369 ; Biezunska-Malwist, l'esclavage dans l'Egypte greco-romaine (Archiwam Filologiczne 30) Warsaw 1974; Alan K. Bowman : The Town-Councils of Roman Egypt [American Studies in Papyrology] Toronto 1971 ; J.D. Thomas, The Epistrategos in Ptolemaic and Roman Egypt, Papyrologicae Coloniensis, 6, Opladen Westdeutscher, Verlag 1975 ; Bernard, Recueil des inscription grecques du Fayoum, 1. La Meris d'Herakleides, Leiden, Brill, 1975. Erwin Seidl, [Unter Mitarbeit vor. Dr. Lother Muller] Rechtsgeschichte

Aegyptens als roemischer Provinz (Die Behauptung des aegyptischen Rechts neben dem roemischen) sankt Augustin 1973.; G. Chalon : l'edit de Tibere Julius Alexander, Paris 1964 ; M. Humbert, La Juridiction du prefet d'Egypt d'Auguste a Diocletien" Aspects de l'Empire romaine; Paris 1964. ; O.W. Rheinmuth, The prefect of Egypt From Augustus to Diocletien, Klio, Beiheft XXXIV, (1935). A. Stein, Die Praefekten von Aegypten in der roemischen Kaiserzeit (1950) ; S. Wallace Taxation in Egypt From Augustus to Diocletian, 1938.

وعن مشاكل الإدارة الرومانية لمصر وعدم كفاءة الولاة لنقص الخبرةالكافيـه ولأن الأباطرة إعتمدوا على رجال الثقه اضعفاء خوفا من إستقلال مصر ، فضلاً عن صعوبة إدارة ولاية مزدحمة بالسكان مثل مصر ومصدرا يمد الإمبراطورية بثلث ما تستهلك من القمح ، وضرورة أن يلم واليها بالخبرة العسكرية والقضائية والإدارة الماليه ولقصر مدة توليهم التى لم تتجاوز ثلاث سنوات ، مما أدى إلى إعتمادهم على موظفين بيروقراطيين مستغليين انظر المقال الطريف :

P.A Brunt, "The Administrators of Roman Egypt, J.R.S, LXV (1975) pp 124-147.

فضلا عن قائمته بأسماء وتواريخ توالى الولاة من ٣٠ ق . م وحتى عام ٢٣٦ م

.وعن الفنون فى مصر الرومانية : انظر :

Harden : Roman glass from Karanis, An Arbor, 1963.

Parlasca. "Reportorio d'arte dell, egitto greco-romana, voll. I, (palermo 1969).

H.W. Peck. Mummy Portraits From Roman Egypt (Detroit 1967).

H. Zaloscer, Portraits aus den Wustensand, (Vienna - Munich 1961).

Kater-Sibbs (G) and M F Vermaseren : Apis, I The monuments From Hellenistic and Roman period, From Egypt; II monuments outside Egypt (etudes preliminaires aux religions orientales dans l'empire romain, 48) Leiden, brill, 1975.

وعن الحمامات الرومانية فى اقليم الفيوم والضرائب المفروضة عليها خاصة حمام مدينة كرانيس (كوم اوشيم) انظر الدراسة الأثرية الوثائقية :

S. El-Nassery et G. Wagner et G. Castel, Un Grand Bain Greco-Romaine a Karanis B.I.F.A.O, Tome LXXVI (1976) pp, 231-275,

وعن القبور وهندستها فى مصر الرومانية وبالذات فى مقبرة كوم أبو بللو مع أنواع وأشكال شواهد القبور والنقوش التى عليها انظر :

West and Johanson, Currency in Roman Egypt, London 1952. ; J.G. Milne,

وعن النقود فى مصر الرومانية انظر :

Roman Cionage in Egypt in relation to native economy, Aegyptus vol 32, (1952) pp 143 ff.

الفهرس

أ.د. عاصم أحمد حسين
أستاذ التاريخ القديم والحضارة اليونانية والرومانية
آداب - جامعة المنيا
محمول ٠١٢٢١١٤٠٤٠

مطبعة العمرانية للأوفست
٢ ش يوسف عثمان - العمرانية الغربية الجيزة
تليفون ٥٨١٧٥٥٠